حسين عارف







مجموعة قصص و نص مسرحي

ترجمها عن اللغة الكردية نخبة من المترجمين


منتدى إقرأ الثقافي
للكتب ( كوردى - عربي - فارسي )
www.iqra.ahlamontada.com

حسين عارف

# الذئاب

مجموعة قصص ونص مسرحي

ترجمها عن اللغة الكردية نخبة من المترجمين

٢٠٠٩

سلسلة كتب سردم العربي
العدد (٢٣)

المشرف العام على السلسلة
نوزاد احمد اسود

المدير الفني
جمال درويش




اسم الكتاب: الذئاب
المؤلف: حسين عارف
المترجم: مجموعة من المترجمين
الطبعة الاولى - كردستان - السليمانية
عدد النسخ: ٥٠٠
سعر النسخة: ٢٠٠٠ دينار
مطبعة: دار سردم للطباعة والنشر
رقم الايداع: ٢٤٥٧ لسنة ٢٠٠٨
www.serdam.info

## الفهرست:

## توضيح

### قارئي الكريم:

محتوى هذا الكتاب عباره عن غالبية القصص التي ترجمت لي الى اللغة العربية، اقول الغالبية لأن هناك قصص اخرى منشوره في مجلات وصحف متفرقة لم استطع الحصول عليها لمرور الزمن، سواء عليها أوعلي! والمحتوى يتكون من ثلاثة اصناف:

الأول: قصص ارجمت بحسب اختيار مترجمها ونشرت في مجلات وصحف متفرقة وباوقات متفاوته، وعددمنها مقرونة لبعض ملاحضات من مترجمها.

الثاني: اربعة قصص هي: (سفرة سحرية، المراسل، الذئاب، صولة القلب)، كانت قد نشرت ضمن كتاب بعنوان (الذئاب) عام ١٩٨٥. وكانت قد نشرت ضمن كتاب باللغة الكردية عام ١٩٨٣.

الثالث: النص المسرحي الذي تجدزنه في آخر صفحات الكتاب. ارجوا ان اكون عند حسن ظنكم

حسين عارف

# النجمة

## تقديم وترجمة: نورالدين محمد سعيد

*حسين عارف، رافد من رواد القصة الكردية، اسهم منذ البدايات الحقيقية للقصة الكردية المعاصرة بقسط وافر عبر القصص التي نشرها في المجلات الكردية والتي كانت ناجحة جدا كقصة «صورة صدئة» و «الشاي الحلو» وعشرات غيرها من القصص المعبرة.. وهو اضافة الى هذا، من المهتمين بتحليل مضامين القصص الكردية وله كتاب «القصة الفنية الكردية».

وقد اسهم في ملتقى القصة العراقية في صلاح الدين ببحث قيم ساهم في اعطاء صورة ناصعة عن الادب القصصي الكردي، ونال اعجاب الحاضرين، خصوصا ان التواضع العلمي بلغ به حدا انه لم يشر الى اسمه او قصصه بما تستحقه من اشارة وتنويه.

ان حسين عارف قاص متمكن يمتلك الادوات الفنية التي تجعل من قصصه ناجحة بحق.. وفي قصته هذه التي ترجمناها، يستخدم فن التداعي واسلوب الحوار المباشر وكذلك تقمص الشخصيات دون ان تظهر لسات الكاتب انما بقصد توضيح احاسيس البطل ورسم خط تطوره الطبيعي دونما اقحام

او فجاجة، هذا كله اضافة الى لغة الشخص الثالث من قبل الكاتب مما يجعل قصته هذه موفقة تماما.

«١»

فجأة ساد المكان جلبة وصخب. انتبهت مذعورة وهي ترفع رأسها المدفون في حضـــن امها، تأملتها جيدا، اصابها ذعر واضطراب لما بدا على قســماتها، حركت شفتيها قائلة:

-اسرعي، ايقظي اباك..

اصبهـــا ذعر اكــبر لتلك اللهجــة، وبقيت جامدة لاتقوى على شـــيء، فانتفضت امها واقفة واعادت:

-اركضــي.. ايقظي والدك.. هيا. بلغت المــكان القريب من (الطارمة) بأنفــاس لاهثــة، كان والدها قد نهــض ايضا لتلك الجلبة واســتقام على قدميه وهيئته تنبئ عن الاضطراب الذي يلفه.

«٢»

«بعد حوالي نصف ساعة، بل ربع ساعة من تلك الجلبة، كان اول ديك قد اعلن تباشــير الفجر الجديد، واجابت الديكة الاخرى محكومة بغريزة القطيع.. اما انت فقد كانت رعشة سحرية تغزو اعماقك..

-آه.. لقد انتهى؟!

نعم لقد انتهى.. هكذا اجبت نفســك وشعرت بما يشبه التنفيس عما هو محبوس في الصدر وتنشقت هواء ملء رئتيك في ذلك الصباح.. وقتذاك كنت متمددة على ظهرك، عيناك كانتا مزروعتين في كبد الســماء.. يلف اعماقــك حين كنـــت قبل ذلك تركزيـــن بصرك على المع نجوم الســماء وتئنين:

-آه يا نجمتي اللامعة.. آه..

كانـــت عيناك لا تحيد عنها قيد شــعرة منذ أن تمددت لتنامي، كانت ثمة ذكرى تلتمع مع بريق النجمة في الذاكرة وكانت للذكرى صدى تصدح في الاعماق:

(قال لي:

-تأملي السماء بأكملها.. واختاري لنا نجمة..

بحثت في السماء، وجدتها، اشرت اليها بأصابعي.. وقلت: هذه..

تأملها ايضا.. التمعت اســاريره اعتباطا، لف ذراعه حول عنقي ثم قبلني وقال:

-وانا ايضا)..

النجوم كانـــت تميل الى الرحيل تدريجيا، نحــو المرتفعات القريبة ثم تنزلــق بحذر نحو الجانب الاخر وتتمرد على مــدى رؤيتك، بعدها ظللت تتململــين ضجرة في مهــاوي الحيرة بحثا عنها حتى عـــلا صياح اول ديك معلنـــا بدايـــة النهار، حيث تبعتها الديكة الاخرى فغزت رعشـــة ســحرية اعماقك ايضا، فتنفست الصعداء..

«٣»

عجيب!.. كان يجب ان تنامي بعد ذلك، لكن لا.. صحوت اكثر! ونهضت جالسة لكنك لم تحركي ساكنا: لم تعرفي ما الذي تريدينه بالضبط في تلك اللحظات! وفجأة اســتويت قائمة بل اكثر من ذلك، اخذت تهبطين نازلة على الدرج، كانوا نياما لم يستيقظ منهم احد بعد، الا تلك الكلبة العجوز التي هرعت نحوك مستقبلة، حين رأتك ووضعت رأسها الكث بين قدميك علــى الارض، ثم اخذت تهز ذيلها، لم تهتمي به، بل واصلت طريقك نحو الداخــل، هناك قصدت صندوقك المعدني الكبــير، رفعت غطاءه تبحثين عن شيء..

(آه.. اخبرته..

-ان ذهبت هذه المرة الى المدينة، ارجو ان تجلب لي من هذا القماش ما يكفي لخياطة ثوب..

ضحك بوجهي، ووضع قطعة القماش- النموذج على عينيه ثم رحل.. وانتظرناه الى العشـــية.. الى ماقبل النوم.. الى مابعد ذلك ايضا غير انه لم يظهر.. اردت ان اغفو، غير ان النوم كان قد جافى عيني.

«٤»

انزلــت غطــاء الصندوق المعدنـــي واتكأت عليه، وصعـــدت في صدرك حســـرة اخرى ثم تأملت الشـــباك المقابل، كانت قمة الجبل تبدو منسقة كأنها طابوقة مقطعة بانتظام، ظللت تتأملين المنظر ثم سرحت.

-بنيتي ماذا ألم بك..؟

فاجأتك امك، تأملتها جيـــدا، وبدل ان تتأملي قمة الجبل مرة اخرى ظلت عينـــاك معلقتين بوجه امك، غير ان اعماقـــك كانت ممزقة وثمة نـــيران تعتلج فيها.. فجأة انفجرت في بكاء مر وانت تســـقطين رأســـك في حضنها.

وحين انتظمت الجلبة في مســـيرة مضطربة قـــرب الرابية التي ترقد القرية بالقرب منها كانت عيناها مثبتتين على الصندوق المعدني الكبير؛ الذي كان يهتز بانتظام على ظهر الدابة، حيث ربطوا الصندوق الذي كان يلتمع تحت اشعة الشمس، كان المنظر يذكرها بالنجمة اللامعة التي كانت تولد تلك الرعشة السحرية في الاعماق بسرية تامة..

- نشرت القصة باللغة الكردية في مجلة «رؤشبيرى نوێ» العدد (٦٤) ١٩٧٨

- جريدة (العراق) العدد ٩٩٧، ١٩٧٩/٦/٩

# عشق تؤطره قصتان

## ترجمة: محمد صابر محمود

القصة الاولى:

شـــرعت ترتقي –ثانية- مدرجات السـلم، سـاقاها كانت ترتعشان. فرائصها ترتعد خشـية تفقد توازنها، فتسقط، وتتهاوى من علياء الدرج. كل مـرة كانت تتشـبث بموطئ قدميها بقوة، مـن قبل ان ترفع احداها لتصعد درجة اخرى.

في اللحظـات الحرجة تلـك كانت تود –من صميم قلبهـا- لو انها لم تصـل –قـط- الى الطابق العلوي. لـو كان بيدها الامـر لصعدت درجة، ثـم ارتدت فهبطت دركتين[1] «.. اف يا ربـاه.. اف...» ثمة ذعر، وحنق شـديد ان كانا يوغران صدرها. يجيشـان –في اعماقها- جيشـان المرجل. يأخذان بتلابيبها، تغص بهما، فيطفحان صريرا ينبعث من بين اسـنانها، واضطرابا لاتملك ازاءه سـوى ان تقظم شفتيها غيضا، وقد غرق جسدها المنهك –من جرائها- في بحر العرق السـاخن. كانت تحس بقطراته، وهي تتصبب من ناصيتها، ومن جوانب صدغيها، فتتنزلق على كتفيها، وعنقها، لتأخذ طريقها جداول تسـيل على ظهرها، وفوق نحرها، وفيما بين ثنايا

نهديها.

«.. أف يا الهي.. أف..».

القصة الثانية:

[ساكن، لاحراك به. واجم لاينبس. اجفانه تنطبق على بعضها البعض -ببطء شديد- كمثل مقلتي مرهق يداعبها النعاس- ثم ترتد منفرجة. باصرتـــاه نابتتان على بـــاب المقهى. يحدق في اديم الشـــارع دن ان يبصر شـــيئا ما. فقد كل احســـاس بما حوله. انها للحظة صمت رهيبة بهيكله -وحـــده- يتراءى كائنا، والا فمن حيث الشـــعور، والوعي، او التفكير فانه فقد كل صلة له بالكينونة.

-ماذا بك؟!

-....

-إياك اعني.. مابك؟!

صديقـــه هو الذي كان يهزه من كتفيه. عندما دلف الى الداخل، والقى بالتحية، ومن ثم جلس بجانبه، وحتى حينما بادره بسؤاله ذاك، فانه لم يكن قد احس به، او وعاه، ولا كان منتبها اليه البتة، ولكن عندما اضطر -اخيرا- الى ان ينفضه من كتفيه اذاك -فقط- افاق من غيبوبته، وتنبه، غير انه -بتثاقل شديد- ادار بوجهه اليه. تفرس فيه بصمت. لبرهة من الوقت ارســـى- على محياه- نظرة حيرى. بعدها- وبالتثاقل ذاته- اشـــاح عنه بوجهه، ثم مد يده، فاشـــعل ســـيجارة. جذب منها- على مهل- نفسا عميقا. عادت -بعدها- باصرتاه، فتسمرتا -ثانية- على باب المقهى..].

القصة الاولى:

بعدما ارتقت درجات المرقاة، وانتهت الى الطابق العلوي، كانت خفقات

قلبها تتناءى الى سـمعها، وكأنها اصوات طبول تسمع من بعيد. ارتعاشات ساقها كانت تزداد شدة. كان يستبد بها احسـاس وكان تيارا من اللهيب يتدفق، من مسامات جسدها كله مندلقا نحو الخارج. في غمرة ذلك القلق الذي كان يسـاورها لجالت -في سيمائهن- نظرة عجلى خاطفة. وكأن قد صعقتها مسـاعقة في الصميم. اعين اسطورية سـت، ملغومات بالرعب.. سـت احداق جواحظ، لثلاثة من التنانين[1] تقدح بالشـرر، وهي تقذفها بشواظ من نار.

اغتلـى- في اعماقهـا- الذعر والغيظ. سـمرا قدميها بـالارض. اوهنا ساقيها. تخاذلت خطواتها.

كانت تسـمع همساتهن. تسـتطيع ان تميزها. معظم ما كان يدور -بينهن- من حديـث، تتلقفه اذهانها بوضـوح. كان، وكأنه جذى من نار تلذع سـويداء قلبها. كانت تتمنى لو تنهال- بكل مالديها من قوة -بتلك الصينية التي بين يديها- على رؤوسـهن.. «هيا افعليها.. وليكن مايكون.. الى جهنم، وبئس المهاد..».

-بنيتي، يا شيلان!..

انتفضت لنداء امها الذي بعث الحركة في سـاقيها المرتعشتين. تقدمت الى الامام. دنـت حتى صارت بازائهن. انحنت بجذعهـا. مدت كلتا يديها بالصينية. ابصرت يدا معروقة، واثنتين بضتين[2] وقد امتدت فوق صحن الصينية. راتها، وهي تلتقط بين راحات كفوفها، كاسـات الشربت الثلاث، ثم ترتد عائدة من حيث امتدت. خلال ذلك استشعرت -ايضا- بان تلك الاعين الاسـطورية الست، القادحات بالشـر تحاول جاهدة ان تنقب عن كل ذرة من تفاصيل جسـدها. تنبشها من قمة رأسها الى اخمص قدميها. تحاشـت النظر في عيونهن. انسـحبت الى الوراء. راحت فجلست قبالتهن.

وضعت الصينية فوق حجرها. حدقت في صحن الصينية. باصرتاها نبتتا على صفحتي عارضيها هي..

القصة الثانية:

[مازال الصمت يلجم فاه. لما يزل ساهيا عن صاحبه، وعما يدور داخل المقهى، وما يجري على اديم الشارع، الا انه -في اعماقه- يتقلب. يتلوى. يتلظى. صبر صاحبه ينفذ. بكلتا قبضتيه يمسك به من كتفيه. يدير بوجهه الى جهته قسرا.

-هلا تخبرني، ما دهاك؟!

-.....

-او ماتخبرني؟!

-......

-ولم لاتبوح لي؟!

ظل ابتسامة مريرة، مفعمة باليأس قفز على شفتيه. رسم عليهما لوحة كئيبة. بعد لأي اجاب:

-وما الفائدة؟!

-علني استطيع مساعدتك.

رفع يديه الى الاعلى، فأزاح بهما قبضتي صاحبه من على كتفيه هو. حينئذ -فقط- اضاف:

- لن تستطيع!

بعدها اشاح بوجهه عنه، معيدا اياه الى سابق وضعه. خيم عليه الصمت- ثانية..].

القصة الاولى:

«مـا الـذي يبتغين؟ لـماذا يضايقنني هكـذا؟! هذا ثالـث وجبة من الخاطبات خلال هذا الشهر..!».

رفعت رأسـها. تأملت فيهن. الاعين الست مازالت تقذفها- كمجامرمن نار- بشواظ من اللهب. الالسن الثلاثة الحداد لما تزل- كحد الموسى- تنهال على كل جارحة من جوارحها، حزا، وتقطيعا.

-وقى الله عروستنا شر الاعين، كم هو عمرها؟!

-بعد شهرين اثنين، سوف تكمل السادسة عشرة.

-على مايبدو، انها متأخرة في الدراسة.

-اجل بحوالي سنتين على وجه التقريب.

-يا آنستنا شيلان، يبدو انك، ليست لديك رغبة في اكمال تعليمك!

-.....

-ألا ترغبين فيه؟!

وهي لم تكن براغبة في الاجابة مطلقا. آثرت السكوت، فلم تنبس.

-شيلان! يا شيلان..

إنتفضت -ثانية- لنداء امها المفعم بالعتاب.

التفتت اليها. حملقت فيها بعينين حائرتين. في غمرة حيرتها تلك اجابت:

-بلى..

ارتفعت النواظر الســت من على سيمائها. تساقطن الواحدة تلو الاخرى، فوق سيماء بعضهن. باستغراب شرعن يحدقن في وجوه بعضهن البعض. ذات اليد المعروفة زمت من شفتيها. -بايماءة منهما- اجابتها الاخريات. هي نهضت، فوقفت على قدميها. تبعتها الاخريات ايضا. ثلاثتهن بصوت واحد بادرن:

-وداعا.. بيتكم عامر..

خطون صوب درجات السلم. مررن من امامها. انزلقن هابطات. شعرت بالدماء تســري في عروق ساقيها. بدأتا تكفان عن الارتعاش رويدا رويدا. وصلت النســوة قبالة باب الحوش. الباب، وانســللن خارجات استشــعرت الســكينة وهي تغمر كيانها، وبالاشــراقة، وهي تطفــح على محياها من جديد. عاودت النظر الى الصينية التي كانت تستقر فوق حجرها. إطمأنت الى انها لم تكن تحلم.

القصة الثانية:

[.. إنه الآن يحلم.. رأى فيما يرى النائم، بانه قد اســتحال الى اعقاب. طفــق يرتفع من صوب كرســيه. يطير فوق بــاب المقهى. يبلغ في طيرانه منتصف الشارع. من هناك يرتفع صاعدا الى عنان السماء، ومن ثم يصفق بجناحيــه، ويمضي.. يمضي حتى يصل المكان الذي يرتجيه. يحوم حوله مرتين، او ثلاثا. يلمحها وهي واقفة على الشــرفة تنتظره. عندئذ يهبط مــن عليائه. يمســك بها مــن ذراعيها، فيلفهما حول عنقــه بقوة. يطير -ثانية- مصفقا بجناحيه. يطير بها، ذاهبا بها الى قمة جبل وعر المسالك، يطاول السماء، بحيث لن تستطيع يد اي مخلوق ان تطالها.

**الهامش:**

١-الدركة: الدرجة اذا اعتبرت النزول لا الصعود.

٢-التنانين: جمع لـ(تنين) وهو الحية العظيمة.

٣-البض: رقيق الجلد، ناعم في سمن، والواحدة (بضة).

من مجموعته القصصية الموسومة بـ (زاد سفر شاق) مطبعة دار السلام/ بغداد/ ١٩٧٩.

تاريخ القصة: ١٩٧٧/١/١٧

# حيوان

## ترجمة: عبدالستار كاظم

[وجــه اليوم بشـوش، تطفح الابتســامة على شــفتيه. انها لفرصة، لاتضعها من المحتمل الا تسنح لك هذه الفرصة لأسبوع آخر. لاتضعها].

هيأ نفســه. زرر ســترته. تنحنح ليهيئ حنجرته للكلام. تقدم نحوه بأدب جم. وقف على بعد خطوتين او ثلاث، اتخذ قراره، خطا اليه. ولكن خطوته تسمرت. «كيف افاتحه؟! بماذا ابدأ؟!.

أبــلا مقدمة؟! صعب. لايمكن! من الافضل في البدء ان امهد الســبيل. اجل يعني احرق له بعض الشــمع والبخــور.. ارش عليه بعض العطور.. اهــدي اليه عدة باقات من الزهور. عند ذاك افصح له عن مطلبي شــيئا فشــيئا. اظهر له اول مرة ان ليس لي اي مطلب. احاديثي تلك كلها ماهي الا من اجل اظهار رضاي وسروري انا، ماهي الا ان افهمه كم انا محظوظ وســعيد، كــم انا مرتاح البــال وفخور، ثم بعدها اعمــد الى القاء كلمة او اثنتين ذات مغزى على مســامعه. ولكن لا ادع مغزى كلماتي صريحة غير مقبولة. يجب ان تكون رقيقة جدا. يجب ان تكون احلى من السكر، ان لم افعل كذلك فان غزلي سيصير انكماشا. انني اعرفه من اي جبلة هو، خبير

لا بكبريات عروقه بل حتى بصغرياتها ايضا. اعرف ان كل عرق صغير، اي مكروب واي مــرض اتخذه وكرا له، اعرف كل عرق كبير فيه بأي جنين لاي نــوع من الافاعــي حامل، اعرف.. اعرفه جيدا، لهذا علي ان اشــرع، احســب الف حساب وحساب لكل كلمة تخرج من فمي. ماذا اعمل!.. مادام هو كذلك، فانــا مضطر ان اكون كذلك ايضا ماذا افعل.. هذا ماكتب على جبيني. هذه هي قسمتي من الازل. انه في لوح الوجود، ليست لي في الامر يد. كان يسرني ان يكون انسانا اعتياديا. كان يسرني ان يبادر هو ليقول: ايا اخي.. ايا فلان.. افصح عما في قلبك.. قل ما انت تريده. كان يســرني ان يســرع هو من جانبه ليلوي خرطومي قائلا: شيء ما على ملامحك.. اقرؤه في هيأتك. اســرع وقــل لأعرف ماهو؟ ولكن مــاذا افعل. انه ليس كذلك.. ها انني ومنذ شــهرين اتلوى بهذه المسألة. شهران وانا من فرصة لفرصة معه. في كل فرصة اجعل من نفســي امامه مســتجديا.. خادما.. خنوعا خضوعا، اقف بين يديه حزينا. اقف على اهبة الاستعداد عسى ان يقول: ماذا بك؟.. ماذا تريد؟ لكنما لاقدر الله ان يقول شــيئا كهذا. يبدو انه لايتفوه به. وكيف يتفوه به؟! او لســت اعرف من اي جبلة هو.. او لا اعرف ماذا في عروقه! حقا وماذا يمكن ان يكون فيهن!؟ ماذا اقول: ليس اكثر مما قلت. انه لكذلك.. صغار عروقه فيها مكروبات انواع الامراض.. كبــار عروقه فيها اجنة لانواع الافاعــي والا تفضل إنني واقف كالعبد في حضرته اكثر من دقيقة دون ان يرفع رأسه ليلقي علي نظرة!.

ليســأل ويقول: الا يا هــذا ماذا تريد؟ اياتــرى الا يحس بوجودي؟.. لماذا؟!.. ثم انني لســت كما يقال ذا جسم ضئيل هزيل لايجلب انتباهه.!. وزنــي اثنان وتســعون كيلوغرامــا. قامتي طولها مئــة وثلاثة وثمانون ســنتيمترا. يعني عريض طويــل، لكنما لايحس بي. انــه امرؤ عجيب!.

لئن يرســب للشكل والهيكل حســابا فهذا هو الشكل والهيكل. واذا للمهارة في العمل فوالله إنني اعرف عن العمل ســبعمئة مرة عما يعرف. وان كان الاخلاص والجهد، فانني كالبغل، اي حمل هو الاثقل ليضعوه علي سالقي به على قمة اي جبل مستعص ولا اقول لا.. وما قلتها قطا. حقا انه امرؤ عجيب!.. لا ادري اي حســاب يحســب؟! لا ادري بم يتعرف على الثور؟ لا ادري كيف افهمه بأنني ثور!. أجل انا ثور!. انا ثور!..»

من شــدة ماكان متأثرا لم ينتبه الى نفســه، اذ قــال عبارته الاخيرة بصوت عال. وفي ذات اللحظة انتبه الى سقطته ولكن بعد ماذا؟! لقد سبق الســيف العذل، كان (البيك) قد رفع رأسه. شــاخصا بعينيه المفتوحتين تحملقان فيه. تطلقان علامة سؤال مرعب نحوه.

ســرت في قلبه رعشــة. بعدها شــرع بخفقان مهيب. كان يتراقص في قفص صدره كدجاجة مذبوحة.

«قاتلك الله ماذا فعلت».. جئت لتكســب لحية فخســرت الشارب ايضا، ماذا ســتقول له؟! كيف تنقذ نفســك؟! انه دونما اي شيء يتفجر تفجر (الصعادة) دون ان يتحدث شــيء ما يخرج ابويك من اللحد. الا تعرفه؟!.. مــاذا انت فاعل الآن؟! انه الآن مبهــوت، انظر كيف ان عينيه محملقتان، انه مازال خدرا، الكارثة قد خدرته. عن قريب ســينفجر، واذا ما انفجر اتعرف ماذا ســيفعل؟! اتعرف ماذا ســيقذف من فمه؟! أي درر وجواهر؟ فلو تســنى له لهاجمك وتولاك ركلا. ولكن لايتسنى له حسنا لو انها اخذ عبرة من المرة الســابقة. انه تــولاك دفعا ولكنه وقع ارضا، انه كالعصفور حجما وانت عفريت عملاق. الخير في هذا لاخوف عليك من هذه الناحية. انه يستطيع ان يسخر فمه ضدك. فليفعل، انك معتاد عليه. درر وجواهر ينثرها فلينثرها حتى يملأ الارض والســماء. ماذا يهمني، المبتل لايخشى

من البلل. بماالذي اصنعه به. صار لي شـهران وانا اريد ان احدثه به. لم يعطني اية فرصة لا الآن ولا قبل الان. صار سـرطانا في قلبي ماذا اصنع بـه هو المخطئ هو الذي وضعني امام هذه الحالة. ان تكلم سـألقي حبلها على غاربها واصارحه، سألقى حبلها على غاربها ولا اتقبل منه. سافرغ له كل ما في قلبي، بعدها اقول له ايضا، انك لسـت آدميا.. إنك حشرة. اقول لـه: انت افعى انت عقرب.. انت عنكبوت.. انت صرصر المراحيض.. ماذ يفعـل.. ها.. يعني ماذا يفعل؟! انه بحجم العصفور وانا عفريت عملاق. استطيع ان امد يدي هكذا وآخذه بين كفي مثل.. عود يابس اضع ظهره على ركبتي واقصمه نصفين. اجل.. سـالقي حبلها على غاربها يفتح فمه القذر القنه درسا. انني.. حيـ.. وا.. ن.

صراخ «البيك» هذا هز باب وشـبابيك غرفته، وجعل هذا ينط ايضا كالبرغـوث، وعندما توضح منظر (البيك) امـام عينيه، لاحظ (البيك) واقف له على قدميه، وقد غدت عيناه شـعلتي نار، فمه يرغو، واسـنانه تصر على بعضها. جسـمه يرتجف كالقصبة، هذا المنظر جعل من جسمه هو ايضا يرتجف. حملق بعينيه نحوه. عيناه المحملقتان رأتا جسد (البيك) المرتجف ها انه يتحرك باتجاهه. فكر..

«يـا ترى ماذا سـيفعل؟! ماذا ينتـوي؟!.. دفـع؟! ركل لا اعتقد. لن يفعل. المرة السـابقة. اذن ماذا؟!.. صفح؟! محتمـل، ولكن لاتحصل يده لراسـي بسهولة. اخشى ان يبصق علي، يسوؤني هذا كثيرا. لايدع ايمانا في رأسي. في المرة السابقة كنت اكاد اثيرها مشكلة. لقد كدت. ما اشد ابتلائي بصرصـر المراحيض هذا. لا ادري ماذا افعل؟! إنني سـيئ الحظ، تعيس، بائس. ماذا افعل هذه هي قسـمتي. ارثا ورثته. اما انني استطيع ان امد اليه يدا افركه كالقملة، ولكن لايجوز، هو (بيك) وانا فلاح. هو ذو سلطة

وانا مسكين. هو رب وانا عبد، والعبد ماذا يستطيع ان يفعل تجاه الرب! انه يستطيع ان يقول خذوه واقطعوا من جسمه قطعة لحم يوميا.. بله يستطيع ان يقول خذوه وفي ساحة وسط المدينة جردوه من ملابسه وبعمود..

-حيـ.. وا.. ن.

الصرخة في هذه المرة مزقت غشـاء طبلة اذنه. وعندما انتبه الى نفسه، وجد (البيك) يقف بجنبه وقد وضع فمه في فتحة اذنه مباشرة، احتار انبهت!. «آه!.. صار البيك طويلا!.. البيك صار طويل القامة! البيك كانت يده لاترقى الى رأسي ليصفعني! في حين ها أن البيك قد وضع فمه على اذني!».

نسي كل شيء آخر. إحتلت تلك المسألة كل تفكيره. أراد ان يعرف السر على عجل. تراجع خطوة الى الوراء. تمعن، إندهش في البداية، اجال نظرة بالمشـهد، كان البيك قد جاء بكرسـي الى جانبه واعتلاه، البيك بهذا قد اوصل فمه الى قرب اذنه واطلق صرخته فيها. نسي كل شيء آخر. اخذته الضحكة في سره على هذا المنظر وهو يقول ايضا.

«الا يا لبؤسك وبؤس اطوارك هذه» اي بيك انت؟! البيك كيف يجعل من نفســه مســخرة هكذا؟! تفضل لـو ان احدا رآك بهـذه الصورة ماذا سـيقول؟! الا يقـول ان البيك قد جن؟! او علـى الاقل الا يقول ان البيك لكونه هزيلا ضئيلا مالم يرتق على كرسـي لايسـتطيع ان يصرخ في اذن خادمـه؟! والله يا اخي انه بيك حقير غير ذي شـأن. والله وددت لو انني اركل الكرسي ركلة ارمي به ارضا كالدمية الرقاصة.. وددت لو..

-حيـ.. وا.. ن.

كان البيك قد نزل من الكرسي، ولكنه جاء الى ما تحت ابطه ووقف على رؤوس اصابعه، ويصرخ في اذنه، وكان جسده مازال يرتجف كالقصبة، عيناه كانتا شعلتي نار، فمه مازال يرغو على اسنانه. تراجع هذا خطوة ارخى الى

الوراء. تبعه هو، خطوة اخرى ايضا وهو يتبعه. فكر في الامر. قال في نفسه:

«اخشـــى ان يفعلها ويبصق علي. لا ارتضيها هذه المرة ســأطبق كفي على رقبتــه ولا اتركه الا مخنوقا. ولكن لمــاذا.. ارفع يدي هكذا واضرب بجمع يدي على هامته واصيره رشــقا على الارض!. لكنه لايفعلها.. اعرف انه لايجرؤ ان يبصق علي.. في المرة السابقة قطبت له مابين عيني بشكل جعلته عاقلا لســبعة اجيال. انسحابه ذاك الذي انسحبه الى الوراء لم يكن لــه من بعــد تقدم. هذا عدا عن انه ذهب الى النافذة وظل دائرا لي ظهرا لم يكن له بعدها التفاتة.. وانا ايضا القيت على ظهره نظرة شزراء نارية تقطر حقدا وكراهية وفي الحال خرجت متباهيا، لا يستطيع البصق علي. لا لا يستطيع.. لايجرؤ. ظهر له في تلك المرة كم انا انزعج من البصق. اي شيء آخر يفعل فليفعل الا هذا...

-تفوو.. حيوان

فعلها البيك، بصق عليه. اما هذا ففي اللحظة الاولى استرخى في مكانه، في اللحظة الثانية شــعر ببصقة البيك التي انحدرت كقطرات الصمغ على صفحة وجهه. في اللحظة الثالثة شــعلة نار التهبت في وجهه وامتدت من قمــة رأســه الى اخمص قدميه. في اللحظة الرابعــة انتقلت اللهبة التي في جسده الى داخل فمه وتجمعت فيه وفي اللحظة الخامسة صارت دوامة من بصاق وخلف شفتيه تهيأت للقذف. في اللحظة السادسة قذفت.

-تفوو عليك انت وانت حيوان يا حيوان.

عن مجلة كاروان العدد الخامس/ السنة الاولى.

# الشاهد

## ترجمها وكتب عنها: محيي الدين زەنگەنە

ثلاثة او اربعة اشـــباح يتحركون في عشوائية. من المؤكد انهم يقررون مسألة او يستعدون للقيام بعمل ما، ليس بوسع العين ان تتبينهم بوضوح كاف. اذ يتجنبـــون المناطق التي يضيئهـــا القمر.. ويتكومون على بعضهم في الظلام.

«ما شأنك بهم؟ دعهم يفعلون مايفعلون، ثمة اشياء كثيرة لا يستطيع الانســـان تنفيذها الا في الظلام، دع كل ذلك اذن. وعد الى فراشك انتظر.. قد يكون من الافضل ان تغلق النافذة ايضا».

عندما انتفـــض من النوم اثر كابوس ثقيل، جلس مســـندا ظهره الى الحائـــط، تناول ســـيجارة وراح ينفث دخانها، حلقـــات متداخلة في هواء الغرفة الراكد..

كانـــت ثمة حديقة رائعة تحيط به.. ظل يتجول خلالها. حتى انهكه التعب، فاراح جســـمه المكدود قرب شـــجرة جوز باسقة، على مقربة منه كان الماء يتدفق من نبع يشـــبه المراة، رقرقاً صافياً. ولكن الماء لم يلبث ان اخذ يعود القهقري الى النبع، احتضنت شجرة الجوز.. اهتزت بعنف.. ثم..

ثم.. طراب..

القى نظرة على زوجته كانت تغط في النوم، مال عليها برفق، قبلها بحذر احس بلزوجة في خدها، كان هو نفسه غارقا في العرق.

-الحر لا يطاق.. لافتح النافذة ثانية..

تحرك نحوها، اندفع الهواء، داخل الغرفة، باردا.

في الخارج كان البدر لايزال يغسل الليل بنوره، وقف هنيهة، هبت نسمة احس بانتعاش، اذ لامست جلده، عبر «بجامته» المبللة. وهو يرقب ارتعاش اوراق الاشجار، اضواء البدر تتكسر في صفحة مياه الجدول الصغير، التي تجري بارتخاء امام الدار.. بينما يلف الدار نفسها والبستان التي قبالتها صمت موحش لاينجو من قبضته غير شقشقة الماء، التي تبدو هي الاخرى كأن احدا يخنقها. اخذت نظراته.. ترنو اليهم.. تخترق العتمة..

«يا الهي.. انهم.. هم.. الساعة. قد تجاوزت الثالثة ماذا يفعلون في مثل هذا الوقت.. بالله.. لكم يبدون منهمكين، في عملهم.. النتيجة!! كيف يمكن الوصول الى اية نتيجة.. وانت لاتتبينهم الا اشباحا..»

ظل جامدا في موقفه. تحركت قدمه اليمنى. اذ سحقت عقب سيجارته. اشعل ثانية. زوجته لاتزال تغط في النوم.. ود لو يوقظها. لكنه لم يفعل.. عاد الى مراقبتهم.. انهم مايزالون هناك..

-فقط.. لو اعرف.. ماذا يدور هناك.

«ما شأنك انت؟ ثمة اشياء كثيرة لا يتم انجازها الا في الظلام.. عد الى نومك.. ولا تنس.. النافذة..».

الا ان انشداده اليهم، هذه المرة، كان اقوى منه. فظل مرابطا في موضعه يتصبب عرقا، وهو لايزال يحمل كل فضوله، وحب استطلاعه. وقلقة واضطرابه ايضا عبر طيات نظراته التي يحاول بها اختراق الظلمة..

توقف الاشــباح عن العمل.. رآهم يمشــون. مغادرين المكان.. يا الهي.. انهم يتركــون.. باتجاهه.. باتجــاه داره.. ثمة ثلاثة مســالك، احدها الى اليمين، والاخر الى اليســار.. والثالث.. هو الــذي يقود الى دارك.. وها هم يسلكون الثالث.. ما اغرب ذلك.

احــس برجفــة، ثم قــرر، ليأتوا.. ساعرف، على الاقل، مــاذا كانوا يفعلون!! حين اقتربوا من النافذة، ابتعد هو عنها.. اختفى خلف الحائط، دقات قلبه اخذت تعلو..

-حتى الله نفسه.. لن يكون بوسعه اكتشاف الامر.

-لاتكفر..

-صحيح.. لا ينبغي ان تكفر.. استغفرالله..

-انا اكفر؟.. ابدا! ايمكن ان يحدث شيء في الدنيا، دون رضاه، سبحانه وتعالى؟

-لا.. بالتأكيد.. لا..

-ولكن.

-ولكــن ماذا؟.. كل ما جرى له كان مكتوبا على جبينه ربما حتى قبلما يولد.

-صحيح..

-اذن.

-كفاكم.. هذه الثرثرة.. لنذهب..

تفرقوا.. كل واحد الى جهة، بقي وحده مشــدودا الى الشــباك يفترسه القلــق والاضطراب. عند الفجر تململت زوجته، انقلبت لتدس نفســها في احضانه واذ لن تجده انتفضت:

-ماذا تفعل عند الشباك.

-ها.. لا شيء.. لا شيء..

هز رأسه بلا مبالاة.. ترك الشباك.. القى بنفسه في الفراش.. تمدد الى جانبي.. لينام.. ولكن عينيه. ظلتا مفتوحتين.

* * *

## حول قصة "الشاهد"

منذ فترة ليست بالقصيرة واسم حسين عارف يتردد بين المثقفين الكرد كواحد من المجددين في القصة القصيرة، في الادب الكردي سواء على مستوى الشكل ام على صعيد المضمون.

واذا كان حسين قد بات معروفا الى حد بعيد في اوساط المعنيين بشؤون الادب الكردي فان الفرصة، باعتقادي، لم تتح له حتى الان، لكي يتعرف على كتاباته المثقفون العرب، بسبب ما يعانيه الادب الكردي عموما والقصة الكردية بوجه خاص من قلة اهتمام، كدت اقول، اهمال المترجمين والدارسين.

وقصة «الشاهد» هي اخر ماكتب القاص، وقد نشرت في جريدة «هاوكاري».

لست ازعم انها افضل ما كتب. اذ له قصص يمكن اعتبارها افضل منها، امل ان اتمكن من تقديمها ذات يوم.. ولكنها قصة ذات نكهة خاصة، -فيما يبدو لي- تستمدها من ذلك التركيز الشديد، والاقتصاد —الى حدّ البخل- في الكلمات وفي تمردها على الاساليب التقليدية التي لاتزال القصة —الا في نماذج نادرة- ساقطة تحت تأثيرها شكلا ومضمونا.

منذ الكلمات الاولى «يقبض» الكاتب على اهتمام القارئ، ويظل بعد ذلك يشحن هذا الاهتمام بمزيد من التشويق والاثارة.

«ثلاثة.. او اربعة اشباح يتحركون..

ولحظة واحدة لايترك هذا الاهتمام يفتر.. او ذلك التشوق يضعف فيجد القارئ نفسه يتابع من خلال عيني البطل، بلهفة متوترة.. مرتجفة ما يجري في الظلام.. متوترة لان البطل متوتر.. مرتجفة لان البطل يرتجف خوفا.. تارة.. وانفعالا اخرى.. غضبا ثالثة..

وشيئا فشيئا يكتشف القارئ عبر اكتشاف البطل، حقيقة مايجري فاذا بها جريمة قتل.. اختار لها منفذوها عن سابق تصميم، الظلام ستائر لاخفائها «فثمة اشياء كثيرة لا يستطيع الانسان تنفيذها الا في الظلام».

وبالرغم من ان القارئ يكون قد ادرك حقيقة ماكان يجري. فان القاص، يضع هذا الحوار التوضيحي له، على لسان القتلة.

(-حتى الله نفسه.. لن يكون بوسعه اكتشاف الامر).

-.........

-... كل ما جرى له كان مكتوبا هلى جبينه.. ربما حتى قبلما يولد)).

لايقصد توضيح ماجرى، او شرحه.. وانما يكشف -عبر كلمات قليلة عن قناعات القتلة.. هذه القناعات القدرية، الغيبية.. التي لا تقدم فقط التبرير الاخلاقي بالنسبة اليهم، بفعلتهم الشنيعة وانما تمنحهم ايضا الراحة والسعادة.. لقيامهم بتنفيذ امر.. كان قد قضى الله به وقدر.. ولهذا فهم لا يحسون بأي ندم او تأنيب ضمير.. او حتى رغبة في المراجعة. فهذا النوع من القناعات الغيبية، يفرغ الانسان تماما من انسانيته، ويحيله الى مجرد اداة للتنفيذ.

وهناك ذلك الخطأ الذي يقع فيه دائما القتلة في حساباتهم وتقديراتهم الذي تكشفه الفقرة الاولى من الحوار..

فبالرغـــم من كل مظاهـــر الحيطة والحذر والتخفـــي، الظلام، الغابة البعيدة، منتصف الليل.. التي اتخذها القتلة، فقد كان ثمة انســـان يرقب ما يفعلون باهتمام ودقة.. ويستمع الى احاديثهم التي تجري تحت نافذته مباشرة..

مـــن المعروف ان الجري.. لا تختفي.. وان القات.. كما يقول شكســـبير «يض يحوم حول ضحيته».

في هذا يمكن تفســـير ذا الحوار الذي يجري تحت النافذة، والذي يبدو الامعان فيه مفتعلا.. او زا عن حاجة القاريء.. أو الاقل ان الكاتب الصقه الص لكي يزيد من معرفة القاريء لامور سبق وان عرضها.

صحيح ان مراقبة البطل وبالتالي اكتشـــافه مـــع الجريمة، قد جاءت مصادر بســـبب الحر الذي يحســـه دا غرفة نومه، بسبب السأم يشعره من حياتـــه الزوجيـــة الرتيبـــة، الا ان كل ذلك لاينب حقيقة تحوله الى شـــا للجريمـــة- وهذا ما حملني اغير عنوان القصة من «الظلام» الى «الشـــاها فالثقل الحقيقي، في رأي يمكن هنا.. في هذا الش العرض (ولكنه المهم جدا) بالرغم من انه يكتفي ط احداث القصة بموقف الش السلبي.. الا ان نهاية الق توحي ضمنا.. انه لن يظ كذلك الى الابد..

«تمدد الى جانب زوجته لينام.. ولكن عينيه ظلت مفتوحتين..»
ليسترسل المتلقي في تخيله للمشهد وتداعياته.

# الخبز والكراث المضرج بالدم

## ترجمة: محمد صابر محمود

رمـــى بآخر حمل من الحنطة من علـــى كاهله فوق الاخريات.. وبعد ان عالجـــه، بزحزحتـــه قليلا، فأخذ وضعيته المســـتقيمة الملائمة، انتزع اكافـــه[1] من كتفيه، فرماه ببرود، ودونما مبالاة، في احدى زوايا الخان، ثم شـــرع ينفض عن جسمه، وعن ملابســـه، ما تراكم عليهما من غبار. واذ تم له ذلك، اخرج منديله الفضفاض الشـــبيه بالشملة[2]، فأخذ ينظف به -ولفترة غير قصيرة من القوت- رأسه، وسحنته، ومن ثم كتفيه، وجوانب مـــن رقبته.. واذ فرغ من كل ذلك، دســـه – ثانيـــة- في صديرة حضنه.. عندئـــذ وقف صامتا، امام الحاج (عبـــدول)، صاحب خان العلف.. والحاج -بدوره- سرعان ما ناوله ورقة من فئة ربع الدينار، مردفا اياها بقوله: «هيا، اوصد ابواب الدكاكين من جانبك ايضا»..

كانـــت للحاج افضال كثيرة عليه. حيث انـــه كثيرا ما اغاثه، ومد اليه يد العون، والمســـاعدة، في اوقات الشـــدة، والضيق. اعاد مصاريع الابواب الى الاسفل، ومن ثم ثبت عليها الاقفال مبتهجا، مسرورا، ثم بادره قائلا:

-هل لديكم امر آخر، تتفضلون به، يا سيدي؟

قال الحاج في اجابته

-لا يا بني.. ارجو لك دوام العافية.. تفضل في امان الله.

عندئذ ودع الحاج، فتوجه قاصدا السوق.

هناك ابتاع بخمسـين فلسا لستة اقراص من الخبز البارد المعروض على السلال، ثم مر بأحد دكاكين بائعي الخضار، فانتقى ثلاث باقات من الكراث، بعشرة فلوس. بعدها اخذ سمته صوب البيت.

في تلك الامسية، كان (معروف) الحمال، ممتلئا غبطة وراحة بال.. حيث ان دخله لذلك النهار كان في حدود ثلاثة ارباع الدينار.. فضلا عن ان دخله اليومي طيلة ايام الاسبوع الفائت، لم يكن قد هبط عن مبلغ نصف الدينار، بأي حال من الاحوال..

وفي الحقيقة، ان هذا كان امرا نادر الحدوث، خلال هذه الاشهر الاخيرة، لانه ابان تلك الفترة، قد صادف، وامضى اياما، كان خلالها، اما انه لم يكن ليحصل على شيء مطلقا، او ان دخله، لم يكن ليتجاوز الثلاثة، او الاربعة دراهم.. والذي كان بالكاد، يكفيه لسد رمقه، ومعيشة العائلة.. لذا تراه الان يحدث نفسه بشيء من الاطمئنان، اثناء ماكان يسير، فيقول: «مع ما تبقى لدي، من دخل هذا اليوم، يبلغ ما عندي ثلاثة دنانير، وربع الدينار.. الان -إذن- بوسعي اكساء الاطفال شيئا ما بملابس جديدة، ولاسيما، وان الشتاء على الابواب.. حيث ان دينارا، ونصف الدينار يكفي لاكسائهم.. اما انا، فلعلني استطيع شراء معطف مستعمل من مبيعات (الفردة).. عمر الله بيت من جاء بملبوسات (اللنكة) الى الوجود.. حقا قد تعثر فيها على نماذج، لو فصلتها تفصالا، لكلفتك مبالغ باهضة جدا.. اعزهم الله، ورفع من مقامهم.. غدا سوف انقد ام البنين، مبلغ دينار، ونصف، لكي تذهب، وتقتني ما تشاء من الثياب الدافئة المتينة، لها، وللاطفال ايضا.. اما انا

فموجود على الدوام في السـوق.. سـوف اترصد معطفا من ذوات القماش السميك، المبطن بالفرو.. قسـما بالله، اكاد اجزم، بأنني لو دفعت لبائعيه اربعة عشـر درهما، او قل خمسـة عشر، فلسـوف يكونون ممتنين جدا، وشـاكرين لي ايضا.. حينذاك، فليسـقط الشتاء ماشـاء له ان يسقط من صقيعه، وثلوجه، وامطاره، على ام رأسي».

احـد معارفه، ممن كان حمـالا مثله، صادف ان مـر بجانبه، فحياه بتحية حارة.. انقطعت على اثرها سلسـلة تخيلاته، فرد عليه بأحسـن منها.. وما لبث ان انتقل رويدا رويدا، فيما هو مستمر في سيره، الى نفس الحديث: «لو صح تقديري، فسوف يفضل مما عندي مقدار دينار واحد.. وحسـبما اظن، بأنني لو ابتعت بقيمته ذخيرة لفصل الشـتاء، فسـيكون ذلك افضل من اي شـيء آخر.. سـوف ابتاع بقيمته: عدسا، وحمصا، و.. لا.. لو اشتري به وزنه من القمح، فأطحنها، ومن ثم اودعها البيت، لوقت الشـدائد، والضيق، لهو احسـن بكثير.. من يدري؟! ليس من المستبعد ان يتعقد الوضع غدا، ويتفجر ثانية!!..».

في الواقـع ان معروفـا الحمال، لـم يكن مخطئا في تشـاؤمه هذا، لان الحالـة في المدينة كانت على الدوام عرضة لتغيـيرات، وتقلبات، لاتخطر ببال اي انسـان، ولم يكن بمقدور اي شخص، ان يظل بمنأى عن كوارثها، وويلاتها المفاجئة.. ناهيك عن مصائبها، ومحنها، ومآسـيها، غير المتوقعة واذ بمراجعة آنية، أعاد امام ناظريه، شـريط الاحداث السابقة بمجملها، والتي حدثت داخل المدينة، واعاد -في الوقت نفسـه- الى ذاكرته، ماقاساه من عذاب، وما عاناه من جوع، وحرمان، والتي ذاق مرارتها، نتيجة لتلك الاحداث، شعر بشيء من الاطمئنان، فقال في نفسه: «حينما تتوافر لدي، تلك الوزنة، من الطحين في البيت، فانني في هذه المرة على الاقل، فيما لو

تدهــورت الحالة، وانصدع الوضع، -لاســامح الله- الوذ بالبيت، ولا احرك ســاكنا.. وحتى لو اعتشــنا على الخبز اليابس، فسوف نتمكن من تمشية ايامنا، الى ان يفتح الله علينا ابواب رحمته».

لقــد اثار الكلام عن التصــدع، والتدهور، وما يجلبانــه من المصائب، والويــلات، والكــوارث الرهيبة، جملة من الاســئلة في تلافيف مخه. قال محدثا نفســه: «حســنا.. علام يحدث كل هذا؟! هذه النغمات النشازة، الى متى؟! والله، ان رأسي لينتفخ من مثل هذه الاعمال.. اذا بك تفاجأ، وعلى غفلــة منك، بتدهور الوضع.. تعم الفوضى، ويســود الهرج، والمرج داخل المدينة.. تلعلع اصــوات الاطلاقات في كل حدب، وصوب.. وفي آخر المطاف حــين تهدأ الزوبعة تــرى المدينة بأكملها، وقــد ران عليها صمت مطبق، وكأنها مدينة الموتى.. او انك تســمع بان ثمة جثثا في البيت الفلاني، قد تضرجت بدمائها، وفارقت الحياة!!. يا للغرابة!!.. والله لامر غريب! علام يحدث هذا، ولأي سبب؟!!».

وفيما بعد، وبعد ان يشغل مخه قليلا، ويفكر فيه مليا، كان يردد مع نفسه بضجر، ويقول: «ليس هذا عبثا!!.. لابد ان هنالك شيئا ما!!.. لكنني في الحقيقة لا افهمه انني لست افهم ما مغزاه.. ولا ادرك كنهه!!..».

واذ فكــر فيه، وفكر، ومن ثم امعن في التفكير، ولم يتوصل الى نتيجة ما، ترك الكلام عنه جانبا، فســرح تفكيره في البيت.. في زوجته، واطفاله الصغــار فقال: «اليس يكفيني، مــن كل هذا، ان الله، جل جلاله، قد انعم علــي بزوجة حاذقة، وبثلاثة اطفــال صغار، ذوي وجوه ناظرة ممتلئين صحة وعافية، والذين يمنحون حياتي ضياء، ونورا، ويمدونني بالحيوية، والقوة اللازمة، لمواصلة هذا الكدح الذي يشبه كدح (فرهاد)[٣]؟!.. إذن، أنا مالي، ولهذا القيل، والقال؟!! لقد قيل: دع الخبز للخباز، واللحم للجزار!..

يبدو ان اولئك الذين يسلكون ذلك الدرب الملغوم بالتصدع، لابد ان يكونوا مــن غير المتزوجين، وليس بذمتهم اطفال صغــار، والا فكيف يجدون في انفسهم الجراة، على المضي في هذا الطريق؟!..». وفيما هو منشغل بترديد هذه الاقوال، قطع مســافة اخرى.. كان واضعا اقراص الخبز الســتة، مع الباقيات الثلاث، من الكراث، تحت ابطه، مطبقا عليها بقوة.. من دون ان يحس بنفســه، مد يده، فاقتطع مع الخبز قطعــة، فأودعها فاه.. مضغها برهــة من الوقــت، كي يتلذذ بها، ثم يبتلعها بشــهية.. اثارت في نفســه الاحســاس بالجوع. فقال في نفســه: «تــرى، لــو ان ام الاولاد قد طبخت لنا اليوم حســاء ساخنا، ســائغا، واذ اعود الان، فأملأ منه بطني بمنتهى الشــهية، والتلذذ، يا ليت ذلك الحســاء، كان بدوره من البرغل الريان مثل الهريسة!!.. انا ادري، بأن حساء البرغل الغليظ المعتبر، انما هو ذلك النوع المطبوخ باللحم الدســم!.. غير انني اعلم ايضا، بأننا اليوم ومثل ومعظم الايام الاخرى، لم يكن لدينا في البيت لحم ســواء أكان دســما، او من غير دســم!! لكنني مــع هذا راض به وحتى لو كان مطبوخا بالســمن وحده، فانني ايضا قانع وراض، علــى ان يكون مطبوخا طبخا جيدا، ويســيل مرقه، ودســمه كالهريسة، وشريطة أن يكون ريانا ما أطيبه من طعام!!.. وبخاصــة حينما يكون مع الخبز، والكــراث اللذين تحت إبطي. يا له من طعام لذيذ شهي!!.. يا له من طعام لذيذ وشهي!!.

في هــذه اللحظة بالــذات، وعلى مقربة جدا من (معــروف) الحمال، وقعت الواقعة، وكأن الارض قد انشقت، لتبتلع من عليها.. تدهور الوضع، بشــكل فظيع، ومربــك!!.. في البداية: لعلعت ثلاث اطلاقــات متوالية.. اردفتهــا عدة صليات.. ثم بدات تُســمَعُ اصــوات كالقرقعة. لقد حدثت هــذه كلها خلال بضع لحظــات.. غير أن معروفا المســكين، ومن الطلقة

الاولى، مثل بقية المرات الســابقة، صعقته لذعة في صميم فؤاده، ومن ثم اخترقت احشــاءه شرارة.. كما انه، كمثل جميع المرات السابقة، اندفع الى الامام، كي يســرع، وينطلق، ولكي يحــاول الهرب، والافلات، بكل ما لديه من قوة، وينقذ نفســه، من دون ان يلتفت حواليه مطلقا، ليعلم ماالذي يجــري!!.. الا ان حظ (معروف) الحمال المســكين العاثر، لم يسـعفه في الافلات، فلم يتمكن من الخلاص، رغم يقظته المتناهية، وعدوه السريع!. لقد وقع المحظور، وانتهى كل شيء!!.. اذ ان الطلقة الطائشة، كانت اسرع منــه بكثير.. حيــث انه في وقت مبكر جدا، كانت هنالك طلقة طائشــة قاســية، قد فاجأته، فاصابت منــه مقتلا عند منتصف الظهر.. ثم انها، وبجراة متناهية كانت غائرة في اعماق قلبه!. في تلك اللحظة احس فقط بلذعة من الالم الحاد، مثل حد الموســى، اضرمت في نياط قلبه لهيبا من النار.. اما بعد ذلك، فانه لم يحس بأي شيء.. حتى انه لم يذق، ولو ذرة من الالم ايضا!!. سقط منكبا على وجهه.. ومن دون ان تنتفض جارحة من جوارحه، خمد في مكانه.. لفظ انفاسه الاخيرة.. نعم، كيفما اتحدث اليكم هكــذا كان.. لقد مات!!.. اما الاقراص الســتة من الخبز، والباقات الثــلاث من الكراث التي كانت تحت إبطه، فقد شــكلت قطرات من الدم الاحمر الفاتح، مســاربها بين ثناياها، فشوهت من صورتها، وملامحها الى حد بعيد.

اما في البيت، فمثلما كان (معروف) المسكين يمني نفسه، فان زوجته المخلصــة الوفيــة، كانت طابخة حســاء غليظا من البرغــل، ذات طعم لذيذ جــدا!. اطفالها الصغار الثلاثة، بطلعاتهــم البهية، كانوا يحومون باستمرار، حول قدر البرغل.. يستعجلون والدتهم كي تصب لهم الطعام.. في حين كانت الوالدة تحاول ان تخدعهم، تارة بالحيل، واخرى بالتهديد،

والوعيد، وثالثة بالمطاردة، على أمل ان يعود ابوهم، بين لحظة واخرى وحين يجتمع شـمل الاسـرة، عندئذ يهيأ الجميع بتنـاول ما في القدر من طبيخ البرغل. غير ان الشـمس آلت الى الغروب وراء هامات التلول.. والمؤذن اذن لصلاة المغرب.. اسـدل الظلام سجوفه على الكون، ولم يبن ثمـة من اثر للأب الحبيـب.. كان الاب الحبيب، جثـة هامدة، لا روح فيها، مضرجة بالدماء.. مرمية في الجناح المخصص للموتى في المستشفى الواقع شمال المدينة.. باهمال مفرط كانت جثته مرمية هناك.

١-الاكاف: البرذعة، برذعة الحمال، او البردعة.

٢-الشملة: كساء واسع، يشتمل به.

٣-كـدح فرهاد: يقصد به الجهد المضني، والكـد المتواصل الذي يذهب هدرا، نسبة الى (فرهاد) بطل الاسطورة الخالد، والذي ذهبت جهوده كلها ادراج الرياح.

هذه القصة منشورة في مجلة (بيان).. العدد (٢) لشهر شباط من سنة ١٩٧٠.

نشـرت الترجمة العربية في مجلة (كاروان – المسـيرة) العدد (٦٠) لشـهري تشرين الاول وتشرين الثاني من سنة ١٩٨٧. تأريخ القصة ١٩٦٢

تأريخ الترجمة: ١٩٨٧/٣/١٠

# الجسد الصغير

## قصة وترجمة: حسين عارف

«١»

عربة الساحبة كانت تخضهم خضا دونما انقطاع.. تدقهم دقا بلا هوادة. لم تكن لتتيح لهم لحظة واحدة من الشعور بالراحة. كان في العربة ثلاثة اشخاص آخرون.. واثنان آخران كانا جاثمين فوق واقيتي العجلتين الخلفيتين الضخمتين للساحبة. هؤلاء الثلاثة كانوا يندبون حظهم، متمنين لو ان عدد الركاب كان اكثر، ليخف تأرجح الساحبة بهم عند المطبات والحفر، احدهم: ظل يكرر:

-دعنا نطلب من هذين الانتقال الى داخل العربة ليزداد الثقل فيها.

لكن صديقيه كانا يردان عليه:

-لافائدة.. فهما حتما يرفضان، لان مكانهما افضل فلماذا ندع كلامنا يذهب سدى.

هو لم يكن ميالا للثرثرة، او حتى ولا للرغبة في التحدث. بل كان كل همه محصورا في الجسد الصغير القابع في حضنه لذا مد يده تلقائيا ليلف ياقة المعطف الذي كان الجسد الصغير يتدثر به حول رقبته وليحكم شد

الفوطة على راســه وخديه ومن ثم ليلملمــه في حضنه ويضمه بقوة الى صدره. وبعدها لفه الصمت المطبق الى دائرته كرة اخرى.

«اي نعــم.. كان ذلك قبيل الفجر تماما حين غلبني النوم مغمضا لي اجفانــي، وفي اثره كان الحلم. ولكن كيف كان؟!.. آ.. نعم.. كنت انا داخل واد عميق، وكان هو، الجسد الصغير، فوق قمة جبل شاهق. شاهدته يجيل بنظره في الوادي. تملكني احساس بأنه يراني، وانه يصرخ هاتفا لي بملء فمه، وانه يقذف نفســه نحوي من ذلك العلو الشــاهق. تصورت انه يتجه الي بكل هدوء كفراشة تطير. مرقت رعشة سحرية في اعماقي ففتحت له ذراعي. لم تستمر الرعشة سوى برعة وجيزة، حيث احسست ان الفراشة تغدو من جديد جســدا صغيرا يهوي ســاقطا نحو فحلت محل الرعشــة وخزة كاوية. شــعرتُ معها بأن ركبتي ترتجفان وان جســمها ينهار. كنت على وشــك السـقوط ارضا فاقدا الوعي. غشي الظلام عيني. لم اعد ارى الجسد الصغير. احسست وكأن احشائي تتمزق.. وكأنني اعاني من سكرات الموت بل انني قدمت فعلا. لملمت جسدي الميت محاولا الهروب من قبضة الكابوس. فكان ان اســتيقظت.. وكان ان وجدت نفســي ارتجف كريشة في مهب الريح.. وجسمي غارق في سيول من عرق لزج حار».

«٢»

وقتهــا كانت الســاحبة تمر بحقل محروث، فــكان الطريق قد تحول الى وحــل لازب، والعجلتــان العملاقتان تقذفــان ركاب العربة بوابل من رذاذ الوحــل حينا وبكرات من الطين حينا آخر، لتتراكم على رؤوســهم ووجوههم. هو كان لايزال على وضعه السابق.. كان لايزال يحتضن الجسد الصغير بشكل يجعل من نفسه درعا يقيه من رذاذ الوحل وكرات الطين.

مال برأســه على الجسد الصغير متفرسا في وجهه.. عيناه السوداوان كانتا تشــعان من خلف الفواطة وتوحيان بسر سؤال غريب. ود من الاعماق ان يجيبه عن سؤاله الغريب هذا. ولكنه احتار!.. من أين يبدأ، وكيف يفسر الامر وبأية لغة؟!..

(..حــين خطوت وتركــت الغرفة، توقفت برهة فوق ســطح الغرفة الســفلية حائرا، اجلت بنظرك اماما. ها هي بيوت القرية والجبل المواجه لها. وتلك هي بساتينها الكثيفة في السفوح. واشجار البلوط المعمرة المنتصبة بشــموخ فوق التلال الجانبية. جميعها كانــت ترى بوضوح. بدأت تخطو ثانية متقدما الى امام حتى حافة السطح. اجلت ببصرك كرة اخرى، ثم جلست. اشعلت سيكارة وبدأت تدخنها بنهم..

«.. الآن يجب ان يكونوا بادئين بالمســير، ســيبزغ الفجر قبل وصولهم دواخل الجبال. انا اعلم ان السير على الطرق الجبلية ليلا مرعب للاطفال. حسنا فعلت بتوصيتهم بذلك. فهم طوال قطعهم للطريق السهلي، بامكانهم رؤية اضواء مصابيح المدينة. وبعد ذلك سيكون الفجر قد بزغ».

كنت راضيا من نفسك. اشعلت سيكارة اخرى.. وبدأت تدخنها بنهم اكثر..

«ان جــرت الامور بدون عائق ما، ســيصلون بعد ســاعتين ونصف.. نعم.. بعد ســاعتين ونصف لا اكثر. هاهم.. حمار بغل وطفل فوق ظهر واحد منهما ويتبعهم رجل».

اشــعلت السيكاير الواحدة في اثر الاخرى، والزمن يسير ببطء شديدن فضجرت. اســتويت واقفا. توجهــت نحو المدرج ونزلــت. ولجت الزقاق. وجهــت بنباح خافت من كلب ســرعان ما كف عنــه وكأنه تعرف عليك على الفور. مشيت. لم تسلك الطريق المؤدي الى مركز القرية، بل انحدرت صوب المضيق وانت تخطو على مهل).

«٣»

كانــت العربة لاتزال تخضهم دونما هوادة، والعجلتان العملاقتان ايضا كانتا لاتزالان ترشــقان رؤوسهم ووجوههم برذاذ الوحل والطين. هو مد يده اليمنى من جديد ومررها على مؤخرة رأسه ورقبته، كارفا بها قبضة اخرى مــن الوحل والطين المتراكمين، فمســحها بحركــة لا ابالية بحافة العربة، ثم نظفها بسرواله.

كان الرجال الثلاثة قد لفهم الصمت. وكذلك الاثنان الآخران والسائق. لــم يكن اي منهم راغبا في التحدث. وحتى الســاحبة التي كانت عجلاتها وقتذاك تدور مراوحة في مكانها داخل وحل كثيف لزج، انطفأت ماكنتها وتوقفــت عن الهديــر والضجيج، وحين ادار الســائق محركها من جديد، انطلق من انبوب مدخنتها اصواتا شبيهة برعد المدافع.

انتفض الجســد الصغير القابع في حضنه. مد برأسه الى الاعلى واجال بنظره مندهشــا. صدمت رأسه رشقة من رذاذ الوحل. وعلى الفور ودون ان ينبس ببنت شفة، حشر نفسه في حضن ابيه. اما الاب فقد الصق خده بخده، سائلا اياه بابتسامة خافتة:

-خفت؟!

الجسد الصغير لم يأبه كثيرا. فقط قال:

-لا..

هو انفجر في اعماقه شــعور بالاعتزاز والفخر. امســك برأس الجســد الصغير بباطن يديه وضمه الى صدره بقوة. غير ان الجسد الصغير صرخ:

-آخ..

فعلى التو ابعد يداه.. وتذكر..

«.. كانت الشــمس قد اشــرقت من خلف قمة الجبــل. وكان الطريق

الملتوي المار بالمضيق يرى بوضوح ومنذ وقت مبكر».

كنـــت قد ارتقيت صخرة كبيرة وجلســـت متربعا فوقهـــا. كنت أدخن الســـيكارة تلو الاخرى وبصري مسمر على الطريق واخيرا بان لي الركب. حمار وبغل وخلفها يســـير الهوينا الرجل. تفرست في الركب جيدا. نعم.. هنا فوق البغل جسد صغير.. برقت رعشة من الاطمئنان والسعادة الغامرة في كياني. هدأت نفسي القلقة واستكان قلبي الواجف. آه.. لو كان بمقدوري ايصال هذه البشرى الى امك في هذه اللحظة بالذات.

اقتربـــوا. نزلت من فـــوق الصخرة وتوجهت نحـــو الطريق لملاقاتهم. عندما وصلوا، اوقفت البغل وفتحت احضاني للجسد الصغير. كان الانهاك والتعب باديـــين عليه. في اللحظة الاولى لم يتعرف علي. نظر الي بوجوم وبقي ســـاكتا لايتحرك. الا ان عينيه السوداوين ســـرعان ما التمعتا، وفي اثرها رمى بنفسه فوق صدري، مطوقا بيديه عنقي بقوة دون ان يتفوه بأي كلام.

واصلنا السير. بلغنا مرتفعا. عند منتصفه شعرت بالتعب ارجعته الى فوق ظهر البغل. ارتقينا المرتفع. اشـــرف بنا الطريق على بقعة صخرية وعرة. وقتها كنت اخطو بجانب البغل. كنت احاور نفسي.. لا.. لن انتظر ســـيارة الجيب يقال انها تصل القريـــة عصرا وتعود ادراجها ليلا. او ربما لن تأتي اليوم اصلا فالافضل ان تســـتقل الساحبة. هي ستوصلنا الى هناك في الوقت المناســـب. ومن هناك تتوفر الســـيارات في كل وقت. وهذا يعني اننا غدا مساء..

-آخ..

حـــين انتبهـــت الى صرختـــه، كان البغل لايزال منكفئـــا على طرفيه الاماميين، مســـقطا الجســـد الصغير على الارض. اندفعت نحوه وانا بحالة

**ارتبـــاك شـــديد. التقطته من الارض محتضنا اياه.. لـــم يبك ولم يتأوه. فقــط كان واضعا يده اليســرى فــوق جبينه من الجهة اليســرى. وحين تفحصت موضع الاصابة، وجدته منتفخا على قدر دعبة..».**

**«٤»**

**عند اقترابهم من مكانهم المنشــود، كانت العربة لاتزال تخضهم خضا دونمـــا انقطاع. غـــير ان العجلتين العملاقتين كانتا حينذاك ترشــقانهم بزخات من الحصو الناعم، بدلا من رذاذ الوحل والطين.**

# الثلج

## ترجمة: عبدالغني علي يحيى

ابتاه..

-بني.. حبيبي..

حين جاهد، ورفع رأسه عن الوسادة للحظات، فانه سرعان ما عاد لائذا بالوسادة صامتا هادئا، لكن عينيه كانتا شاخصتين ابدا الى والده الذي مابرح يلوح له كشبح.. سعى الى رؤيته بوضوح، فأخفق، وظل حتى في يقظته نهبا للوساوس اهو الحلم نفسه، ام حقيقة؟! لم يتيقن، ونال منه اليأس واسدل جفنيه المائلين الى الزرقة على عينيه. وكفت عيناه الشاحبتان عن الرؤية، فيما راح وعيه يسترجع الماضي من نقطة الصفر.

[.. عندما شرعت بالسفر في الفجر، كان الجو صحوا، والسماء صافية خالية بالمرة من السحب، كنت تدوس الثلج، فرحا حثيث الخطى، بل ان خطواتك النشيطة اوصلتك الى ذروة الجبل خلال ساعة من الوقت، من غير أي احساس بالبرد او بأي لون من التعب. في اعماقك ثمة تنور يبعث الدفء في اوصالك، او ان فرحا ما يمدك بقوة سحرية، ولم يحد بك عن

الطريق، سـوى الرغبة في مشـاهدة منظر المدينة مـن عل، التي جعلتك تنحو صوب صخرة بجانب الطريق، لتحرق لفافة وانت واقف.

بعدها، ارسـلت بابصارك وانت تسحب انفاسا منها، كان منظرا ساحرا وجذابـا، ولمحت بيسـر بيت عمك مـن بين البيوت، ابتسـمت، وبعث في نفسك الضحك قوله: «لقد سقط بمقدار الذراع ونصف الذراع.. لن تقدر على المرور». وبابتسـامة لا تفارق شـفتيك، اخذت تنقل ابصارك باتجاه اقدامك، وقمت بتتبعها بدءا من طرف المدينة وانتهاء بالموضع الذي وقفت فيه، سـررت بها، فهي آثار اقدام وحيدة غادرت المدينة، احسسـت بشيء من الفخر والاعتزاز، واسكرك الاحساس ذاك لحظات، ومن ثم فجرك كما الرصاصة الطائشـة المجنونة. فادارك وحركك وجعل سـاقيك كالمروحة، وراحا يشـقان الثلج بسـرعة، ويختطفان جسدك. وبدا ذلك كلعبة وانت تمارسـها. كنت تتأمل ذلك وتقول مع نفسك: ها انك تمضي نحو الاسفل الى داخل الوادي والسـير في الوادي لذيـذ، ولن يمضي طويل وقت واذا به يوصلك الى السـهل، ولولا الثلج، فان بمقدورك اجتياز السهل في ظرف ٤٥ دقيقة، لكن الثلج عندما يبلغ موضع الحزام من الجسـد، فان اجتيازه قد يسـتغرق ساعة كاملة. ان ذلك سـهل، بيد ان الصعوبة تبدأ بعد ذلك، اذ يكون الجبل العـاري لك بالمرصاد.. آه ايها الجبل العاري! انك بلية بحق. ويبـدو ان الخالق نصبـك خصيصا لاجلي، فانت، عاريـا، تنهك الرجال، فكيف اذا بلغ الثلج عندك موضع الحزام من الجسـد! إن هذه المحاورة مع نفسك عملت على تضييق الخناق عليها، حتى ان بوادر الاحساس بالقنوط اخذت تمد رأسها في اعماقك.. لكنك لم تقربها، اخفيتها عن نفسك، فقط، انك حين احسست بأنها تسعى في الخفاء الى بعث الشلل في خطواتك، آنذاك سري لهيب غضب عارم في اعضاء جسمك، جعلك مثل كرة نارية ملفوفة.

دحرجــت الكرة النارية في المنحدر، اوصلتها الى داخل الوادي، وحركتها في داخل الوادي ايضا، اقتحمت.. كنت تخطو وتشق الثلج بضربات من الركبة، عبرت الوادي، ووطأت السهل بقدميك. واستطعت ان ترفع رأسك من على صدرك، نظرت امامك، فعدت الى نفســك، وافقت، واحدثت ضربات قلبك وهبوط صدرك فصعوده المتواصل لونا من الصخب والضجيج في ســمعك. وفي فمك صار لسانك قطعة من الخشب، في حين بدت حنجرتك وكأن قطعة من الموسى غرزت فيها، ثمة ألم يوخز مقدمة ركبتك، واقتنعت بان عليك ان تخلد الى الراحة، يجب ان ترتاح قليلا، لكنك صرت عاجزا عن ترويض الكرة النارية التي شــرعت بتحريكك وهــزك، كانت، وبكل ما تحمله من عذابات تلهب الارض تحت قدميك، الى ان قطعت بك السهل واوصلتك الى حذاء الجبل العاري. ليس هذا فحســب انما جرتك باتجاه الذروة مســافة اربعين الى خمســين خطوة، هناك احسســت بصعوبة التنفس، احسســت بالاختناق، كما وافقت على اســتحالة لحاق قدميك بك، واللتين كفتا عن الحركة، وغرزتاك في مكانك، آنذاك شــرع وعيك وفكرك بالعمل، جعلاك تقــرر، وتجيل بعينيك، وجعلا عينيــك تتجهان نحو كهف «كور كودمر» جعــلاك تصدر امرا، ولأجل تنفيذ الامر، فقد حركت قدميك، لكنهما لم تتبعاك اول الامر، وبالكاد حركتهما، لم يكن الكهف بعيدا عنك، وبمشقة بلغت المكان، وفيه ســقطت فوق الارض خائر القوى. اضطجعت. ومددت ســاقيك، اخلدك التعب الى الراحة، ومنحك العــذاب الصبر، وهكذا رحت لفــترة تتأرجــح بينهما، الى ان لفتتك الســكينة في النهاية، لم تكن تدري اهــو النوم يأخذك ام انك تغيب عــن وعيك. فقط، علمت كيف ان الدنيا غدت تظلــم في عينيك. وبعد حين لما فتحت عينيك، حرت، رأيت الدنيا عكــرة مضببة. لم تصدق، قمت بدعك عينيك قليلا، لم يتغير المنظر في

عينيك، نهضت على قدميك، سـري ألم حاد في جسدك، لم تهتم، كافحت واندفعـت الى الخـارج، واذ نظرت، فان رجة اصابـت قلبك.. لقد انمحت الزرقة تماما من السـماء. رحت تبحث عن الشـمس، وجدتها، كانت تبدو على وشك الانزلاق الى صدر السماء، قلت مع نفسك: الوقت عصر، لما بلغت هـذا المـكان كان الوقت حوالي الظهر، يبدو اني نمـت، لا يصح! أي نوم؟ وبأي حال؟ لم تنجل لك الحقيقة، ولم تكن في وضع يسـمح لك بالجدال، وقد انمحت الزرقة تماما من السماء التي اخذت تبعث بالرذاذ. اضطربت وتضايقت، واخذ غشاء من الصدأ يغطي فكرك ووعيك. تقهقرت، وقعدت، ومع نفسـك رحت تقـول: الثلج يبلغ موضع الحزام من الجسـد، ومازال صعـود الجبل العـاري ونزوله بانتظارك، ومن ثم اجتياز السـهل فعبور النهـر الكبير. الوقت عصر، وقد تلبدت السـماء بالغيـوم، تبعث بالرذاذ، تريد ان تصب، ان ترمي، اضطربت تماما وعاد الغضب العارم اليك ليتوج الاضطراب، نهضت على قدميك، وخرجت من الكهف، تطلعت الى السـماء، وقذفتها ببصقة مليئة بالحنق. بعد ذلك حركت جسـدك المرهق وسرت صـوب الذرى، لم تصعد الا قليلا، واسـتحال الـرذاذ الى ندف، وما هي الا هنيهة واذا بالسـماء سـتنهار لاريب نحو الاسـفل، ولما صعدت قليلا، راح الثلـج ينهمر رويدا رويدا وبغزارة في شـكل ملايين مـن بيض الفروج، واذ عدت الى نفسـك لتجد غشـاء من الثلج يعلو كتفيك وعنقك، وقفت، رحت تنفض غشاء الثلج، وخطوت. كنت بالكاد تخطو نحو الذرى، وافقت على وخزات الالم في ركبتك. صار لسـانك قطعة خشب. وانغمرت قطعة الموسـى في تمزيق حنجرتك. وعاد الغشـاء الثلجي من جديد ليحط على عنقـك وكتفيك، وقفت، نفضت الرذاذ عنك، التفـت الى الوراء ونظرت. لم تر شـيئا، باسـتثناء رزم من الثلج، كانت تمتد بين الارض والسـماء،

اســتدرت، حدقت في الاعالي ســاعيا الى رؤية قمة الجبل العاري والتي لم تقع عليها انظارك. اخذ الاحساس بالمرارة يترسخ في اعماقك، مد جذوره، الى ان احتل كل اعماقك، حمل اليك الظلم، وغدا بمثابة الرهبة خفيفة، وذكرتك هــذه الرعبة الخفيفة بأبيك، تتناهى الى ســمعك كلماته: الذي يجمــد في الثلج مثل طريدة تقع في الفخ لاتحس بنفســها الا حين يطبق الفــخ عليها، واذ يطبق عليها، فان من المحال انقاذها، اللهم الا اذا تدخلت الصدفــة لنجدتها. كانت الرهبة الخفيفة تهــوى في اعماقك وتضعك امام تســاؤلات تطرحها على نفسك: ترى هل وقعت في الفخ؟ ازعجك التساؤل وغير من تجاعيد سختك، غضبت ورحت مع نفسك تقول: ماذا دهاك ها انك على وشــك الانهيار! صحيح انك تعب، وفي حالة قمينة بالرثاء، ولكن مع هذا، فهي ليســت المرة الاولى، انه ذاك الجبل العاري نفســه، عدت الآن تواجهــه. في الماضي كنت انت الذي تلحق الهزيمة به دائما، تنتصر عليه. كنت تحرك جسدك باتجاه الذرى، لكنك كنت في عوز الى الصبر في وعيك. كنت تجتر هذه الكلمات: الطريدة.. الفخ. الصدفة.. اية صدفة؟ مســافر؟! محــال، اللهم الا القدرة الربانية! جلبت اليك الرهبة الخفيفة شــيئا من الخوف، ومعها احســســت بميل جسدك الى التوقف عن الحركة. استرجعت قولا لابيك: ان ابي يقول: الذي يجمد في الثلج يصير كالذي يجثم الكابوس علــى صدره في الحلم. يتحفز، يهيأ، يمد اطرافه، يســتغيث ويصرخ، ومع كل هذا لايفلح في الاتيان باقل حركة او نأمة فيها الخلاص.

وكمــن تأخذه اغفــاءة لذيذة، يهدأ ويســتغرق في نومه ومن ثم يكف عــن التنفس تدريجيــا وعندئذ ينتهي تماما، بــدرت حركة في اعماقك. قلت مع نفســك: انه الفخ، او الصدفة: ولكن اية صدفة؟ لا شيء، لا تعلق عليها اي امل، لتكن انت الصدفة.. انقذ نفســك بنفسك، لا تيأس، استمر،

اضغط على جسدك كي يتحرك، فالصعوبة تكمن في الصعود فقط، بعدها تســتطيع الانطلاق عبر الســفح، بمقدورك بلوغ النهــر زحفا اذا تطلب الامر، وهناك سيرونك في القرية. لاتيأس.. تستطيع.. تستطيع.. احسست وكأن اللهيب يســري في جســمك الذي الفيته متعرقــا بعرق دافئ كثيف، يبعــث البلل في الثياب الداخلية الملتصقة بجســدك، بعد ذلك احسســت بالبلــل يبعث التجمــد فيه قليلا قليلا، ويحيل ثيابك الى غشــاء جليدي يغطي الجلد من على ســائر الجســد. لا بل احسست وقد غدا الجليد ثوبا يلف جســدك. ادركت. بأنك على وشك الوقوف جامدا في مكانك.. يجعلك الجليد تنتصب جامدا، انت على وشــك الميــلان والانحناء الى الامام. على وشــك التكور، لحظة ان كان فيك شيء من الدفء لاسترجاع مقولة اخرى لابيك، اســترجعتها: ان اللحظــة التي تحل فيها المنيــة بامرئ يتجمد في الثلج هي اللحظة التي يتســلل فيها الانجماد الى داخل جمجمته ويتدلى في رأســه وفكره، لقد ارعبك كل هذا، قلت في ذات نفســك: ها اني احس به، انه يســعى الى اختراق طبلتي اذنــي للوصول عبرهما الى داخل جمجمتي، والا فما بال هذين القصيبين الاحمرين الساخنين يشقانهما. وجراء ذلك، فان تيار يقظة ســرى في اعماق فكرك ووعيك، ودفع التيار بجسدك ست الى ســبع خطوات اخرى نحو القمة، ومع كل خطوة كنت تخطوها، كنت تحس، وكأن قوة مخيفة تفشت في احشائك ساعية الى انتزاع كبدك وقلبك وقذفهما خارج جســدك. بعدها تسمرت خطواتك من جديد، ومن جديد كذلك، انحنى جســدك الى الامام. انكمشــت، لقد غطت الآلام المنبعثة من القضيبين الســاخنين كل آلامك الاخرى. الى ان احسســت بتمزق طبلتي اذنيك وتسلل الجليد الى جمجمتك.

الجليــد يصير متدليا، يتدلى في دماغــك، ويتحول دماغك وفكرك الى

قطعة من الجليد. وعلى حين غرة وقفت على رغبة سحرية تسعى الى مصاحبتك. تحتضنك بذراعيها، تشدك اليها، وتبث التراخي في جسدك، تريحه، وتهدئه، بعد ذلك، رويدا رويدا تدفعه الى نوم لذيذ. وفي نومك اللذيذ حلمت. وفي حلمك، كنت ترى جسدك مثبتا في قالب جليدي زجاجي وقد اضطجعت على ظهرك، كنت ترى عينيه مثل كرتين زجاجيتين، تتحركان يمينا وشمالا، ثم رأيت شبحين وقد اقبلا من جهة ما ليقف بالقرب من رأسه، وجاهد هو للتعرف عليهما.. لم يقدر، لم يلمح رأسهما وشكلهما وجسدهما بوضوح، ولكن باستثناء يديهما واللتين امتدت على مهل باتجاه وجهه، بلغته، انحنيا فوقه ورفعاه مثلما يرفع صندوق، وطارا به نحو السماء، واخذاه الى ان بلغا به القمة، وهناك ذهبوا في استراحة قصيرة، لم تعرف سببا لها، لكنك رأيت كيف انهما رفعاه بسرعة، وفي السماء طارا به نحو القرية ثم غطياه. وبعد فترة رأيت القالب الجليدي يذوب تدريجيا ويبلل فراشه، في حين كان بدوره يتراخى تدريجيا، اعضاؤه تتراخى، عيناه اللتان كانتا ككرتين زجاجيتين تتحركان يمينا وشمالا، تريان شبح زحام صاخب مثل خلية نحل، تسعيان الى معرفة: من هم؟! تجاهدان، تقدمان جهد فرهاد، تريان خلل الدائرة الشبحية الكبيرة، شبحا صغيرا، تقفان، لبرهة تقفان عليه، الى ان ينبعث منهما على حين غرة لمعان فرح طاغ، كانت الالتماعة ترسل ضياء خفيفا الى سحنته، آنذاك رأيت كيف انه راح يعتمد على بقايا قوة فيه، يرفع رأسه من على الوسادة، وكما الانين يخرج صوت من بين شفتيه المنتفختين قائلا:

-ابتاه..

-.....

# نبع رحمن

## قصة وترجمة: حسين عارف

صخرتان عملاقتان، تستـــند احداهما الى الاخـــرى بحافتها العليا، اما بالحافة الســفلى فانهما تتجذران بعمق في ســفح تلــين متجاورين. وثمة بينهما فسحة ووســط الفسحة حفرة دائرية يتدفق الماء اليها دون توقف عبر سلسلة من حلمات نبعية منتشرة على طول محيطها. وضمن القاطع المواجــه للصخرتين من هذا المحيط، يمكن المجرى الضيق الذي تجد المياه المتدفقــة من الحلمات النبعية طريقها عـــبره، لتترقرق مويجاتها الناعمة تحــت ضياء القمر وهي تتدحرج نحو الاســفل، حتى يصل بها الى ظلال شـــجرة بلوط معمرة حيث تحجب عنها ذلك الضياء غير ان المجرى، وهو يلقي المياه الى داخل حفرة اكثر ســعة، يضمن لها ضياءً خافتا من لوحين صخريـــين بيضاوين على جانبيهــا. ثم يجتاز المجرى هـــذا المكان بالمياه المتدفقــة من الحلمــات النبعية لتعود مويجاتهــا الناعمة وتترقرق تحت ضيـــاء القمر حتى يلقي بها الى داخل كومة جدران حجرية غير منتظمة ومســـقفة بأغصان شـــجرة صفصاف ليحجبها عن الانظار. الا انه سرعان مايعرضهــا لضياء القمر من الجانب الآخر لينحدر بها مســافة ثلاثين او

اربعين خطوة اخرى، قبل ان يصل بها قبالة المسـجد. وهناك ومن خلال معــبر انبوبي يصبها الى داخل حوض كونكريتي مسـتطيل. الحوض يقع تماما قبالة ايوان المسـجد. وهو معرض مباشــرة لضياء القمر في الليالي المقمرة مما يجعل مياهها تلألأ. الا ان الايوان ذاته وبالاخص القسم الخلفي المنتهي بالجدار الشــمالي للمسجد يسـوده طوال الليل ظلال دامس. ففي اعمــاق ذلك الظلام هاهو بريــق نار خافتة يلتمح بــين آن وآن. انه ولا شــك بريق نار ســيجارة بين اصبعين تتلقفها الشــفتان فتبرق وتخفضها الاصبعــان فتخفت. ثــم ان ذا الاصبعين متكئ على الجــدار ماداً رجليه ومركزا نظراته على الحوض.. مركزا اياها نحو بطن ســمكة كبيرة كانت هي هدية منه جلبها بنفسه ووضعها فيه..

[.هه.. انظر ياجدي.. انظر

حمــد أتى بها عنــوة.. كانت بحجم اصبع اليد فقــط تنط وتقفز في الوعاء الصغير. انت آنذاك ضحكت منه. قلت:

-بني.. انها مســكينة.. انك ترتكب بحقها خطيئة.. ارجعها الى الماء لكنه قال:

-كلا يا جدي.. سأربيها.

انت خضعت للامر الواقع. ملأت الوعاء ماءً. فراحت الســمكة الصغيرة تدور وتجول فيه. ولما عدت الى البيت، وضعتها في قدر من الماء بدل الوعاء الصغير. اما هو فقد القى لها بقطع صغيرة من فتات الخبز.

وفي الليل رأيت حلما عجيبا، مما حدا بك في الصباح ان تقول لحمد:

-حمد.. هل تريد الموت لسمكتك؟!

قال حمد:

-كلا.

قلت له:

-اذا، فلنأخذها ونضعها في حوض المسجد، وهناك ستكبر وسنذهب كل يوم لرؤيتها.

اقتنع حمد، فذهبتما ووضعتماها في الحوض. بعد ذلك، وعملا بقولك، كان حمـــد يلح عليك كل يوم ويأخذك لزيارتهـــا. كنت تراها تنمو يوما بعد آخر، واحسســـت بأنك انت ايضا تزداد ميلا اليها وشـــوقا الى رؤيتها، الى ان انقلبت الآية، فبدأت انت تلح على حمد لتذهبا لرؤيتها. ثم قررت ان تعثر لها على رفيق. ومع حمد نفســـه ذهبتها وجئتما بثلاث ســـمكات اخريات صغيرات في حجم اصابع اليد ايضا وجعلتموها صديقات لها.

اقبلت ايـــام وادبرت ايام. كبرت الاســـماك خلالهـــا وتكاثرت. فاصاب الهلاك بعضها، وتســـرب بعضها الآخر عبر مســـيل مياه الحوض. في حين تم اصطياد وأكل بعضها في الخفاء. ولكن كتب البقاء للسمكة الكبيرة التي رفضت التســـرب عبر المسيل وآثرت البقاء في الحوض. لقد كنت واثقا من ذلك ومطمئنا، ولم تكن تخشـــى ان يصيبها مكروه فتهلك كنا تشـــاهدها تصول وتجول، تسبح وتغطس في الحوض بفرح غامر، لذا كنت واثقا من انها ستعمر طويلا.

لكـــن القلق كان يعتورك ازاءها من كيـــد بني آدم وغدرهم. انت كنت واثقـــا من ان اهل القرية بعيـــدون من الاتيان بمثل هـــذا الفعل. وكنت تعلـــم ايضا من انهم جميعا كبارا وصغـــارا يكنون لها الحب والمودة مثلك، وحريصون مثلك عليها. غير ان خوفك الوحيد عليها كان آتيا من احتمال قيام احد الغرباء الذين يصلون في الاماســـي الى القرية ويلوذون بالمســـجد لقضـــاء الليل فيه، وبدافع من الطمع بالنيل منها. لهذا كنت تقول لصوفي رحيم دائما:

-ارجوك.. هي امانة في عنقك فلا تهملها.

وفي احايين كثيرة كان القلق ينتابك من سيماء احد النزلاء، فيضطرب فؤادك وتفقد السيطرة على نفسك، مما يدفعك لقضاء ليلتك في المسجد لحراستها.

آه، ايتها السمكة الكبيرة.. آه! من المصير الذي انتهيت اليه!. أهكذا ينال منك هذا الداء ونفتقدك؟!

-حمد.. تعال انظر.. تعال اشهد حمد.. تعال يا حمدي!].

افاق منتفضا على سماع صوته. انتصب واقفاً على قدميه مضى صوب جسد السمكة الكبيرة. كان الجسد طافيا فوق سطح الماء، ممدا على ظهره. تسمر قبالته مد اليه يده واخرجه من الماء، كمن يرفع جسد امرئ من لحمه ودمه. وللمرة الثانية اخذ يقلبه. للمرة الثانية قال:

-كنت في حجم اصبع صغير، اصبع صغير!..

تفجرت من اعماقه، دفقة حزن عميق، احس بصعوبة في التنفس وانقباض في الصدر. شعر بان اصابع يده ترتخي وتكف عن المسك بالسمكة الكبيرة. شاهدها تتهاوى في الحوض. رآها تغطس في اعماق الماء نحو الاسفل ومن ثم تزحف تدريجيا متراجعة الى الاعلى، فيتعرض بطنها الابيض الى شعاع القمر، وتلتمع حراشفها مثل قطع زجاجية صغيرة.

-حمد.. حبيبي.. تعال انظر.. تعال اشهد.

حجبت دمعتان مجال الرؤية في عينيه واضفت على جسد السمكة الكبيرة جوا من التضبب والتعكر. وقف على قدميه. اشاح بوجهه عن الحوض، ثم ادار له ظهره. تقدم الى قبالة الايوان. رفع رأسه ونظر الى صفحة القمر. كانت الدمعتان مابرحتا تضببان مجال الرؤية في عينيه. مد يده اليمنى وحك عينيه بظهر اصبع الشهادة، حينذاك صار مجال

الرؤية في عينيه واضحا. كان القمر قد رسم هالة حول نفسه فيعطي للناظر اليه مشهدا جذابا. بعث ذلك في اعماقه احساسا خفيفا بالنشوة، لكنه لم يدم طويلا اذ سرعان مانزل ببصره نحو الاسفل وبدأ يخطو. خرج من الايوان. استدار يسارا وراح يصعد المنحدر بمحاذات المجرى. وصل الى كومة الجدران الحجرية. توقف عندها. عرج ومد راسه الى الداخل. اغصان شجرة الصفصاف حجبت عنه ضوء القمر الهابط من الاعالي. اراد الاستدارة والاستمرار على صعود المنحدر. بيد أن اصواتا هامسة قد اوقفته. خيل اليه انها تتناهى الى سمعه من عمق المجرى عند الطرف الاقصى من داخل الجدران. فاشتاق لمعرفتها وصار كله آذانا. الى ان اتضحت له رويدا رويدا وتعرف على الاصوات:

[.. اليست هذه «منيج»؟!.. هه.. بالتأكيد، انها منيج – نعم عماه.. تفضل – اين؟!.. هه.. في الداخل.. خرمان. يا خرمان..

-نعم يا جداه..

-خرفانك..

-حسنا جداه.. الآن فورا.

-منيج.. ابنتي..

-...

-منيج.. يا منيج..].

افاق هذه المرة ايضا على سماع صوته. هز راسا مليئة بالاسف والاسى. تراجع الى الوراء دافعا بجسده دفعا نحو الاعلى. قواه الجسدية كانت لاتزال بحالة جيدة. فبرغم بلوغ السادسة والستين من العمر، فانه لم يكن ليحس باي ضعف او هزال في جسده. لكنه كان يئن تحت وطأة اثقال منهكة في اعماق نفسه وفؤاده.

وصل الى تحت شجرة البلوط المعمرة. وقف قبالة اللوحين الصخريين. تأملهما بشـغف. لـم يكن ناويا حتى تلك اللحظـة ان يعرج هاهنا. لكنها كانت فرصة سـانحة. نزع حذائيه وجلس. مد سـاقيه ووضعهما في الماء. وعلى حين غرة شعر بخدر سحري لذيذ ينطلق من اسفل قدميه، متسللا الى رجليه وفخذيه، ومن ثم ينتشـر ويسـري في جميـع اوصاله وانحاء جسـمه، الى ان يصل رأسـه ووجهه، وايضا الشـرايين الرفيعة في اجفان عينيه. حينذاك احس بارتخاء جفنيه.. احس بارتخائهما وانسـد إليهما تماما الى ان كفت عيناه عن النظر، لكنه كان على يقظة من استرجاعاته للماضي بوعي.. استرجع بوعي:

«نفـذ الصبر والجلد عندي ولفني الاضطراب تماما.. لم يكن ليقر لي قرار. لم اكن قط في احلك الاوقات من ايامي الماضيات كما كنت عليه من بؤس وشقاء وعذاب في تلك الساعات. عندما افقت من نومي، شعرت وكأن الارض تميد بي من تحت اقدامي وتبتلعني.

لـم اكن ادري ماذا اقول.. ماذا افعل.. ايـن اذهب؟! كنت اغدو واروح في البيت.. من الغرفة الى الايوان الى الباحة، ومن الباحة الى الغرفة اشـعل السيجارة اثر الاخرى. لم استطع البكور وتناول الفطور، باستثناء ارتشافي لاسـتكانة شاي.. ادرك «رشـو» ذلك. اردت ان اهدئ نفسـي، لم اتمكن. لاحظت انه ذهب واعلم «منيج» بحالي. اذن فقد عرفت وعرف «حمد» و «خرمان» بما انا عليه. لم اسـتحب ذلك بل وضقت به. اردت الخروج من البيت. لكن «رشو» لحقني وامسك بي عند الباب، قال:

-أبي.. مابالك؟!.

رنين صوته لم يكن طبيعيا. حين نظرت الى سـيمائه، احسسـت من الاعماق بالشفقة لحاله، بالرغم من ثقل الهم الذي كان جاثما على قلبي.

كان على وشــك الانخراط بالبكاء لم اســتطع الرد عليه، لذا لم اطل من وقوفي، بل خطوت بســرعة وابتعدت. تجولت مــدة طويلة. زرت خلالها عددا من الاصدقاء والمعارف، وظهرا عدتُ الى البيت. لاحظت ان «رشو» و «منيج» يعاملانني كما يعاملان «حمد» و «خرامان». سعيا وناضلا لكي يبعثا الصبر والسلوان الى نفسي.

لم اســتطع تناول الغداء، وسرعان ماسحب «رشو» و «منيج» يديهما، ادرك «حمــد» ذلك ايضا. فأجال عينا ملأى بالاســئلة في ســحناتنا نحن الثلاثة. بعدها ســحب يده بدوره. جاء والقى بنفســه في حضني. احاط عنقي بذراعيه. وضع فمه على خدي. قبلني وقال:

-جداه.. لماذا لم تتناول الطعام؟!.

اربكني سؤاله. لكني سيطرت على نفسي، قلت:

-لم اكن جائعا يا بني.

رأيــت كيف أن «رشــو» اشــار لاى «منيج» بعينيــه. اقبلت «منيج» وانقذتنــي من «حمد» واخذت «خرمان» معها ايضا. فبقينا وحيدين انا ورشو. سألني رشو من جديد:

-ابتاه.. مابالك؟!

اشــتقت من كل قلبي ان ارد عليه. ولكن لم يكن لدي اي رد باستثناء تأملــي العميق في ســحنته. وهو ايضا لــم يقل بعد ذلك اي شــيء آخر، بل نهض وتركني، فبقيت مع نفســي وحيدا انا واحراق الســيجارة بعد السيجارة.

عند الاصيل فقدت القدرة تماما على الرضوخ اكثر. آنذاك كان «رشو» خارج البيت. و «منيج» منهمكة في غسل الثياب، تدور حولها «خرامان» غادية رائحة. و «حمد» يلعب في الزقاق. انتهزتها فرصة فانتصبت واقفا

شددت حزامي ووضعت قدمي في الحذاء، ثم غادرت الغرفة بهدوء. وطأت الباحة وخطوت خارجا. وعندما خلفت الباحة ورائي، تناهى الى سـمعي صوت «منيج» وهي تقول:

-عماه.. الى اين؟!

كانت نبرات صوتها كالتي اطلقها «رشـو» في ذلك الصباح. وفي استدارة خفيفة، قلت لها وانا ماش:

-انا ذاهب لزيارة «سمايل».

ومـا ان ابتعدت قليلا، حتـى مضيت قدما بخطوات مسـرعة الى ان خلفـت العمران ورائي من غير ان التفت ابدا. ومع كل خطوة كنت احس بـان الثقل الملقى على كاهلي يخف رويدا، ذلك لانني كنت اتجه الى حيث اسـتطيع التنفس فيه بشـكل معتاد. توقفت عن المسير لبرهة. استدرت الى الخلـف ونظرت ببصيرة فؤادي كنت اشـاهد «حمـد» و «خرامان» و «رشـو» و «منيج». احسست بالكآبة، وبالخوف من ربوض الكابوس على صدري كرة اخرى، فانتفضت وجاهدت حتى استطيع الاستدارة والمضي في طريقي. عادت الي حرارة الشباب وعنفوانه. كنت اسير مثل طائر الشطأ. مضيت ومضيت دون توقف. غابت الشـمس واظلمـت الدنيا، طلع القمر فاضاءها. ولما بلغ كبد السـماء، كنت قد وصلت المكان المقصود. لم اسـمح لوقتي بالضياع سـدى، حيث توجهت نحو المسجد.. نحو الحوض مباشرة لمشاهدة السمكة الكبيرة. لكن السمكة الكبيرة!.. واحسرتاه!.. اضرمت النار في احشائي. بريق صدرها وبطنها الابيض غزا عيني على الفور. لقد وقع مـا كنت اخشـاه. ها قد رأيت حقيقة ماكنـت اراه في الحلم. دنوت منها. جلسـت. مددت اليها يدي واخرجتها من الماء مثل من يخرج جسد طفل لـه. وضعتها فوق يدي، وبحنـان ابوي نقلتها هنا وهنـاك. تأملتها فترة

طويلة. ثم انزلتها برفق في الماء، فطفت على ظهرها. وفي ضوء القمر كان صدرها وبطنها الابيضان يلتمعان. اردت الا احيد ببصري عنها. لم اقدر. تعبت عيناي فاضطررت الى تحويل النظر عنها ونهضت واقفا.

عندما وقف على قدميه، ايقن بان القمر فارق كبد السماء نازلا. كان يبعث بضيائه الى النبع مباشرة والذي كان بدوره يعكس ضياءه ويضرب به وجهه.. يضرب به عينيه ويوقظه. لبس حذائيه من جديد. فكر برهة. اجال بنظره حواليه قليلا. آنذاك راح يخطو مفارقا شجرة البلوط. اخذ يطوي المنحدر شمالا بمحاذاة الجدول. كان اللمعان يستفز عينيه. كان يرغب الا تحيدان عنه. لكنه لم يستطع فحادتا.

بلغ مأربه. لاحت له الصخرتان العملاقتان. وقف. أخذ يدقق فيهما. تأملهما وكأن عمرا قد مضى على فراقه لهما، ثم جاء من اقصى الدنيا لرؤيتهما. التمع في اعماقه خدر لذيذ، وعلى وجهه اشرقت ابتسامة. تقدم اكثر ورأى منظر النبع.. منظر نبع رحمن بتمامه. وقف منتصبا امامه.. دس بديه في حزامه. ادلى برأسه نحو صدره. تمعن جيدا في محيط الحفرة الدائرية حيث المياه المتدفقة على امتداده في ضوء القمر. فارقت اليقظة عينيه واسترجع المالضي بوعٍ:

[.. قبلك مر بالقرب منه الكثيرون من غير ان يثير اهتمامهم. وحتى انت ايضا، مررت بالقرب منه مئات المرات طوال الـ«١٩» عاما من عمرك حتى ذلك الوقت من غير ان توليه اي اهتمام. كان الجميع الى تلك اللحظة، وانت ايضا معهم على صواب. كانتا مجرد صخرتين تستند احداهما الى الاخرى ولا يظهر منها للعيان سوى مقدار ثلاثة الى اربعة اشبار، وحواليهما نداوة موحلة بلون يميل الى السواد. كان الوحل مغطى بادغال تخفى عن عين عابر السبيل الاعتيادي. فتحت الادغال كانت ثمة

بقــع تبعث بالتماعات جذبت اهتمامك وحركت في اعماقك قوة ســحرية شــجعتك للمضي نحوهــا، فمضيت. غرزت فيها اصابعك. احســســت كأنك تعمــل علــى اطلاق ماء حبيس فيهــا. تراجعت عنها وعــدت الى مكانك. ومن هناك نظرت وتأملت. خطوت مجددا نحو الادغال ورحت تطمس في الوحل. اتجهت الى الصخرتين شمرت عن ساعديك. قمت تخوض برجليك في الوحــل. كانت القوة الســحرية تعمل على زرع فكرة في قلبك. خرجت. ذهبت وجلســت فوق مرتفع وهناك غرقــت في التفكير والتأمل. لم تصب الهدف تماما. بارحت المكان وذهبت الى البيت. في الليل لم يغمض لك جفن. كنت في تفكير دائم، تضرب الاخماس بالاسداس، الى ان توصلت الى قرار في وقــت متأخر، فنمت مطمئنا. وفي اليوم التالي مع الفجر نهضت من النوم وخرجت مندفعا الى المكان. بدءا بدأت بازالة الادغال. ثم امســكت بالمعول وسلطته على التراب الموحل. دهش القرويون من عملك وعلى رأسهم ابوك الذي ما ان علم بالنبأ حتى هرع اليك، وقال:

-بنيّ، ماذا تنوي ان تفعل؟

قلت:

-ابتاه.. انها فكرة وخطرت ببالي. هي محاولة اقدم عليها.

جلس قبالتك برهة من غير ان يقول شيئا. ثم تركك ومضى. ورحت تواصــل. في اليــوم التالي حولتهــا الى ارض رخوة مبللــة. واخيرا حفرت مجرى يحمل ماء عكرا نحو الاسفل. وجاء الفتية وتجمعوا حولك. واقبل والدك وراح يربت على ظهرك بفخر.

في تلــك الليلة، كنت ونبعك موضــوع حديث اهل القرية. وفي الصباح قرر فتية القرية مساعدتك. اتوا وعملوا معك كتفا لكتف. وعند الاصيل استحالت الادغال الى نبع. صار «نبع رحمن» كما سماه الفتية. سموه «نبع

رحمن» خلال ضرب المعاول والفؤوس، في حين كنت تقيسه ذراعا ذراعا. وكدت تطير من شـــدة الفرح. كنت تود ان يتدفق الماء الصافي باسرع وقت من «نبع رحمن» الى القرية عن طريق المجرى.

آه منك يا «نبع رحمن» فباســتثنائنا انا وانت لن يعرف احد سر هذا العشــق الذي يشدني اليك. باســتثنائنا لا احد يعلم بتفاصيله ووقائعه. فالناس لايدرون شـيئا اللهم الا ان «رحمن» عشــق «نبع رحمن». كانوا يرونني كل يوم اهيم بك مثل عاشــق مجنون، آت اليك، اتأملك، وكالعابد اجلس قربك.. بلى.. فالناس لم يعرفوا سوى هذا، لاجله سموني «رحمن» عاشــق «نبع رحمن» لكننا انا وانت نعرف اشــياء كثيرة غير ذلك. اشياء كثيرة اخرى يا «نبع رحمن».. يا نبع رحماني..].

افاق العم رحمن العجوز ذو الســتة والستين عاما من العمر هذه المرة ايضا على ســماع صوته. كان قد ركع علــى ركبتيه امام الحفرة الدائرية كان قد سجد سجدة العابد لنبع «رحمن». وبهدوء رفع عينيه نحو الاعلى وحدق في الصخرتين بلهفة ولوعة. شعر بخدر لذيذ سحري وهادئ ينبعث من اعماقه وينتشر في سائر اعضاء جسمه. احس بجسده يتراخى بانتشاء ورغبــة عارمة تدفعه للاضطجاع على ظهره. نهــض ووقف بالقرب من حافــة النبع. ثم جلس ونزع حذائيه. مد ســاقيه ووضعهما على مهل في المــاء. وبهدوء تام ايضا تمدد على ظهره فوق الارض. ورويدا رويدا اطبق جفونه واستسلم لاغفاءة لذيذة بعد رحلة متعبة شاقة.

# صورة صدئة

## قصة وترجمة: حسين عارف

اوضح شكل لها بامكاني استعادتة هو الزقاق والباب. قريبا من محطة الكهرباء القديمة، هناك زقاق يتجه نحو الشمال منها، واخر يتقاطع معه عموديا من جانبه الايمن، واول باب على الجهة اليمنى من الزقاق الثاني هذا هو باب الدار ذات الصورة الصدئة المطبوعة في ذهني عنها.

ليلــة امس الاول ظلــت اقلب التفكير فيها حتى وقــت متأخر. كانت الصورة تغرس انيابها في شــعوري الباطن وتسحق اعصابي بلجاجة. كانت تشن على هجمتها ذات العشرين سنة من الكبت على دفعة واحدة. ايقظت والدتي من نومها بشيء من القسوة وسألتها:

-هل كنا نسكن تلك الدار يوما ما؟! لم تتردد في الاجابة، قالت:

-نعم.. كنا!

قلت لها:

-ارجوك.. فكري جيدا.

استغربت.. سألتني:

-ماذا دهاك؟!

قلت:

لاشيء.. فقط اود ان اعلم.

هي كررت (نعم.. كنا) وعادت الى عز نومها. اما انا فقد ازددت انفعالا في الداخل باجابتها تلك!.. لم استطع النوم!.. انياب الصورة كانت تنغرس في شعوري.. تسحق اعصابي!..

-٢-

في الصباح، مررت بالباب كرة اخرى. كانت الصورة قد اصبحت لدي طلسما تكويني الرغبة في معرفة كنهه!. امعنت النظر فيها.. ها هو خشب الجوز المسود!.. تلك هي البراعم النحاسية.. وتلك هي السلسلة الحديدية ايضا.. كلها كما كانت في السابق!.. ولا الزقاق قد غير هو الاخر وجهته!.. انه لايزال يتقاطع عموديا مع نفس الزقاق المتجه شمال محطة الكهرباء القديمة!

حالما عدت الى البيت، توجهت الى والدتي بالسؤال في الحاح:

-هل انت واثقة؟!.

قالت:

-ولدي.. ماذا بك؟! ما الذي حدث؟!

انا احسست بالحرج!.. كانت الرغبة في معرفة سر الطلسم تكويني.. كررت عليها السؤال بغضب.. هي ايضا شعرت بالحرج:

قالت:

هيا معي!

هي تقدمتني..

..ركبنا عربة تجرها الخيول.. وصلنا النفق.. نزلنا وعبرنا مشيا.. قطعنا زقاقا ثم اتجهنا شمالا. بعدها استدرنا يمينا.. ووقفنا عند اول باب لقيناها قالت:

-هذه هي!..

مرت قشعريرة في جسدي!.. شعرت وكأن عشرات الابر تنغرس في قلبي!.. ووخزات الم غير مشخص بدأ يطحنني في الباطن!.. انا لم انبس بنبت شفه.. فقط عدت القهقري وهي في اثري. عندما ابتعدنا سألتها:

-كم كان عمري في ذلك الوقت؟!

قالت:

-ثلاث سنوات ونصف السنة.

ثلاث سنوات ونصف السنة؟!.. طلسم.. طلسم وليس شيئاً آخر! غير ان الرغبة ظلت تلح علي!.. ظلت تكويني! ظلت تضاعف من لهفتي الى ذلك!..

-٣-

هذا اليوم حالما استيقظت توجهت الى هنا. طرقت الباب. قلت:

قارئ المقياس!.

اجلت بنظري سريعا داخل الدار.. ومن الداخل كانت هي نفسها.. تماما مثلما كانت قابعة في داخلي!.. باحة واسعة مرصوفة بالواح الحجر الرقيق!.. غرفة سفلية!.. درج على الجانب الايسر يؤدي الى ايوان مزجج الواجهة. ولكن اين الكوة الى كانت تحت المدرج مباشرة؟!. اين اثر الصورة المرعبة؟!

كانت هناك امرأة تغسل الملابس في ركن من الباحة، وطفل يقف بالقرب منها. قلت له:

-قل لوالدتك ان الساعة عاطلة.. سأعود غدا..

عندما خرجت، كنت منزعجا كثيرا.. كنت العن نفسي.. كنت اقول في نفسي:

-اين اثر الصورة المرعبة؟!

الطلســم كان يفرغ من محتواه من تلقاء نفســه. ولكنه كان ينتعش بنفس السرعة في اعماقي ويتفجر مجددا.

-تحت المدرج مباشــرة!.. كانت هناك كوة!.. كانــت صورة مرعبة!.. ومرة اخرى توجهت بالسؤال الملح الى والدتي، قلت:

-امي العزيزة.. هل انت واثقة تماما؟! هذه المرة غضبت مني.. قالت:

-لم اخرف بعد!

قلت:

-ولكن اعذريني!.. هل كانت هناك كوة تحت المدرج؟!

قالت:

-نعم!.

سألت:

-ما الذي كنتم تضعونه فيها؟!

فكرت!.. لمدة طويلة فكرت!.. واخيرا قالت:

-فقط الحاجيات المتهرئة المتروكة.

سألتها ايضا:

-هل انت واثقة؟!

قالت:

-وي!.. لم تمض ســوى عشــرين ســنة!.. مازالت الصــورة حية امام ناظري، وكأنها كانت بالامس.

-٤-

اية حاجيات متهرئة؟!.. هي صــورة مرعبة!.. مرعبة جدا!.. مضت ســنوات وانا اعيها من الداخل. سنوات وانا ادقق النظر فيها واقلبها ظهرا

لبطن وبطنا لظهر في اعماقي!.. ولكن اســفا.. فقد ظللتُ مكتوف اليدين امام تجلية سرها!.. ظللت اتواجه معها كطلسم امتنع على معرفة كنهها.. طلســم يخفي نفســه في غور احدى زوايا باطني!.. انها مجموعة.. فقط مجموعة من الصور المتداخلة الصدئة لا غير!.

نفذ صبري.. خرجت الى الشارع.. درت على غير هدى.. راجعت العديد من شوارع وازقة ومقاهي المدينة من جديد..وقلبت الامر مع نفسي على أوجه عديدة! واخيرا توصلت الى قرار.. علي بالبحث عن احد الاصدقاء.. عن احد المعارف من ســكنة ذلك الحي. وأخــيراً وجدته. تركت الاتيكيت جانباً. فرضت نفسي ضيفاً عليه لطعام العشاء كانت دارهم تقع في الزقاق الذي يلي مرامي. لم يكن هو الذي يعنيني استدرجت ولده سألته:

-لمن كانت تلك الدار قبلا؟!

قال:

-الاسطه صابر السراج.

سألت:

-وحسبما تتذكر من كان يسكنها قبل حوالي عشرين سنة؟!

قال:

-الاسكافي محمد الاقرع.

قلت:

-انه والدي.

اطرق برأسه خجلا. لكنه قال:

-كان والدك، رحمه الله. رجلا طيبا.

سألت:

-هل كنت على صداقة معه؟!

قال:

-ليس بشكل جيد.

بعد هنيهة، قال:

-في الحقيقة كان انسانا منكفئا على ذاته.. لم يكن يحب مخالطة الناس!.

قلت:

علمت من والدتي على ان صدمة مؤلمة قد وضعته اسير حزن دائم!.

اندهش.. قال:

-في الواقع انا عرفته منذ الطفولة عن بعد فقط.. فلم اسمع ان يكون قد حدث له شيء من هذا القبيل.

انا كنت اود الاستمرار في الحديث حول الموضوع.. الا انه غيره وانتقل الى موضوع آخر.

-٥-

هـذه الليلة عندما عـدت الى البيـت، كنت في اقصى حـالات التوتر والانفعال. كانت محاولة اسـتكناه سر الطلسم تسيطر على كامل مساحة عقلي وشعوري. وكنت اعتقد انني بلغت شواطئ النتيجة النهائية، مجددا اندفعت نحو والدتي بالسؤال:

-متى كان ان اغتني والدي؟

قالت:

-انت كنت لما تزل طفلاً.

سألت:

كم كان عمري بالضبط؟!

قالت:

-خمسة او ستة اعوام.

مرة احرى سألت:

-كيف اغتني؟!

انبهتت!.. ثم خمدت وبـــدأت تفكر.. لمدة طويلة ظلت تفكر.. واخيرا عندما اجابت قالت:

-ولدي العزيز!.. ماذا حدث لك؟! ماذا دهاك؟!

غير انني اعدت تساؤلي عليها بقسوة:

-كيف اغتني؟!

انبهتـــت ايضا.. ثم خمدت وفكرت طويلا ايضا!.. الى ان بدأت الدموع تنفجـــر رويدا من مآقيها.. ثم ســـألت منحدرة فـــوق خديها!. وحينذاك وكأنها كانت قد قررت دخول معركة قسوة القلب ايضا، قالت:

-ولكـــن قل لي انت ايضا، بأي حق تنهال بثقل هذا الســـؤال على روح ذاك الاب الذي خاطر وعمل المستحيل لاجل اسعادك انت؟!

هـــذه الاجابة المحبوجة جعلتني بازاء حالة هيســـتيرية لا اكثر، حيث تـــراءت الصـــورة المرعبة لي اوضح مـــن ذي قبل بكثير، ممـــا دفعني الى مواجهتها بنفس السؤال بقوة اشد بكثير:

-كيف اغتني؟!

هي دفنت رأســـها في حضنها وبدأت تبكي بحرقـــة. وانا بدأت اتنفس الصعداء لاول مرة ازاء الطلسم العنيد وقلت في نفسي:

-لم اكن على خطأ البتة!.. لقد كان شكي في محله تماما!.

[العدد (٦) من مجلة بهيان/ ١٩٧٦]

# عدو العم قيتل

## ترجمة: جيهان عمر

مد صديق يده إلى باب المسجد وقال:

-هل ترى هذين الشخصين؟

نظرت إليهما بدون اكتراث وقلت:

-نعم.. إنهما ليسا الجد والحفيد؟!

لاحظت انه استحسن الجواب، وقال باسما وباطمئنان:

-كنت اعلم بأنك تفهـم هكذا. ولكنه ليس كذلك.. واعلم بأنك تريد أن تعرفهما؟!

اسمع لأرويها لك..

انـه لم ينتظر جوابي (الله يحفظه)! وانه لايعطي المجال لأحد عندما يتكلم وبدأ كعادته بسرد الموضوع وقال: هل ترى هذا الولد الجالس بجانب العجوز، لحد الآن ليس لأحد معلومات مؤكدة حول نسـبه؟! من هو ابوه وامه؟! أو من أي منطقة؟! ولا يعلم احد من أين جاء واسـتقر في المحلة؟! والشيء الواضح لدينا فقط قبل عدة أشهر، في يوم من الأيام تعارك مع هذا العجوز، ومن ذلك اليوم أصبح اسمه على لسان ساكني المحلة واشتهر باسم

(عدو العم فيتل) على مهلك أعلم انك تريد أن تسال من هو العم فيتل؟!
ان العـــم فيتل هو ذلك الجالس بجانب الولـــد الصغير. أرجو أن تلاحظ..
انظر إلى شـــاربه المنتصب.. وعندما يقوم ويمشـــي مثل شواربه. مثل ما
قلـــت حول الولد، لايعلم احد في المحلة شـــيئا عن ماضيـــه، حتى عندما
نسأله لا يتذكر شـــيئا كثيرا ماعدا بعض الذكريات عن هذا الزقاق وازقة
اخرى. ولا يمكنه إعطاء المعلومات الكافية! اما عن العم فيتل، فانني اعلم
الكثير من المعلومات عنه، لأتحدث لك قليلا كما قلت، الاســـم على المسمى.
أن عمره يقترب من الســـتين، ولكن ســـيماه وجسمه ومشيه، وزوجين من
الشوارب، فانك ترى شخصا منتصب القامة والاسم على المسمى. هذا العم
فيتل، منذ خمس عشـــرة ســـنة وهو يقوم ببيع الحلوى في المحلة فأطفال
المحلة لا يشـــترون إلا منه، ومذاق حلواه الموضعة على الصينية، لحد الآن
بين أسنان الشباب الأقوياء، كما أن نقود (العانة الفلسين) لهؤلاء كان تدخل
إلى كيسه الوسخ المصنوع من القماش الخام. لا أريد أن اطول في الكلام حتى
لا توجع رأســـك، قبل خمس عشرة ســـنة، اي منذ اليوم لذي استولى العم
فيتل على الغرفة التي تقع في أسفل باحة المسجد، وانشأ عند بابها (دكانا
لبيع الحلوى) حتى قبل ثلاثة اشـــهر لم نر شـــخصا يمكنه أن يتحداه في
بيع الحلوى!. وفي بعض المرات حين كان يظهر بعض من بائعي الحلوى في
المنطقة لينافسه، كان يدحرهم ويجبرهم على ترك المنطقة.

ولكنه قبل ثلاثة اشـــهر.. اخي العزيز لا تســـأل!.. عن الشـــخص الذي
تحداه!.. ظهر ولد مشاكس.. لصق به كما يلصق الشعر بالأنف ولم يفارقه
حتى هزمه وللمرة الأولى تمكن أن يدحر العم فيتل!. هل تعلم كيف؟! في
أحدى المرات رواه لنا من البداية.. وقال:

((في صبيحة احد الأيام وكما يقال لم يقســـم الخير والشر، استيقظت

من النوم من زعيق احد الاولاد، في البداية لم اهتم به كثيرا وظننت انه مـــن العابرين في المحلة وليس أكثر من هذا ولكن اســتمعت بصورة جيدة وانتبهت لها، ظهرت لي أنها صيحات مستمرة من احد الاولاد، وان الصوت لايبتعد ولا يقترب بل ثابت في مكانه. من المحتمل ان يكون شخصا جالسا في الزقاق ولا يتحرك!! لذلك خرجت مجبرا لأرى. فنظرت فشــاهدت ولدا عمره ثماني او تســع سنوات جالسا عند حافة الجدار المقابل واضع أمامه صينيــة مملوءة بالحلوى، ينادي بصورة مســتمرة لها!. اقول الصحيح لان الله لايحــب الكذب.. قبضت باحدى يــدي ذراعه، وبيدي الاخرى صينية الحلوى ورفعته وقلت له:

-ابني.. ماهذه الصيحات والشــغب؟ اذهــب وبعها في مكان اخر. إلا ان الولد اخذ مني الصينية وكأنه يتحداني وقال بعصبية:

-ما العلاقة بك؟ اذهب وقم بعملك كخادم المسجد.. ماذا تريد مني..

عندما ســمعت ذلك، أصبحت عصبيا، عند ذلك علمت بأنني لم انتبه له.. ولم اعلم انه بهذا الشكل؟.. سابقا لم اقابل ولم أر مثل هؤلاء الأولاد المشاكســين.. فكرت بــان اضربه عدة صفعات.. ولكني لعنت الشــيطان.. اكتفيت بالشتم والصياح عليه:

-٠ابن الزنا يا بذيء اللســان.. لا اعــرف ابن من انت يا دنيء الاصل.. انني لســت خادم المسجد.. اقول لك ليس لك مكان هنا.. اذهب يا مكسور الرقبة لا تتبق في هذا المكان.

عندما قلت له هذه الكلمات كأنما يشك في شيء، تراجع قليلا الى الوراء ولم يكترث لكلامي وقال:

ان المكان ليس ملكك انها ارض الله اجلس عليها!!

ان الله لايحب الكذب.. لم اتمكن من الســيطرة على نفســي اكثر من

هذا.. هجمت عليه لاضربه قليلا.. الا ان هذا الشـيطان قفز مثل الارنب وخرج من بين يدي وذهب.

ان العم فيتل سرد بداية الحادثة بهذا الشكل الا ان الباقي منها واضح لدينا. هـل تعلم كيف؟ اخي العزيز في ذلك الصبـاح عندما تحرك أولاد الحارة متوجهـين إلى العم فيتل وكانوا بحوزتهم النقود. ذلك الولد وقف عند بداية الزقاق يبعهم الحلوى ويتسـلم النقود منهم واحدا بعد الآخر ماعـدا بعـض منهم.. اي لم يبق للعم فيتـل الا القليل.. وكل ما بقي له ان يأخـذ حجارة ويرمي بها الولد ليبتعد. وانه في كل مرة يحمل صينية الحلوى ويركض بسـرعة، وعندما كان هو يعـود الى مكانه، الولد يرجع مرة اخرى!.

ومنذ ذلك اليوم، انتشـر الموضوع بـين الجميع في المحلة واصبح مثل العلـك المحلي في فم الصغير والكبير، عندما كنـت تحضر اجتماع النكات والضحـكات، فان هذا الموضـوع كان على رأس المواضيـع، ونحن لانفتخر للدعاية ولمثل هذه الحوادث!.

كنا نحرض الولد للوقوف ضد العم فيتل، من واجهة اخرى لنا نحرض العم فيتل ضد الولد وهكذا كان الوضع مسرة وضحكا، لا تسال عنها!. ماذا تقـول؟! هذه معصية؟! هـذا القلب العطوف؟ هذا الكلام الفارغ.. اسـمع اتكلـم عن باقي الحـدث.. لتعلم اننا أخطائنا او قمنـا بعمل جيد. منذ ثلاثة اسـابيع يتعاملان بهذا الشـكل.. الشـدة والليونة، العم فيتل يريد ان يغلبه!.. وهو يريد ذلك، هذه اللعبة ليسـت لها نهاية: ولكن اخيرا العم فيتل انهزم انهزاما عجيبا.. لم نر مثل هذا.. اتفق مع الولد لكي يتعاونا معـا، ليكن هو ابنا له ويكون هو والدا له.. لبيع الحلوى ويعيش معا.. ولا نعلم ما هي نية العم فيتل من البداية، وما هو قصده من هذه الاتفاقية،

المهــم حاليا انهما مثل الوالد والابن، او حســب رايك، مثل الجد والحفيد يعيشان معا.

انني اتعجب من قــدرة الله.. العم فيتل في البداية كان يكره الاطفال، والآن يحبــه بدلا من مئة بل الف مرة. عندما تســأله عن هذا الموضوع، يشــكر الله ويقــول.. لا اصدق ان يكون هذا الولد مــن مخلوقات الارض.. كلا.. انــه من الملائكة الرحمانية نزله من الســماء الي، حتى يملئ فراغ عقمي من عمري الستين.. انني أسالك..

هل عملنا هذا عمل ســيئ حين فســحنا المجال للولد لكي يســتمر في منافسته ولا ينهزم؟

وكان جوابي ان هززت رأسي بلا مبالاة ولم اقل شيئا.

قصة قصيرة

# حفرة كبد العجوزة *

## ترجمها: حسين عثمان نيركسجارى

❖ ٢٥ نيسان ١٩٦٣؟

❖ نعم.

❖ في ذلك اليوم خطبتم له بنتا؟

❖ نعم... نعم...

❖ لم يسمح لكم سلخ حلقة الزوجية من يده، هذا هو جثمان شهيدكم. حلقة ذهبية متربة وكيس من بقايا الجســم ورفاته سلّم الى رجل مسن، تــراه من جهة يذرف الدموع مدرارا على الكيــس ومن جهة اخرى تراه كأنه بُشّر بحياة جديدة لشهيده.

❖ اللعنة عليكم.. منذ تسعة اشهر وانتم تتواعدوني وتخادعوني.. تسعة أشــهر تجّرعوني آلام الظنون والريبة, الا انه رغم ذلك كان سعيدا، فأخذ حجة الشهادة وكبسها في جيبه ثم أخذ كيسا من رفاة ابنه.

❖ وماذا عن ابني؟! أفديكم.. أفديكم ابني؟

كانت عجوزة ومنذ مدة تتضرع وتتوسل بنشيج ودموع وهي تلهث وتكافح.

❖ كل من جاء وجد فلذة كبده في التراب.. إلا فلذة كبدي.. أنا!

في دخيلة نفسها كانت تحسد بالآخرين.

❖ جدتنا العزيزة! كوني واثقة بأننا كالآخرين سنجد كبدك.

في ذلك اليوم كان معلم كُلف بالبحث والكشف عن أكباد أهل المدينة.

❖ أليس لهذا الشهيد وليّ؟

اشار احد من (البيشمرطة - الفدائي) بفوهة بندقيته (كلاشينكوف) الى جمجمة رميمة وكومة عظام في حفرة وخرق من (چوخه )١ وهو بلون التمر ملفوف بسروال اسود، ولم يجب احد من الزحام الحاضرين.

❖ يبدو انه بلا وليّ وقريب.

❖ يمكن انه من غير المدينة.

❖ يبدو بحذائه المحلى انه من أهل الريف.

هكذا تحاور المعلم والفدائيون (بيشمركة) فيما بينهم.

❖ عزيزي حمه! يا لفجيعتي لا أعثر حتى على عظامك!

بهكذا العويل والتشيج تبكي العجوزة وتصيح.

❖ أرجوكم .. يا معلم يا ناس.. يا (بيشمركة) .. لله أعثروا على ابني الوحيد (حمه).

العجوزة من هول فجيعتها كادت ان تمطر الاحجار وتمسك السماء.

❖ اللعنة عليكم.. تصورت لـ(حمه) كل أنواع الموت سوى هذا الموت. أدفن الشيخ المسن كيس عظام ابنه في الوادي الواقع بعيدا من وادي الموت هذا.

❖ انهم كانوا وحوشا.

❖ إنشغالنا والهاؤنا بهذه الاحاديث لا يَجدي شيئا، انهم هم ونحن ماذا؟!

* سُذج.. مغفلون.. اغبياء.
* حاملـوا اكياس عظام أكبادهم هكذا يتحدثون عن السياسـة وهم على حوافي الحفر واقفون.
* عثرنا على شهيد آخر.
* هكذا نادى أحد (البيشمركة).
* بشرى.. ومرحى انه (حمه)!
* هاجت العجوزة بإندفاع.
* شال وشمك وزوج (كلاش دومي – ملابس كوردية وحذاء محلي).
* لإراه.
* هل كان لابسا الشال و الشمك؟
* كلا.
* لا ضرورة لرؤيته.
* أنظري اليه جيدا.
* زوج (كلاش دومي).
* كلا.
* من المحبذ أن لا تنظر اليه.

العجوزة تتمنى الموت.. هربت غاضبة صوب السـياج الشـائك في منحدر الوادي، وبدأت تصرخ وتصيح بوجه المعسكر.

* عظامي.. اعيدوا لي عظامي.

من بعيد هُزتّ فوهة رشاش دكتاروف, وركب عليه شريط من الخراطيش، بفزع وجزع قام شـلّة من الجنود وهم مرتبكون، ضابط وبسـرعة ثبت عينيـه علـى الناظور وقال لجنـوده: كونوا في حيطة واسـتعداد، هؤلاء عنيـدون غير متزنين، اخاف ان يقوموا بأعمال طائشـة ومغامرة واثناء

ذلـــك الهياج حصّن المعلم راســـه في حفرة قديمة للثلـــج ومنها صاح على العجوزة:-

• يا جدة العزيزة! ابتعدي عن السياج حيث هكذا اتفقنا معهم.

• اين حفرة كبدي؟!

• تيقني أننا سنعثر عليه.

• اليس لهذا الشهيد وليّ؟

لم يزل (البيشمركة) منشـغلا بجذب انظار الجماهير المحتشدة الى الشال والحذاء المحلي (كلاش)، والجماهير المحتشدة يجرجرون أجسادهم المنهكة نحـــو حفرة أخرى, وكأن جروحهم الغائرة تحرك أهدابهم, الكرك يقطع كبد الجدة كما وانه يعثر على كبدها.

• مبكرا علمت ان هذه الحفرة لكبد شخص آخر.

انها تتقادم وتتزاحم صوب حوافي حفرة واخرى.

• جدة العزيزة! لا تكوني عقبة أمام أعمالنا.

أحد البيشمرطة ببراءة جرح مشاعر العجوزة.

• هذه حفرة كبدي - هكذا يقول لي قلبي.

بكفة الكرك والمجارف يعيش أمل العجوزة أو يموت.

فلترحل جثمان هؤلاء الشهداء الى مثوى آبائهم وأجدادهم, لماذا نتركهم في صحارى الغربة والوحدة؟

• هنا وادي الشهداء.. وهنا سحبوا في الدماء صفحات تأريخهم القاني.

• وهنالك تل الشهداء, وفيها زيّن الآباء والاجداد صفحات بلون أحمر.

• هذه حفرة كبدي.. هكذا يقول لي قلبي.. فقل لهذه المجرفة ان لا تخلد للراحة الى أن تعثر على كبدي.

مـــا يهم العجوزة ليس هذا التـــل أو ذاك الوادي, بل كل ما ترنوا اليه هو

حفرة كبدها.

❖ حزام من قماش جيت اسود فاتح.

❖ افدي افواهكم.

❖ سروال و (ستارخاني )٢.

❖ كلا .. لله .. لا

❖ زوج من حذاء..

❖ بمن ألوذ.. وبمن استغيث.. أين كبدي.. أين شهيدي؟

سقطت العجوزة على وجهها وكأنها تحفر الارض باهدابها.

❖ افديكم أعطوني.. هذا ابني.

هذه ليست العجوزة بل إمرأة عمرها أكثر من ٣٥ عاما, تزوجت مبكرا, زوجها الآن يتمالك نفسه واخنق البكاء في بلعومه باهتا.

❖ قلم (باندان) حفر عليه؛ (امّا كوردستان واما الفناء).

❖ آزاد .. يا روحي

بأعلى صوتها بدأت (ام آزاد) بالصراخ والعياط.. ثم همدت فتكومت في مكانها.

❖ لكم ولشهيدكم العزة والشموخ.

ابو آزاد كان سعيدا, فتأبط كيس العظام وخطا نحو واد آخر.

❖ يا معلم! هذا الشهيد بدون أهل فماذا نعمل به؟

قالها (بيشمرطة) الذي كان واقفا على حفرة الشهداء الذين لم يحضر اهلهم.

❖ يا معلم! الشمس على وشك الأفول.. أين حفرة كبدي؟

❖ جدتي العزيزة! لابد ان نعثر عليه.

❖ انا اقول أين حفرة كبدي؟!

❖ ......

بدات العجـوزة لمرة أخرى تصرخ وتصيح بوجه المعسـكر وهربت نحوه بهياج وبكاء.

❖ اين حفرة كبدي؟

إثنان من (بيشـمركة) احتضناها وهما يقبـلان يديها المزروعة بالعروق والشرايين الدقيقة ووجهها الشاحب المجعد.

❖ أين حفرة كبدي؟

انتزعت نفسـها من ايديهم وهربت صـوب المدينة، والى وقت متأخر من الليـل تنفجر صيحاتها وصراخها في أزقة وشـوارع المدينـة، وفجأة همد الصراخ والبكاء فلاذ الناس الى نوم هاديء.

مايس / ١٩٧٠

١- لباس كوردي.

٢- لباس كردي.

★ اعتقد ان لهذه القصة خلفية تأريخية

كتبـت هذه القصة في مايس ١٩٧٠ عن الكارثة المعروفة في السـليمانية بـ (منـع تجول الزعيم صديق عام ١٩٦٣)، بعد إسـتئناف القتال بين الثورة الكوردية وحكومة البعث عام ١٩٦٣، ارسـلت حكومة البعث زعيم صديق كقائد عسـكري سـفاح لقمع الثورة الكوردية في منطقة السـليمانية. في الصبـاح الباكر ليـوم ٩ حزيران ١٩٦٣ اعلنت بمكـبرات الصوت براً وجواً حالة منع التجول في السـليمانية وضواحيها, فسادت المدينة أجواء دموية رهيبـة، فبدأ الجنود بتفتيش البيـوت، وأخرجت الآلاف من أهل المدينة

عنوة بملاس النوم واقتيدوا الى حامية الســليمانـية وسجنوا في اسطبلات الحيوانات، كما وقتل اثناء التفتيش وامام أهلهم عشــرات من الرجال، ان المترجم لهذه القصة شــاهد حي على قتل اخوين شــابين من جارنا وأمام أهلهما ودفنا في باحة دارهما.

وبعد رفع منع التجوال تبين ان الجنود قتلوا اثناء التفتيش عشرات أمام اهلهم، كما ونقل عدد كثير من الناس الى حامية السليمانية وامام محكمة صورية حكم على عشــرات من المعتقلين بالإعــدام، فاطلقت عليهم النار ودفنــوا في قبور جماعية قرب الحامية. بعــد المفاوضات التي جرت بين حكومة عبدالسلام عارف والثورة الكوردية عام ١٩٦٤ وحسب منهج احتفائي لائق ســمح لأهالي السليمانية في شهر آذار ١٩٦٤ بنقل رفاة شهدائهم الى تل الشهداء، فمن المخاض العسير ذلك ولدت هذه القصة الرائعة فأصبحت خير خلف لخير سلف.

أما لهذا القلب ان يخفق ويتعظ؟

بعــد منع التجول المذكور اعلاه بـ(٢٢) ســنة و بقصد جعل اعزة المدينة اذلــة- اعلنت حكومة البعث في ١٧/١٠/٩٨٥ منع تجول اخرى اعنف وارعن دموية و قسوة عن الاول ، ففي ساحات و شوارع عامة نظمت على رؤوس الاشــهاد حمامات الدم لمئات العوائل و لكامل افرادها فاطلقت النار عليهم بعد ان هدمت دورهم كاملة امام مرأى الضحايا.

والان فهل الذكرى تنفع المؤمنين؟

المترجم

# الأيام

## ترجمة: محي الدين محمود

عنـــد اقتراب المغرب ذات يوم خريفي مضى كل منهما من طريق نحو مشـــارف المدينـــة، لقد مضى عليهما زمن بعيد من غـــير أن يلتقيا. كانت مباردة اللقاء مبادرته، وطلب من عمته أن توقظه مبكرا في الصباح، لأنه يرغب متلهفا في رؤيته، من قبل، كان قد فكر وفي كثير من الأحيان بذلك. فقـــرر ويقول: «ولم لا؟ فما الذي ســـيحدث؟! فلن يمســـك أي منا بخناق الآخر»..

وليكن كذلك، فهو أفضل. على الأقل ستنحل العقدة المستعصية في قلبي فيصفو ذهني وحســـي نحـــوه؟ كان يقول هذا ويقـــرر القيام به في أقرب فرضة وإذا به حين تحين الفرصـــة، تبددها الحيرة والتردد فيؤجلها للمرة القادمة. ولم تكن المرة القادمة لتتكرر بسهولة.

فلقـــد كان مـــن الناس الذين يتعذر عليهم الاســـتقرار في مكان. ومنذ أن تســـبب بانفلات حياته عن مســـارها، صار جواب المدن الذي لايقر له قرار.

فـــكان يمضي ويغيب ولا يعثر له على أثر. ما من أحد يعرف الى أين وماذا

يفعل: ويرى.. تصل اخباره في فترات متباعدة، فيقال انه شـوهد في المدينة أو البلدة الفلانية، ولكن لم يسـمع أبدا بما يفيد انه قد اسـتقر، ما من احد كان يستطيع أن يقول هذا.

لانــه ما ان تمضي فترة قصيرة على قولك هذا حتى تراه فجأة، ثم لا تمضي أكثــر من بضع أيام على ظهوره حتى يختفــي ثانية. وظهوره في المرة الأخيرة فجأة لم يكن نتيجة لسـيطرته على تردده وحيرته، فتشبث بالمرة التالية ولم يفلت هذه الفرصة.

في صبــاح ذلـك اليوم حين دخلت عمته ثم جلسـت، سـألها بصورة عفوية:

-ما هي أخبار جوابنا في المدن؟

وإذا بعمته تقول:

-انه في البيت.. لقد ظهر فجر هذا اليوم..!

وكأن الرغبة انفجرت في قلبه فجأة، سرت في أحشاءه حرارة صدغيه.. وتعلقــت نظراتــه وعجز عن التفوه بشــيء. والعمة كأنها احسـت بذلك فتململ في أعماقها نوع من الخوف فقالت:

-يبدو أنه لن يلبث هنا كثيرا.. أنت تعرف!

لم يدعها أن تكمل الكلام وكمن يناجي نفسه قال:

-ارغب في رؤيته..!

لــم تكن العمة تصدق اذنيها دهشــة.. عندها قال هذه المرة بصراحة وثقة:

-اخبريه انني ارغب في رؤيته متلهفا.

* * *

كان اللقاء بالنســبة لكليهما، لحظة موارة بفوران أعماق النفس، وكأن

كل منهما قد حضر الى ساحة الآخر للصراع، ولكنه صراع يستخدم فيه ضد الآخر كل ما في الأعماق من السيوف والسهام. والمكان هو من انسب الأماكن لمثل هذه المبارزة. لقد حدد هو نفسه هذا المكان. ربوة (سيوان) بالقرب من قبة مزار الشيخ (مارف). لماذا هناك؟ كان يعرف لماذاوفرح سره بذلك كثيرا.

نعم.. (سيوان).. وبجوار القبة. في الربيع وعند بدايات الصيف كنا نعتبر ذلك المكان خاصا بنا. ولم نكن نسمح للطلاب بالاقتراب منه. فكنا ندرس طالما رغبنا في الدراسة ونلعب طالما رغبنا في اللعب. ومن ثم حين كنا نجلس مستقبلين المدينة، تتجه انظارنا مباشرة نحو ذلك البيت. كان الطابق العلوي فيه يواجه ربوة (سيوان). ويرى كل منا المرآتين وهما في رواح ومجيئ وتدوران في باحة البيت. شقيقتان.إقترنتا بصديقين يعتبر كل منهما الآخر وتخلى لوالدي وصديقه عن الطابق العلوي. ما من شيء يفصل كل منا عن الآخر قيد انملة.

كان جدي وجدتي مع ابي. وكان أبي مع امه وابيه ومن ثم كان هو ايضا مثلما كان أبي وابيه، اصدقاء (الروح بالروح)..

حين وصل هو، كان قد مضى على جلوس هذا وقت طويل. إنها لحظة انفلات الأحاسيس والتحية في مثل هذه الدوامة العاصفة امر غير مناسب. لم يسلم وتقدم بصمت ووقف عند راسه. لبث كل منهما لمدة صامتا حتى مزق هذا ستارة الصمت قائلا بهدوء:

- هل ترى؟!

وهو الذي كان من قبل يشاركه في النظر الى المشهد. أجاب بهدوء مماثل لهدوئه قائلا:

- أرى..!

- بأي عين؟! بالعين التي كانت أم بعين الآن؟!
- أنا لا أملك نوعين من العيون.
- يعني انها نفس عيونك التي كانت؟!
- لا اقول هذا ايضا.. ولكن للأيام آثرها.
- هنالك بعض الأمور التي لا تؤثر فيها الأيام.

كان كل منهما يفهم الآخر جيدا.. ويعرف كل منهما ماذا يعني الآخر بمـــا يقول. هو الذي ظل حتى هـــذه اللحظة واقفا. جلس بهدوء بجانبه. واسند ظهره الى جدار الضريح ومدد ساقيه. أخرج علبة سجائره وسحب منها ســيجارة لنفســه ومن غير أن يلتفــت الى هذا مديـــده بالعلبة إليه فأخرج هذا من غير أن يلتفت اليه ســيجارة وأشــعل كل منهما سيجارته بعود من علبة ثقابع واخذا يدخنان بعدها بادر هو بالحديث قائلا:

- كلامـــك صحيح.. ولكن شـــرط ان يعرف اي (بعـــض) من (الأمور) هي..!

التفـــت هذا الأول مـــرة إليه من جوابه كالمندهش ونظـــر الى وجهه. وزاده النظر دهشة! في تلك اللحظات ومض في ذهنه الشك في أن يكون هذا الرجل هو نفسه بالذات! حقا انه قد مضت على عدم رؤيته تسع سنين، ولكن كيف ولماذا تغير بهذه الصورة! وخـــلال تأملاته هذه مرت أمام ناظريه صورته في الماضي (عيون ســـوداء تلتمع بالبريق وحاجبان أســـودان ايضا وجبهة واسعة وخدود وذقن ممتلئة مدورة، وشـــعر كثيف ممشـــط دوما وشـــارب أسود رفيع، نعم.. وجه شاب وسيم، شديد الوسامة).

واستدعت صورته السابقة صورة (شوبو) وصورة التي قرأت له أحيت مـــا حدث للمرة الألف في ذهنه وحســـه. فقال في نفســـه: (صحيح إنها في البدايـــة لم تكن أكثر من مزحـــة طفولية)، حيث احبها كل منا. وأحببت

هي كل منا. وكنا نتصور أنفسـنا ثلاثـة أطفال صغار (نمارس في الزقاق اللعب. كان كل منا في الثالثة عشـرة وهي كانت في الحادية عشـرة، ولكن هذا لم يدم طويلا. حيث اتضح في وقت مبكر وان كنت احبها اكثر منك بكثير وكانت هي تحبك أكثر مما تحبني. فكنت باقة الزهر.. ولهذا كتمت من اجلك عشـقي الأول والأخير وأخمت قلبي. ومثلما مزجت (شوبو) من اجلـك لعبتها الطفولية بـكل كيانها إلا انك.. أنت..! مـن أين أتيت بكل انعدام المروءة هذا؟! كيف قمت..).

- لم تجب..! شرط أن تعرف اي (بعض اللأمور) هذه!

انتبه هذا إلى نفسه.. وأشاح بوجهه عنه وعاد إلى النظر أمامه.

أمامه، نظر الى مرابع طفولتهما وطفولة (شوبو)، بعد قليل من التأمل قال:

- المروءة..!

فالتفت هو ايضا للمرة الأولى إلى هذا ونظر اليه. وعلت شفتيه ابتسامة تقزز باهتة وقال:

- المروءة.. يا لك من سـاه.. إن ما تؤثر فيه الأيام قبل اي شـيء آخر هو المروءة التي تزعمها.

- انت تنظر من خلال نفسك.. وتكيل بمكيالك انت!

- مكيالي هو مكيال أيامك.

- في وجهها الفاسد المتهرئ

- هي في نظرك كذلك.. وليس في نظري.

-هناك عيون نظيفة وعيون قذرة.

- كيف تميز كل منهما عن الأخرى؟

- كيف؟!

لقد سأل (هذا) السؤال ساخرا وصمت برهة.. ونظر إليه ساخرا ايضا فنظر هو ايضا من ناحيته إليه.. وكانت هذه هي المرة الأولى التي ينظر فيها كل منهما في عين الآخر.. قال هذا من غير أن يبعد نظره عنه وبنفس اللهجة شبه الساخرة:

- أنت تعرف المدعوة (شوبو)؟!

فعلت شفاهه (هو) ابتسامة ممتزحة بالهزء والسخرية وقال:

- لقد تركت لك بقاياها؟! مبروك.. لتكن ام اولادك!

عند عبارته هذه.. استشاط هذا غضبا. وصار جسده قطعة من النار. فانتفض واقفا على قدميه يرتجف كل جسده كصفصافة في الماء. ظل برهة واقفا بهذه الصورة، حتى استعاد رباطة جاشه وقال:

- بقاياها؟! هيا انهض!.. وتعال..

في البدء يتحرك (هو).. وابتعد هذا ثمانية او تسعة خطوات ووقف ازاء قبر مشيد والتفت اليه وناداه:

- تعال.. تعال انظر.

قام (هو) هكذا غير مبال ليعرف ماذا يريد ووقف متعاليا الى جانبه من غير أن يرفع النظر! أرهف السمع مصغيا. نعم سمع ما قال، ما سمعه كان شبيها بالقراءة: (هذا قبر المرحومة (شوبو ميرزا سليم السابلاخي)[1].

ملامح التكبر والتعالي وأحلت ضبابا هو مزيج من الخوف والرهبة والحزن، مال بعنقه ونظر إلى الشاهدة التي أمامه، ثم التفت ونظر ذاهلا في شبه دوار الى (هذا). لم يلتفت (هذا) اليه وقال:

- انظر جيدا. لقد انتحرت وهي في الثانية عشرة من عمرها.. إقرأ جيدا..

آنذاك كانت الشمس البعيدة تواجههم وهي تكاد تختفي خلف الجبال

من الجهة المقابلة وترسل شعاعا ذهبيا ناعما إلى وجهيهما يمنحهما شحوبا يكشف عن كل ذرات الحزن والأسف في أعماقهما.

لم يبق هذا أكثر من ذلك واكتفى بقوله:

- لم تنه الأمر بعد.. اقرأ السطرين على جانبي القبر.. آنذاك ستفهم ماهي (بعض) هذه (الأمور)!

ثم انحدر بخطوات هادئة وحين خرج من المقبرة ودخل ألزقاق المواجه لها. وقف والتفت ناظرا إلى الوراء، فرأى مازال متسمرا فوق قبر (شوبو).

١-سـابلاخ: الأسـم الأصلي لمدينة (مهاباد) التي سميت بها جمهورة (كردستان) الاولى الموؤدة.

# الأطالة

## ترجمة: معتصم سالەيى

هنـــاك من يقـــرع الباب الخارجي، كان علي ان اهب لأســـتطلع من هو الطارق، لدى فتحي للباب واجهتني فتاة حسناء ذات وجه صبوح وملامح دقيقة مليئة بالحيوية بادرتها قائلاً:

-تفضلي.!

قـــرأت في محياها نوعاً مـــن القلق، بنظرة فاحصـــة تطلعت من وراء ظهري الى داخل البيت وبلهجة متقطعة قالت:

-لا استطيع بماذا اتفوه.. انك.. ومن المحتمل..!

بدوري لزمت جانب الصمت، ومن جانبها ادركت مدة ذهولي وقالت:

-ارجو المعذرة.. لديكم غرفتان في الطابق العلوي، يوم الأثنين جئتكم وتشاورت مع زوجتك حول الموضوع.

اردت التحدث ولقطع الطريق عليها.. لكنها استرسلت في الكلام:

-طالبتك بتأجيرها لنا، لكن زوجتك قالت لي ان زوجها قد سافر ولدى عودته يوم الجمعة ســـوف اعرض عليه الأمـــر ومن ثم بامكاني الرجوع، وانا الآن قد جئتكم على امل ان القاك شخصياً.

مرة اخرى اردت ان اقطع عليها حديثها لكنها لم تتح لي الفرصة، ومضت في كلامها قائلة:

-اطلب منــك اجابة مفرحة، لأنني على جانب كبير من الهم واشــعر بالسأم، مضى عليَ سبعة اشهر وانا ابحث عن بيت لغرض ايجاره. لقد عقد قراني قبل سبعة اشهر، ومنذ ذلك الوقت وانا ابحث دون جدوى لاستئجار غرفة او غرفتين على شــاكلة مما لديكم، كي نســكن فيها؛ ليس بأمكاننا اســتئجار دار مســتقلة، حتى لو حصلنا على بيت كامل لا يمكننا العيش فيــه، ان خطيبي او بالأحرى زوجي يعمل مهندســاً ومن الأفضل ان اقول كان مهندساً، لأنه الآن يؤدي الخدمة العسكرية الالزامية. وانك تعلم كيف هو حال العســكري.! لو قضى يوماً واحــداً في بيته، فانه يغيب عن البيت لعــدة ايام، وعند عــدم تواجده في البيت كيف لــي المكوث وحدي في بيت مســتقل.!؟ انا اعمل معلمة للدراســة الابتدائية، تم تعييني قبل سنتين، اي اننــي اتقاضى منذ ســنتين راتباً ضئيلاً. بيت والــد خطيبي والأصح يجــب ان اقول والد زوجي يتمتعــون بوضع اقتصادي جيد. بدورهم فقد وعدونا بمد يد العون والمســاعدة لنا. والا فاننا لا نســتطيع تدبير امورنا بمرتب شــهري ضئيل، والدتي تقول لي دوماً: يا بنيتي لماذا الاســتعجال.! تمســكي بالصبر الى ان يكمل زوجك خدمته العســكرية ومن ثم بامكانه مزاولة عمل ما وتستطيعان وقتذاك من استئجار دار مستقلة لكما. لكنني لا انصاع لنصائح وارشــادات والدتي، وانني متيقنة بأنك قادر على فهمي لمــاذا وكيف تجري الأمور!؟ زوجتك شــرحت لي اموركــم وقالت لي بأنها ايضــاً عانت نفس المعاناة وقالت لي بأنهــا عندما تزوجت كان زوجها من المتخرجين الجدد، وســيق الى الخدمة العســكرية وانتظرته ســنة كاملة وتجرعــت مرارة الانتظار.! بدورك الآن تعلــم معاناة الانتظار، وبالأخص

لي لأنه بالأضافة الى الأشـهر السـبعة منذ عقد قراني، الا انه سبق لنا ان كنـا متحابين على امتداد اربع سـنوات، وهكذا امضينا عدة سـنوات، انا تعينت كمعلمة ابتدائية وهو بدوره تخرج مهندسـاً، بعد اكمالي للدراسة اتـى الكثيرون لطلب يدي لكنني كنت مصممة علـى عدم الزواج.. والدي ووالدتـي كانا مذهولين ازاء موقفي الرافض للزواج. لكن جميع الذين اتوا لطلب يدي كانوا اناسـاً طيبين ومن عوائل مرموقة، واخيراً سألني والدي على انفراد قائلاً:

-اريد منك الايضاح.. لماذا ترفضين الزواج.؟!

كان والدي مثقفاً منوراً، وكان ايضاً من التدريسيين، لذا لم اكن وجلة منه، قلت في سريرتي هذه فرصة سانحة، فمن الأفضل ان اميط اللثام عن جميع الأمور الخافية وقلت له:

-والدي العزيز.. انا مرتبطة بعلاقة حب مع أحد الشـباب وقد تعاهدنا على ان نكون لبعضنا.

خافتة قال لي والدي:

-حسـناً.. لكـن يا ترى من يكـون ذلك الفارس الشـهم.. لماذا لا يأتي لخطوبتك وانقاذنا من جميع الخاطبين الذين يأتون لخطوبتك دوماً.!؟

اشاع كلام والدي البهجة في قلبي، رغبت كثيراً في معانقته وتقبيل كل جانب من جوانب وجهه.. لكنني تمكنت من القول:

-لكـن يا والدي.. انه قد تخرج منذ عـام وتعين كمهندس، لكنه الآن منخرط في الخدمة العسكرية الألزامية..

بدوره قال لـي: لا مانع.. فليأت طالباً يدك ويخطبك، كي يخفف من اعبائنا، متى ما أنهى اموره فليأت لأخذكِ الى بيت الزوجية..

هذه المرة نفذت رغبتي وقبلته كثيراً.. فمعذرة لأنك الآن ملزم للاصغاء

لــكل تلك الأقاويل والحكاوي رغماً عنك، ليس من المســتبعد بأنني قمت باحراجك، لكنني اردت ان اوضح لك بأنني وزوجي لســنا من النوع الذي لو اجرتمونا غرفتين والعياذ بالله نكون قد نضيق الخناق عليكم بخلاف ذلك انا اطمئنك و اتعهد امامك بأننا ســوف نكون عائلتين متجانســتين، تسود بيننا المحبة والألفة، بجلوسي لمدة نصف ساعة فقط مع زوجتك في ذلــك اليوم، احببتها من صميم قلبي وتالفت معها، وكما يقال فان القلب للقلب انيس، وتيقنت بأنها تحمل نفس الشعور تجاهي، وطمأنتني بأنك لا تعارض طلبي، معذرة لو كان كلامي يحمل بين طياته بعضاً من الوشاية.. بما ان بين الأحباب تزول العوائق، لذا اجد نفســي مضطرة للتحدث بها، ووعدتنــي زوجتك ان لا أحمــل هموم عدم موافقتــك.! وقالت لي بأنها تعــرف كيف تضمن رضاك.! وأتيتك الآن ملتمســة علــى امل موافقتك، ارجوك ان لا تردني خائبة.!

بعد ان استرســلت في الــكلام وانجرفت في التحدث كثــيراً لاذت اخيراً بالصمــت. وانا بدوري بعد ان اضطررت للاصغاء طويلاً بقيت هامداً ولم استطع التفوه بأية كلمة، الى ان امدتني بقوة الكلام عندما سألت:

-بمَ تفضل بالقول؟!

في تلك اللحظة لملمت نفســي وانتشلت نفسي من الانجراف في الصمت واجبتها قائلاً:

-الشــخص المفترض ان تروي له كل هذه الحكاية لست انا بل هو أخي صاحب الدار، والآن اذهب لمناداته للحضور هنا.!

ملاحظة:

كانت القصص الأربع التالية التي ترجمها الكاتب المرحوم عبدالستار كاظم وقدم لها الشاعر والناقد الأستاذ كمال غمبار قد طبعت ونشرت بين دفتي كتاب في عام ١٩٨٥ وآثرت اعادة نشرها ضمن هضه المجموعة.

حسين عارف

## كلمة لابد منها

ليس غريبا ان تترجم آثار ادباء كرد تميزت بالاصالة الى اللغة العربية، بل الغريب حقا ان تبقى تلك الآثار محصورة في نطاق الكرد وحدهم ولا تجد من يعنى بترجمتها، في الوقت الذي يرتبط العرب والكرد وخاصة في العراق بأوثق الروابط وامتنها قديما وحديثا ويوجد بين المثقفين الكرد من له الامكانات الواسعة للقيام بهذه المهمة الجليلة.

ولقد ارتفعت الاصوات الخيرة في عموم القطر مطالبة بترجمة النتاجات الادبية الكردية الى العربية وبالعكس وخاصة النتاجات القصصية ليكون لها دورها الرائد في شد التلاحم الكفاحي بين ابناء الوطن الواحد وتقوية اواصر الاخوة العربية الكردية بما يخدم الاهداف الانسانية النبيلة التي يسعى اليها قطرنا الحبيب.

ولاشك ان مهمة نقل الآثار الادبية المبدعة مهمة تقع بالدرجة الاولى على عاتق المثقفين الكرد ممن يجيدون اللغتين العربية والكردية اجادة تامة، وقد كان ادباؤنا الافاضل ومنذ أكثر من عقدين من السنين بمستوى المسؤولية اذ قاموا بنقل الكثير من القصص والمسرحيات والقصائد العربية

الى الكردية ومن الكردية الى العربية.

ولقـــد كنت احـــد الذين اهتموا بهذا الموضوع وســاهموا منذ اكثر من عشر ســـنوات بنقل الكثير من القصائد الكلاسيكية والمعاصرة والعدد من القصص الفولكلورية والحديثة والمســرحيات لشـعراء وكتاب بارزين من الكردية الى العربية ونشرها على صفحات الجرائد والمجلات المحلية. ولكن المؤســف ان القصائــد والقصص تلــك لم تظهر بعد على شــكل مجاميع، واملي كبير في ان يؤاتيني الحظ لاضعها بين ايدي الادباء الكرام على شكل مجموعات.

حين ظهرت مجموعة القاص المبدع حسين عارف سنة ١٩٨٣ والموسومة بـ(گەلەگورگ: قطيع الذئــاب) وقراتها بامعان، خامرتني فكرة ترجمتها الى اللغــة العربية لما فيها من اصالة وابــداع يجعلانها في مصاف القصص العالميــة، ولكني ترددت كثيرا، غير ان تشــجيع العديد من الاخوة الادباء ومنهم القاص نفســه جعلني أركب هذا المركــب الصعب رغم ما فيه من معانــاة. ولكــن قبل ان انتهي مــن الترجمة حدث ان جــرح احد اولادي في جبهــات القتــال واضطررت ان ارافقه في المستشــفى وهو يتأرجح بين الحياة والموت مدة تزيد على الاربعة أشهر، الامر الذي اضطرني ان ارجئ الترجمــة لحين آخــر لا بل فكرت في أن اطلب الى احــد الاخوة الادباء ان يكمل ما بدأت به، ولكن بعد أن من الله على ولدي بالنجاة عدت الى اتمام الترجمة.

وبعد ان انتهيت من الترجمة ولكي تأتي دقيقة وامينة حد المســتطاع وخشــية من أن يكــون الحدث المرعب الذي مر بي قد اثــر او ترك آثارا في مســار الترجمة ودقتها، ارتأيت ان اودعها لاحد الادباء المعروفين بدقة الملاحظة والاطلاع الواسع والاتقان التام للغتين العربية والكردية لمراجعة

الترجمة بالاضافة الى كتابة مقدمة لها، وحضرتني عدة اسماء لها مكانتها الادبية ولها استعدادها لتقديم تلك المساعدة، غير أني اخترت في النهاية من بينهم اقربهم الي من حيث الاسلوب، هو الاستاذ (كمال غمبار).

ولقد كان الاستاذ غمبار عند حسن الظن به وفي مستوى المسؤولية اذ انه قام مشكورا بمراجعة الترجمة ومقابلتها بالنص الكردي عبارة بعبارة لا بل كلمة بكلمة، وقد نبهني الى مواضع كثيرة لم أكن موفقا فيها لسبب أو آخر، ولقد أخذت بمعظم ملاحظاته ولم أترك منها الا التي اختلفت واياه فيها من حيث الاسلوب فآثرت اسلوبي حفاظا على وحدة الاسلوب في المجموعة. ومن الجدير بالذكر ايضا أن القاص الاستاذ حسين عارف أيضا قد أبدى الكثير من الملاحظات بعد ملاحظات الاستاذ غمبار فأخذت بها أيضا. وعلى هذا فان هذا الجهد المتواضع الذي أقدمه لايمكن أن أقول عنه انه جهدي وحده بل لابد من ان اثني على جهود الاستاذ غمبار وجهود الاستاذ حسين عارف والتي لولا ما بذلاه من جهد معي لما ظهرت المجموعة بالشكل الذي هي عليه الآن والتي آمل ان تحظى بما تستحق من رضاء القراء.

ولقد كان من المفروض أن أستعرض المجموعة القصصية هذه استعراضا شاملا في هذه الكلمة، الا انني وبعد ان اطلعت على المقدمة التي تفضل الاستاذ كمال غمبار بكتابتها آثرت الاكتفاء بذلك اذ انه قد وفى الموضوع حقه وليس عندي ما أضيفه.

وقبل أن أنهي كلمتي الموجزة هذه ارى من المناسب ان انوه الى ان اسماء الشخصيات والمواقع التي وردت في هذه المجموعة قد ابقيتها على املائها الكردي ولكي يتمكن القارئ الكريم من ضبطها بالشكل جيدا ارجو ان يعلم ان الهاء المدورة في الاملاء الكردي تقابل الفتحة العربية فكلمة

(ســەردار) تلفظ (سَــردار). كما ان الواو التي تأتي مفردة بعد الاصوات الصامتة تلفظ كما تلفظ الضمة العربية مثل (گولچين) تلفظ (گلچين).
اما الهمزة فانها تكتب في الاملاء الكردي على نبرة دائما وذلك لانها لا تأتي الا في اول المفردات.

هذا ومما يجدر ذكره ايضا ان مســرح الاحداث في هذه القصص الاربع في الغالب هو محافظة الســليمانية لذا فان المواقع الواردة في القصص كلها تقريبا هي في تلك المحافظة.

واخــيرا ارجو ان اكون قد وفقت الى اداء بعض ما علي من واجب تجاه وطني وابنائــه وآمل ان يكون هذا الجهد المتواضع فاتحة يمن على الادب والادباء في عراقنا الغالي ومن الله التوفيق.

**عبدالستار كاظم اسماعيل**

**بغداد في الاول من محرم الحرام سنة ١٤٠٥**

**١٩٨٤/٩/٢٦**

## مقدمة:

تقترن شهرة القاص حسـين عارف وذيوع صيته كقاص مبدع مجدد بنشـر قصته الاولى (شـاي حلو) في مجلة (شفق- الفجر) عام ١٩٥٧، حيث فازت بالجائزة الاولى من بين القصص الكردية التي شـاركت في المسـابقة القصصيـة. لقد كانت تلك القصة نقلة نوعية في حياة الكاتب القصصية ان لـم تكن انتقالة جديدة في عالم القصة الكردية بشـكل عام بما أحس القارئ من خلال قصته ان لحسين عارف اسلوبا خاصا في الحبكة القصصية ولا سـيما نمو العقدة والتوتر الدرامي وما آلت اليه العقدة من نهاية على غير ما يتوقعه القارئ، وبدأ ذات الاسـلوب في قصصه الاخرى التي نشرها فيما بعد ولا سيما قصة «الشفق».

صدرت للقـاص عدة مجاميع قصصية لحـد الآن، صدرت مجموعته الاولى بعنوان «في سـوح الكفـاح» عام ١٩٥٩، ومجموعتـه الثانية صدرت بعنـوان «حزمة آلام غضبي» عـام ١٩٧١، ومجموعته الثالثة «زاد سـفر شاق» عام ١٩٧٥ وآخر مجاميعه هي التي بين أيدينا صدرت عام ١٩٨٣ وقد كانت بعنوان «الذئاب». هذا واضافة الى تلك المجاميع ثمة قصص متفرقة نشرت هنا وهناك ولم تدخل بعد ضمن المجاميع المذكورة.

لو اردنا اجراء مسح عام لقصص عارف وبشكل سريع لاستطعنا القول

بانها لا تتخذ مسارا واحدا ضمن خط بياني معين ومتوازن بحيث نجزم بأن القاص سلك اتجاها واحدا.

في مسيرته القصصية شأنه شأن أي كاتب مبدع يتطور ويجدد ويتجاوز نفسه والآخرين في سـياق التجارب التي يخوضها في حياته الكتابية. لقد مارس الكاتب مختلف الاتجاهات السـائدة كالواقعية الحديثة والتجريبية الجديـدة بما فيها تيار الوعي واسـتخدام الرمـوز والضبابية ولكن دون تجريد الرموز من بعدها الزمني او تحويلها الى ميلودراما باهتة.

ان حسـين عـارف كقاص مبدع مسـاهماته العديـدة في عالم القصة الكرديـة ولا يزال دائبـا في انتاجاته وعطاءاته الثـرة، حيث بات يحتل مـكان الصدارة من بـين القصاصين الكرد باسـتخدامه التكنيك الجديد والتقاط شـرائح الواقع واكسابها قيمة جمالية رائعة والقاء الضوء النافذ وبشـكل ذكي وواع على الواقع الاجتماعي، وسبر اعماقه وانتقاء الجوانب المشرقة والمظلمة منه في آن واحد، ولكن دون الوقوع في المطبات السطحية والهامشـية، بالرغم من أن حسين عارف كثيرا ما يستغرق في رؤيا فردية خاصـة الا انها متميزة وتكاد تكون رؤيا عمومية من خلال رفضها للعالم الممسـوخ المزيف والاحتجاج على التقاليد والقيـم البالية وادانة النماذج المختلفة المريضة الفاسـدة المعشعشـة في كيان المجتمـع، والاعتزاز بقيم ومآثر ومواقف نبيلة لنماذج من ابطال قصصه.

ان مجموعـة «الذئـاب» تتضمن اربع قصص هي: سـفرة سـحرية، المراسـل، قطيع الذئـاب، صولة القلب. اذا اردنـا أن نقيم القصص الاربع مـن خلال رؤية نقدية يمكن أن نعتبر قصتي (المراسـل) و (الذئاب) من نمط واحد من حيث رؤية القاص الفنية، حيث يتجاوز تجاربه السـابقة التي قد يعدها ان صح القول تقليدية، لانها لا تفي بحاجة القاص الفنية

الحالية، ولابد من طرح شـيء جديد. والقصة الاولى في المجموعة «سفرة سـحرية» التي سوف نعرج عليها في سياق تقييمنا للمجموعة لاتقف على نفس ارضية القصتين اللتين تليانها من حيث القوة والتماسـك، والقصة الاخيرة (صولة القلب) تعود الى مسـتوى القاص في الخمسينيات حين كان قاصـا يثمل تيار الواقعية الانتقاديـة، أي الى عام ١٩٥٧ زمن كتابة القصة دون اجـراء اي تعديل عليها كما نـوه القاص بذلك من خلال الملاحظات التي ابداها حولها.

ينبغي ان نعترف مقدما ان القصص الاربع بمضمونها وشموليتها نابعة اساسـا من وعي الكاتب (وعي ابطال القصص) واحساسـهم بأزمة فكرية ذاتيـة لابد من الانطلاق والانفلات من دائـرة الواقع والرغبة في التمرد وهدم الموانع التي تعيق حريتهم وطموحاتهم وتعكر صفو حياتهم. ومن خلال هذه القصص يطرح القاص شرائح عديدة لطبيعة المجتمع ونماذج لابطـال قصصه. فيهم من يحـس بالخيبة والتمـزق والضياع ويخوض صراعا مسـتميتا ليجد خلاصا لنفسـه عبر لجوئـه ونزوعه الى الخلاص الفردي بـدلا من الخلاص الجماعي ولكنه يصاب بخيبة أمل كما في بطل قصة (الذئاب) فيضطر للعودة الى احضان المجتمع. وبشكل عام فان ابطال هذه المجموعة ليسـوا انهزاميين على طول الخط انما هم في صراع دائب مـع المجتمع والواقع ونفسـهم في آن واحد. انهم ابطـال واقعيون بكل ما تحملـه الواقعية من دلالة، وحتى في احلامهم ورؤاهم الخاصة لايندفعون وراء التهويمـات الرومانسـية والاحلام الطوبائيـة الفارغة او اللامعقول والفنتازيا. لان القاص لم يعمد الى خلق ابطاله النموذجيين عبر التسـلق على الابراج العاجية واستيلاد صور خيالية أشبه ما تكون بالاساطير.

ان قصة (سفرة سحرية) هي شوق وحنين الى الماضي، الى المنزل الاول،

الزقـاق، المحلـة، المدينة، الى مربـع الطفولة والصبا، أنا لا أسـميها عقدة النكوص انما هي احسـاس بجمالية المكان والتلهف الى ممارسات طفولية، عـودة الى الماضـي بكل ما يحمل مـن بؤس وفرح طفولـي غامر ومآس ومطبات في الحياة اليومية وطرح هموم جديدة، يسـتعيد المرء من خلال هذه السـفرة السـحرية ذكرياتـه الاولى التي حضـرت في ذاكرته ايام أن كان طفلا، حدثا، صبيا دون الالتزام والتقيد بالتسلسـل الزمني للاحداث والوقائع والافكار والانتقالات المتعددة. فكأني بالشاعر أبي تمام يقول:

كم منزل في الارض يألفه الفتى

وحنينه ابداً لاول منزل

ومـن خـلال العودة الى الماضي يقـف بنا القاص على معالـم المدينة فيما مضى، وطراز حياة الناس، وملاعب الاطفال والعابهم، والقاء الضوء على حياة عائلة بائسة.

يعتمـد القـاص في قصته هذه اسـتخدام المنولوج – الحـوار الداخلي من خلال صوت المتكلم. ويبرز لقطات اشـبه ما تكون بلقطات سينمائية ومشاهد وصور. هذه القصة فيها استحضار للذكريات والاحداث.

اما قصة (المراسـل) فهي تمثل فترة تأريخية دقيقة كانت لها اهميتها الخاصة في حينها. بطل القصة يكلف بمهمة (مراسل) يخوض صراعا حادا مع نفسـه ومع الطبيعة القاسية، اذ بالرغم من انه يضيع معالم الطريق التي تقوده الى المبتغى، ويعاني الامرين من جراء الوعثاء وشدة الظمأ، الا انه يواصل المسـير دون أن ثبط من معنوياته وهمته أي شـيء الى أن يجد نفسـه على ذات الطريق التـي كان يبحث عنها. فالبطل نموذج صامد في موقفه مؤمن بما حمل من مهمة على عاتقه.

يسـتخدم القاص تكنيكا جديدا وهو تيار الوعي والتكثيف واسـلوب

الشـــفافية، والبناء الدرامي من خلال نمو الاحـــداث وتوترها. انه يعرف أدواته القصصية جيدا وكيفية بناء معماريتها باسلوبه الخاص من خلال الانتقالات المتعددة وكيفية خلق الاجواء الخاصة للانتقال من مشـــهد الى آخـــر ومن حدث الى حدث. فتراه من خلال بؤرة ضوئية ضيقة يفتح لنا كوى لمعالم جديدة للاطلالة منها نحو سبر أعماق الشخوص. ولكي يعرف صناعته جيدا ويســـتخدم ادواته الفنية ببراعة يستخدم القاص التداعي الصوري والسايكولوجي وحتى الزمني بحيث يحفز فينا الاحساس بالصراع الدرامـــي، ويعمـــق التجربة التي يطرح فيها هموم البطل لتكشـــف خبايا نفوس الشـــخوص ودخائلهم، كأننا نسمع دقات قلوبهم ونتحس بأزماتهم النفســـية، وبهذا تكتســـب القصة نكهة وطراوة، ناهيك عن خلق الاجواء الشعرية المشحونة بالعواطف والانفعالات ورسم الملامح بشكل كاريكاتيري ســـاخر، وممارسات الشخوص وتصرفاتهم بلغة تكاد تكون اقرب الى الشعر من كونها نثرا. فمثل هذا الاســـلوب في الوصف الشـــعري لمشـــهد معين او جانب من الجوانب لاحد الشـــخوص دون الاسهاب الممل، حقق العطاء الثر في خلق الجو القصصي المتدفق قوة وروعة.

وقصة (الذئاب) التي عنون بها القاص مجموعته تكاد تكون من نمط جديد من بين قصص القاص، حيث اتخذ لنفســـه اسلوبا جديدا في مسار قصتـــه هذه. ان بطل القصة يعاني ازمة فكرية خاصة، متزمت من واقع المجتمع.

اذا كان صديقه اختار لنفســـه حياة السياسة طريقا لمعالجة الواقع وغيره فهو تنكب عن هذا الدرب، حيث فقد في نفســـه كثـــيرا من الآراء والنظريات والقيـــم المثالية توازنها واصالتها. بات يحس بانـــه يعيش في مجتمع الذئاب البشـــرية يبحث عن منحى ومهرب لنفســـه، وعن خـــلاص لعائلته وأطفاله.

يحلم ان يعيش منزويا بعيدا عن هموم ومشــاكل الآخرين. يعيش لنفســه وعائلتــه فقط، يبني حياة جديدة في بيت متواضع ويكتفي ذاتيا بما يملك مــن مزرعة تكفي لســد حاجاته دون أن يحلق بجناحيــه الى عالم طوباوي خيالي. انه يحلم ولكن حلمه لايستند الى ارضية رخوة ولا على رافعة معلقة في الهواء. فالحلم شيء مشروع ولاسيما اذا كان نابعا من جوهر الواقع. صحيح ان البطــل لا يريد ان يواجه الواقع مواجهة صريحة بغية تغييره انما يهرب الى عالمــه الخــاص، عالم الحلم اللذيذ الذي بناه فعلا على الواقع المحســوس، لا الانــزواء في قوقعــة الذات المغلقة. حقق البطل قــدرا غير قليل من حلمه من خلال بناء بيت متواضع وانشــاء مزرعة، انه لايضع احلام توماس مور الخياليــة موضع التطبيق. انه تمتع براحة بال وأمن وســلام لعدة شــهور، ولكنه يواجه فجأة قســوة الطبيعة عبر عاصفة ثلجية عاتية تســتمر لايام، حيــث تضيق على البطل الخنــاق. والانكى من ذلك صولــة وهجوم الذئاب الجائعة، صحيح انه نجا بنفســه من المجتمع الذي كان له تصور خاص عنه، الا انه تعرض لهموم ومشــاكل أقســى واشد، كالمســتجير من الرمضاء بالنار. البطل يخوض صراعا مستميتا من أجل السيطرة على تأثير العاصفة الثلجية ومن ثم مواجهة الذئاب الجائعة المفترســة. فهــو بطل صامد بكل ما تحمله كلمــة الصمود من معنى وقوة واســتماتة، حتى الذئــاب الجائعة تخرج عن طورها الحيواني. البطل ينتصر في النهاية ولا يركع، الا انه يعود الى المجتمع الذي انعزل عنه واراد العيش دونه كأنســان. راوده حلم وآمن بمشــروعية حلمه وعمل قدر المســتطاع لتحقيقه، الا انه لم يستطع الاستمرار في العيش منعزلا وهو يواجه خطر العاصفة من جهة، وخطر هجوم الذئاب المفترســة الجائعــة مــن جهة اخرى. لقد رفض واقعا وانســحب منــه لخلق واقع آخر ينسجم واحلامه وتطلعاته، الا انه اضطر وبارادة منه أن يعود الى احضانه.

قصة الذئاب فيها الاستعانة تكنيكيا بألوان من فنون السينما، مونتاج، اكسسوار.. يســتجيب القاص لمؤثرات التطور الفني الحديث لفن القصة، يحس القارئ بقوة وتماســك الحبكة ونمو التوتر الدرامي، لجأ القاص الى رســم لوحات ومقاطــع فنية وعناوين فرعية يربــط من خلالها بخيط خفــي بين الاحداث والتوترات والانتقالات النفســية، والمشــاهد المفرحة البهيجة. فتســير الاحداث بخط بياني متناســق، يحــس القارئ بالتطور العضوي للقصة ومجرياتها، فالانتقالات والتداعيات تسري بانسيابية. لهذا كلــه فان هذه القصة تمتلك هويتهــا الخاصة بحيث يمكن أن نميزها عن قصصه الاخرى وتجاربه الســابقة. وهي اكتشــاف جديد لمساره القصصي وطريقة خاصة يمارســها القاص في تجربته القصصية. حيث يشد القارئ شــدا قويا الى القصة من بدايتهــا الى نهايتها ليعيش مع احداثها ووقائعها وشــخوصها ويتفاعل وجدانيا مع بطل القصة وبطلتها، وينفعل وينسجم مع اجواء القصة. فان هذه القصة تقف على أرضية صلبة ترقى الى مستوى القصص العالمية بل تتجاوز بعضا منها. كما ان تأزم القصة وتوترها يأتيان اساســا مــن داخلها. في التجربــة التي يخوضها بطل القصــة (بارام) عبر مواجهته الحادة المستميتة مع واقعه الجديد بشخصيته القوية المتماسكة رغــم ما ينتابه احيانا شــيء من هواجس الخــوف داخليا. حاول القاص فعلا ان يجسد العاصفة الثلجية وقطيع الذئاب وهجومها وغاراتها المتكررة تجســيدا حيا وحقيقيا فاعلا، لكأن القصة وقعت فلا أو مؤهلة ان تحدث واقعا. من هذا المنطق استمد الكاتب قوة وتماسك قصته وصاغها باسلوبه الشفاف.

القصــة الاخيرة هــي قصة (صولة القلب) تنــاول الكاتب بطل قصته كشــاب في مرحلة المراهقة، يعيش صراعا داخليــا وخارجيا. يواجه قيم

وتقاليد المجتمع وما يقال قولا وما هو واقع أو مجسد فيه. ورغبته العارمة في تحقيق ما تصبو اليه نفســه من رغبة جنســية كمســألة بايولوجية، وأخيرا لا يقــوى البطل أمام صولة القلب وطيشــه، فتنهار قيم الفضيلة امــام مغريات وصولة البطلة (گولچــين خان) وتقع الطامة الكبرى، ولكن القيــم النبيلة والطهر ونقاء الذيل تتضاءل أمــام قوة حنان الام وعطف الاب وتبقــى المرأة المســلوبة ارادتها (گولچين خــان) المغلوبة على أمرها، المتزوجة بالاكراه، رمز الفساد والرذيلة. وهذه النظرة هي النظرة السائدة في المجتمع بشكل عام.

هــذه القصة تدخل في ســياق الواقعيــة النقدية، تعــود الى عام ١٩٥٧ وتحمل نفس ملامح اســلوب الكاتب خلال تلك الفترة، ولكنها لاتخلو من قوة وتماسك الا انها تفتقر الى استخدام التكنيك الحديث بشكل مكثف.

وأخــيرا بعد هذه المقدمــة الوجيزة التي تدخل ضمــن اطار التعريف بالقــاص اكثر مــن كونهــا تقييما ودراســة تحليلية لمجموعــة (الذئاب) القصصية، لابد من الوقوف على طبيعة الترجمة التي أقدم عليها الاســتاذ عبدالستار كاظم. في الحقيقة ان الاقدام على مثل هذه الترجمات يعتبر في نظــري مغامرة يلقي فيها المترجم مهما أوتي من قوة وقدرة بلاغية قد لا يســتطيع أن يوفي الترجمة حقها لان كثرا من العبارات والمصطلحات تفقد نكهتها وطراوتها حين تترجــم من لغة الى لغة اخرى، وقد لايجد المترجم صيغا مطابقة تماما للنص مهما تمعن وتوخى الدقة والتبصر. وهذا لايعني ان المترجم الاســتاذ عبدالســتار قد خيب ظن القارئ في ترجمته هذه، بل العكس هو الصحيح اذ بذل جهودا مشكورة في أن يكون دقيقا قدر المستطاع في ترجمته وأمينا على نقل العبارات بشــكل تتماشــى واللغة العربية من حيث اســلوبها البلاغي الخاص. وحينما كلفني بمراجعة الترجمة وجدت

لزاما علي أن أكون عند حسـن ظنه بي وحسـن ظن القارئ. لذا راجعت الترجمة مراجعة دقيقة مع الوقوف بتأن على مطابقة النص بدقة.

هذا وفي الوقت الذي أكتب فيه هذه السطور أشد على يد المترجم لجهده المضني وحماسـه لترجمة هذه المجموعة بالشكل المطلوب. وهي تكاد تكون أولى مجموعة قصصية لقاص كردي معاصر تترجم الى اللغة العربية. فعسى أن يكون هذا الجهد المتواضع خدمة بسـيطة تقدم لابناء لغة الضاد ليقفوا بأنفسهم على نتاجات الادباء الكرد، والتي طالما تاقوا للارتشاف من مناهل الادب الكـردي. ورغبة منا نحن الادبـاء في ترجمة اعمال الكتاب المبدعين الى اللغة العربية وخاصة القصة، حيث أكد ملتقى القصة الاول الذي انعقد للفترة من ٢٠-٢٥ آب ١٩٧٨ على:

«العنايـة بالقصـة الكردية في العراق ودراسـتها والعمل على ترجمة النمـاذج البارزة فيها الى اللغة العربية وترجمة نماذج من القصة العربية الى اللغـة الكرديـة بيما يؤكد وحدة الثقافة الوطنيـة في القطر».. أجل، رغبة في التأكيد على أهمية الترجمة في وحدة الثقافة الوطنية تمت هذه الترجمة كاستجابة واعية، عسى أن تعطي ثمارها.

كمال غمبار

بغداد ١٩٨٤/٩/٩

# سفرة سحرية

انحرفا عن الشارع العام وولجا الزقاق. كان هذا مترددا، لم يكن راغبا. كان عليه الذهاب لعمله. كان قادما اليه من بعيد جدا، قاطعا اليه طريقا طوله ستمئة وخمسين كيلومترا.

ولكن (هـو)[1] لم يدعه، فقد اغراه كالشـيطان. كان (هو) متحمسـا ويريـد اثارة الحماس فيه ايضا. قبل ان يصلا رأس الزقاق كان يحاوره في كل خطوة من خطواته، يشجعه ويهز مشاعره، الى ان وصلا. كان مضطرا ان يسايره. ولج الزقاق معه دون رغبة منه. (هو) كان به فرحا. قال:

-سأسافر بك سفرة سحرية!..

تبعـه دون معارضـة. وكأنه قد اسـتؤنس، كان يقتفـي اثره خطوة خطوة، كان يسلك معه طريق سفر سحري!..

هو اخدود وعر كثير التعرجات ينحدر نحو الاسفل. عندما تضع فيه قدما عليك ان تدع احدى عينيك شاخصة الى ما تحت قدميك باستمرار خشية ان تعثر بمرتفع او تنزلق نحو هوة. وعليك ان تدع عينك الاخرى شاخصة الى الاعلى حذرا من ان ترتطم بجدار وتسقط في الجانب الآخر من الباب.

انه اخدود وزقاق. ولكن بالنسـبة لهـذا لم يكن اخدودا بل زقاق. لم يكن من الضروري له النظر باحدى عينيه الى ما تحت قدميه ولا بعينه الاخرى

النظر الى الاعلى، لانه يرى بعين البصيرة، ويعرف انه لا حاجة له بذلك.

[... بعد ســـت او سبع خطوات فقط ساستدير الى جهة اليسار. الزقاق هو الذي يســـتدير بي. اصل ليه. آتي بصفيحـــة القمامة التي امام الباب. اقبلهـــا واعتليها. أمـــد يدي في ثغرة الباب ازيح المـــزلاج. افتح الباب والج داخـــلا. (ثامه)[٢] في الركن الشـــمالي من باحة الدار عند الحنفية تغســـل الاواني. عندما تراني تبتسم لي وتقول:

-بوركـــت.. هكذا.. لمـــاذا اذن يجب علي ان آتـــي في كل مرة لافتح لك الباب!.

في الســـابق عندما كنت اذهب، كنت اطرق الباب وكانت (ثامه) تفتح لي الباب. ذات مرة كانت منزعجة جدا فقالت:

-اوه.. هل ان يدك مكسورة لكي لا تفتحها بنفسك؟!.

وعندما قلت لها وأنا خجل:

-ان يدي لا ترقى اليها.

جاءت وقلبت صفيحة القمامة ووضعتها لي وقالت:

-اصعد..

ثم اغلقت الباب وقالت:

-امدد يدك.

مددت يدي وفتحت الباب. فعندها ومنذ ذلك الحين، كلما كنت اذهب اليهم لم اكن اطرق الباب.. ولكن علي الآن ان اطرق الباب أ..].

(هو) جلب انتباهه. سأله:

-ماذا تفعل؟.

اجابه وكأنه في حلم قائلا:

-اطرق الباب.

(هو) كم يزجره، قال:

-لاتفعل.. هيا اسبقني لنذهب.

اطاعه. تقدمه فذهبا.

[... بيـــت (الاســطه حمه كريم).. بيـــت العم (قادر).. بيت (ســاله ســنهيى)[٣].. قبل عامين رأيت ابنه (حمه أمين) في بغداد. انا لم اتعرف عليه.. بادرني هو قائلا:

-شكلك ليس غريبا علي.. لربما اعرفك.

امعنت النظر فيه وحاولت عبثا ان اتذكره فقلت له:

-استميحك عذرا.. من حضرتك؟

اجابتي جعلته في شك، فكان وكأنه يريد الكف فقلت:

-الحقيقة ان ذاكرتي ضعيفة، لا تلمني.

عند ذلك قال:

-انا (حمه أمين) بن (ســاله سنهيى). ان لم أكن واهما فاننا من محلة واحدة ولربما من زقاق وحارة واحدة.

(حمه أمين).. العم (ساله).. زوجته (فهيمه خان)[٤].. ابنته (سهباو)[٥]. ذهبت امي لتخطب (ســهباو) لأخي.. امها كانت قد قالت: ان أباها يريدها لأحد ابناء عمها. ولكن بعدئذ بلغنا انها اسرت لاحدى جاراتنا بأنهم لايعطون ابنتهم لفقير لا يملك شروى نقير. فمنذ ذلك الحين ساءت العلاقة بين أمي وامه وابي وابيه، والى ان تركنا الحارة لم يتحدثوا الى بعضهم.

عندما ذهبنا بناء على دعوته وجلسنا، ذكرته بتلك الواقعة. فاطلقها ضحكة رنانة وقال:

-انـــي اتذكر ذلك جيدا، انا ايضا. كانت امــي تهددني دوما بوجوب عدم التكلم معك، وكنت اقول لها حسنا. والحديث في سرك، كنت اقرر الا

اكلمك. ولكن عندما كنا نبدأ اللعب كنت انسى قراري ذاك.

طيلة مكوثنا جالسـين كان الحديث يدور حول المحلة. وعندما سألته عن آخر الاخبار، ظهر لي انه لا يعرف اكثر مما اعرف. قال:

-انا ايضا طيلة هذه السـبع عشرة سـنة انقطعت عنها وعن المدينة. وقـد التقي بالصدفة في فـترات متباعدة بواحد مثلك واسـأله عن آخر الاخبار، وعندما سألته:

-ألم يصدف ان مررت بها طيلة هذه السنوات السبعة عشرة؟ قال:

-لا.. مع الاسف.. قلت:

-ما قولك ان نتفق كلانا ونقوم بسـفرة خاصة لها نعود اليها، ونشـرع بالطراد في ازقتها ونشبع انفسنا تمرغا في الخرابة التي امام بيت (خومسار)؟.

وكمن نتحدث في موضوع مهم جدا ونتفق عليه، مد الي يده قائلا:

-هات يدك.. والله سآتي وسأفعل مثل الذي تقوله.

وضعـت يدي في يده وتعاهدنا. عدنـا الى الفندق ونمنا. ولكن عندما نهضنا صباحا، لم ينبس احدنا ببنت شـفة حول الموضوع. كل منا ذهب الى عملـه. وعند الظهر عندما التقينا لم نتطرق للموضوع. الى أن اقترب العصر فدعي هو على الهاتف. وعندما عاد قال:

-علي ان أذهب.

وذهب.

هيـأ حقيبته على عجل. وبعدها قد نسـيت الموضوع الى أن حل هذا الصباح حيث اغراني الشيطان وشجعني وقال:

-انك ومنذ سـنين قد كنت على أمل أن تصدف فرصة كهذه.. اتفقت قبل سنتين مع (حمه أمين) على سفرة خاصة اليها.. والآن ها هي الفرصة قد جاءتك بسهولة. لا تدعها تفلت من يدك.

كم الححت وقلت:

-غير اني قد جئت لعمل آخر.

ولكن (هو) لم ينفك عني وقال:

-ســتتمكن من انجاز عملك ايضا. فرصة وتهيأت لك. لا تدعها تضيع منــك. ادخل فيها وطارد راكضــا في ازقتها. اطرق الابواب بابا بابا. ادخل البيوت دون خوف ثــم اخرج. واخيرا اذهب وتمرغ في تراب الخربة التي امام دار (خومسار). انها فرصة وقد اتيحت لك لا تضعها من يدك..]

في ذلك الحين كان طفل قد خرج من باب بيت (ســاله ســنه‌يى). كان واقفا منذ زمن ينظر اليه. عندما انتبه اليه كان في سبيله ان يفتح فمه ليسأله. (هو) نبهه وقال له:

-قل انني ابحث عن بيت الحاج محمود العلاف.

لم تكن تلك نيته. ولكنه سمع وقال ما اوعز به اليه. قال الطفل:

-لايوجد في هذا الزقاق واحد بهذا الاسم.

كان في قرارته مضطربا. شكر الطفل وشرع يخطو. (هو) انتقده، قال:

-اذا كنت تمشي بهذا الشكل فانك ستخلق لنا مشكلة.

قال هذا:

-انك انت الذي خلقت لي مشــكلة. لقد قلت انني لا آتي ولكنك جئت بي انت قسرا.

لم يطل (هو) الحديث. كان يعرف انه صادق. تبعه. سارا..

[... كأنه فوهة نفق!. لم يكن كذلك في السابق. مررت فيه الف مرة. ولكن لا. كل شــيء على حاله. لا يبدو انه مس حتى ولو باصبع. تلك هي الغرفة المجصصــة العلوية لبيت (حمه ئاغا). كل الذي تغير فيها انها كانت كالحليب بياضــا والآن قد غدت مغبرة كالحــة. اتذكر يوم بنائها. انها غرفة منتظمة

بيضاء كلون الحليب. ذات شبابيك. كما أتذكر جيدا عندما قلت لأبي:

-أبتاه.. لماذا لاتبني لنا غرفة بيضاء نظيفة مرتبة في السطح؟!

جوابا لي لم يفعل ابي سوى ان وضع يدا حنونة على رأسي يمسده بشكل ربما استطيع الآن فقط أن أعرف ماذا كانت تعني غير أنني انزعجت منها في حينها. زد على ذلك انني عندما طرحت السؤال على أمي فهي لم تحاول حتى التمسيد على رأسي بيدها. عند ذلك صرت في غاية الحزن. وفي كل مرة حينما كنت أصل اليها، كان السؤال يعود ليعيش في ذهني. عجبا!. ولكن لماذا؟! هل كنت احسدهم؟! هل حب التقليد كان يدفعني؟! أكان ذلك من سوء طويتي؟!.. لا.. لا والله. لم أكن قط من هذا الصنف، لا في صغري ولا الآن في كبري. لا. لا والله. اني اعرف نفسي. غير أنها كانت غرفة منتظمة وجميلة وبيضاء بلون الحليب، وكنت معجبا بها. وكنت اود أن تكون لنا ايضا غرفة كهذه. هاك، انظر اليها، كم هي جميلة حتى الآن. سوى أن بياضها تغير فصار أربدا والا..]

-ماذا تفعل؟!

-ها.. والا..

كان واقفا ينظر الى الغرفة وقد تعلق بصره بها. نحى بصره وخفض عينيه عنها. استدار الى جهته اليسرى. كان هناك جدار غير منتظم مرتفع ممتد نحو الشمال يصل الى مقربة من فتحة الشارع ويمر باستقامة جهته اليسرى. الغرفة العلوية التي في الجانب الآخر وركن الجدار غير المنتظم الذي في هذا الجانب يضفيان شكل فوهة نفق على الزقاق.

ذهبا.. عبرا الى الجانب الآخر. وضعا اقدامهما في الحدود. انها حدود مركز الخربة. انها لاتعود لاحد وهي لكل واحد منهم.

[... لا تزال كما كانت. ميدان واسع ومفترق اربعة ازقة. كانت فيما

مضى خمسة. انني على بينة كيف اغلق خامسهن!. كيف اغلق بوجوهنا. ان عدد المرات التي كنت أجوب بها ذاك الزقاق لا يقل عن هذه. كان ذاك سبيلنا المستقيم الى (جادەى تازه)[٦]. ثم من هناك الى الحديقة العامة والى (وەيــس)[٧]. كما كنا نجعل منه في عراك المحلات الباب الرئيســة للقلعة. الباب كانت عبارة عن شق وحيد بين زاويتي حائط عرضه لا يزيد على المــتر الواحد. في الجانب الآخر منه كان رأس شـــارع. وفي هذا الجانب منه زاويـــة مثلث خال ثم الميدان. في أول الامر شـــيد جدار من الطابوق غير المفخـــور بين زاويتي الجدار. وبهذا ســـد طريق الذهاب والاياب. بعد مدة ملئـــت زاوية المثلـــث الخالي. ارتفع فيه جدار يطل على الميدان. اســـتأت لذلك جدا. سألت (حمه أمين):

-ترى، لماذا فعلوا ذلك؟

هو ايضا لم يعرف شيئا. لم يقل سوى ان هز لي كتفه.

الازقـــة الاخرى كما هي. ذلك الذي قبالتـــي كان طريق ذهابي وايابي اليومـــي الى المدرســـة، وذلك الذي يقع رأســـيا علـــى ذاك ويلتقيان في أول الطرف الآخر من الميدان، كان طريق ذهابي وايابي الى داخل المدينة. من هنـــاك كنت أصل أمام طاحونة ماء المجـــاري[٨] وداخل ميدان اللبانين[٩] و بداية ميدان التبانين[١٠] وزقاق الصباغين[١١] والســـراجين[١٢] والصفارين[١٣] والى حوض الســـوق[١٤] وقيصرية (وسمان باشا)[١٥]. وحينما كنت لاأزال ابن امـــي لم أكن لاصل لابعد من حمام (ســـورمت)[١٦]. من ذلك الزقاق. ولكن عندما صرت ابن أبي صرت اتقدم صوب طرف ميدان التبانين من جانب حمام (سورمت) وحتى أصل الى قبالة (ئەسحابه سپى)[١٧] وأصل من جانب الطاحونة الى مقربة من باب الســـراي. ولكن ذلك الذي في جهتي اليسرى، كان فقـــط مســـرحا لطرادي اليومي. كان على شـــكل قـــوس. طرفه هذا

ملاصــق للميدان وطرفه الآخر يدخل الميدان من الزقاق الشــاقولي. كلها كعهدي بها، لم يتغير منها شيء. ها اني اراها، ها أني أرى ميدان مصارعتي العتيد. ولكن لماذا هو خال بهذه الصورة؟ لماذا هو صامت بهذا الشكل؟ ها.. ماذا تقول انت؟!

-اقول انهم في المدرســة. انظر الى ســاعتك. انها الآن التاسعة والنصف صباحا.

-لا أبــدا.. لا أنظر في ســاعتي. الوقت الآن قريب مــن العصر. الميدان مزدحم. كلنا متجمرون. نحن نلعب (مووشين)[١٨]. أنا الاول. أنت الآخير- الثاني- اضرب- طق- زغــل. اتلعب (هەلووكێن)[١٨]؟! -لا العب- لا تلعب، (ساف سافێن)[٢٠] - (فيكلان كۆ)[٢١]- أنا الاول- تحايلت- زغل، لا العب- الى حيث - (چاڵ چاڵێن)[٢٢] - بالجوز؟ - لابنوى المشمش- نوى حلو؟ - حلو- كل خمسة بجوزة- لا كل سبعة- طيب- انت- لا أنت- لا العب- هاك نواك، اعطني جوزاتي- لا اردها- شــجار- دولاب الهواء- العمة (خومسار) ركلت رضفة (ئەحە کەلله)(٢٣) ركلة، تكور على أثرها في مكانه. استشــاطت أم (ئەحە کەلله) غيظا. خرجت كي تخاصم العمة (خومســار). وقفت امي بوجهها ولم تدعها تذهب اليها. هي والنسوة الاخريات ادخلنها الى البيت. اخي و (حمه ســليم) وعدد آخر ســاعدوا (ئەحــه) وادخلوه البيت وهو يصرخ. ذهبت العمة (خومســار) الى دولابهــا. نحن ذهبنا الى اتمام لعبنا. رايت اخي وقد خرج. وقف امام البيت يناديني. يقول تعال.. يقول تعال وتناول طعامك. يجب علي اطاعته. لقد صدق فانني جائع. سأعود.

-ماذا تنوي؟!

-سأعود لاتناول طعامي ثم اخرج.

-اي ذهاب، واي طعام!. (عد الى وعيك).

توقف. عدة خطوات بقيت ويصل اليه. نظر نظرة عجلى فيما حوله. لم ير احدا. نظر الى ما أمامه. تركزت عيناه على الباب..

[.. هذه ايضا كما كانت عليه. ولكن يبدو عليها القدم والبلى، اكثر من السـابق بكثير. لم تكن فيما مضى بهذه الدرجة من الاعوجاج. ولم تكن بهذه الصورة من التعاريـج والغبرة. ترى وكيف هو الجانب الآخر منها؟! لا أرى عليها أي تغيير.

آه!. باحة صغيرة غير منتظمة. في الجانب الايسـر ايوان.. ايوان خلف ايوان. وغرفة بسـيطة فوقـه. في آخر الغرفة البسـيطة مخزن. مقابل الايوان، ايوان آخر مكشوف الواجهة.

تنـور.. مخزن.. حمام.. مرافـق.. دون أن يكون بينها حاجز سـوى المرافق، اذ ان جانبها سد بقطعة من الجنفاص. كان الوقت يقارب العصر. كنت قد عدت بعد انتهاء دوام ما بعد الظهر للمدرسـة. انني مسـتعجل. ادخل البيت مسـرعا. الج الغرفة بسرعة. اضع كتبي في الطاق الخاص بي وانطلق خارجا. تعترضنـي امي. اضطر للرضوخ لها. تأخذني الى التنور. في ذلك اليوم قد سـجر للخبز. التنور لازال مليئا بالمهلة. اخلع ملابسـي قطعـة قطعة. تنفضها امي على التنور. اسـمع عـدة فرقعات. افرح بها لانني في اليوم التالي سـأذهب الى المدرسة مطمئنا. لا يبقى في قلبي خوف من (شـيروان). لن أنسـى حتى الممات. لم أكن ادري بشيء ما. كنت ساكتا صامتا أصغي الى الاستاذ، اذ صرخ هو فجأة..

-آه استاذ.. انظر.. قمل!.

عندمـا انتبهت اليه ونظرت، رأيته وقد مـد اصبعه الى رقبة ثوبي. في تلـك اللحظـة كنت اتمنى لو أغدو قطرة مـاء وأنفذ الى باطن الارض. ولكن الى أن أموت لن أنسى الاستاذ عبدالله أيضا، اذ جاء نحوي بكل هدوء.

شعرت انه تعمد أن ينحي (شيروان) وانحنى علي. شعرت انه مد اصبعين من اصابع يده اليمنى وأمسك بالقملة وأخفاها، ومسح بيده اليسرى على رأسي ورقبتي. وهو يرفع قامته، قال لـ(شيروان):

-يا ولدي، تلك كانت بعوضة، لا قملة.

اني وان كنت قبلا أكن الكثير من الحب للاستاذ عبدالله وكان قدوتي من بين الاساتذة جميعا، الا انه صار عندي منذ ذلك اليوم انسنا مقدسا. لهذا عندما غاب في أحد الايام وسمعت أنهم أمسكوا به وحبسوه، انتحيت سرا في زاوية من زوايا ساحة المدرسة وبكيت بحرقة. ولكن ليت..

-انتبه.. هذا ثالث عابر سبيل يمر من قربك وينظر اليك بدهشة.. تحرك].

في تلك اللحظة كان لايزال واقفا كالتمثال قبالة الباب.. عندما انتبه لنفسه، ارتبك. نظر الى ما حوله. كان أحد عابري السبيل قد مر به وتعداه بعدة خطوات، فكان يلتفت نحوه وهو يمشي. كما شاهد امرأة وقد جاءت امام الباب تنظر اليه باستغراب. تجاهلها. التفت الى الجهة اليسرى بهدوء وشرع يخطو. الباب والميدان صارا خلفه. ولج فتحة الزقاق الواسع الذي كان يأخذه نحو وسط المدينة وبعد ثلاث او اربع خطوات قال له (هو):

-المرأة ذهبت ودخلت بيتكم.

قال هذا:

-اعرف..

[... انها تلج الى داخل البيت. تجد امي جالسة في الايوان بحزن عميق جنب اختي ليلى. ليلى عبارة عن أربع قصبات ممدودات بالكاد يعلو انينها.. وهي في طريقها تسأل امي:

-كيف حال ليلى؟!

فتجيبها امي والعبرات تخنقها:
-ها هي كما ترين.
في تلك اللحظة كنت قد عدت من المدرســة. أنا في الغرفة. كنت واضعا كتبي في الطاق الخاص بي. كنت في ســبيلي الى الاندفاع نحو الخارج. بعد تلك الاحاديث يطرق ســمعي بكاء صامت مؤلم من امي. اشعر ان بكاءها الصامت ذاك يجعلني اختنق بالبكاء ايضا. اعرف ان ليلى طريحة الفراش منذ شــهر ونصف، ولكن ذاك البكاء اســمعه لاول مرة من امي. اخرج من الغرفــة. أقــف في الايوان. ارى امي وقد وضعت رأســها في حجرها وتنوح. انظــر الى الخالــة خيرية، فقد ترقــرق الدمع في عينيهــا. انظر الى ليلى واتمعــن في محياها. اتطلــع الى عينيها، فأشــعر ان حنجرتي تتمزق اربا اربا. اشعر انني اكاد اضج بالبكاء. فجأة انط راكضا الى الخارج. مع ذهابي الى الخارج التقي وجها بوجه مع جمع من النســاء. هن يدخلن البيت وانا اخرج لكي اصل ساحة اللعب المعتادة في اوقات العصر.
عندما اعود الى البيت ارى جلبة. لا أدري ما الامر. سوى انني افهم ان امي تبكي بحرقة اكبر والنســاء يحطن بها. وارى ابي صامتا ساكتا يحيط بــه نفر من الرجال وهم جالســون صامتين. واخــي قابع في ركن يجلس محزونــا. اختي الصغيرة وكأنها لاتعي ما يدور حولها تجوب البيت بغباء. لســت ادري ماذا افعل. أظل محتارا. اجلــس في زاوية من البيت واتظاهر بالحزن. وفجأة يطرق ســمعي صراخ امي ثم صراخ النســوة. ثم ارى ابي واخي وبقيــة الرجال ينهضون، يضطربون ويرتبكون. اختي الصغيرة ما زالــت تجوب بغباء ولكنها تبكي الآن بشــدة. ابي واخــي يضع كل منهما منديلا على عينيه ويبكــي بصمت. ولكن صراخي وعويلي يصم الآذان. ســادت الجلبة باحة الدار تماما. ارى العمة (مهجى)[٢٤] تمسك ذراع اختي

وهي مقبلة نحوي وتبكي أيضا. عندما تصل لقربي تمسـك بذراعي أيضا وتأخذنا خارج البيت. تدخلنـا في بيتها وتودعنا لدى ابنتها (نزير)[٢٥].. (نزير) ايضا تبكي. كانت صديقة لليلى.

-هاهـي المرأة مع امرأة عجوز وشـاب يافع وقد جاءوا أمام الباب ايضا فيك!].

(هـو) اعطاه ذلك التنبيه. ولكـن هذا ألقى نظرة الى الوراء ولم يجبه بأي شيء.

[.. في الليالـي عندمـا كانت تذهب ليلى عنـد (نزير) كانت تأخذني معها. هما كانتا مشـغولتين بخياطة الطاقيات، وأنـا و (حمه جهزا) كنا نراجع دروسـنا. حتـى اذا ما جاء ابوه، كنا نحن وليلـى و (نزير) وأمها معنا ايضا، نجتمع حوله جالسين نستمع الى بقية حكاية الليلة السابقة او القسم الاول من حكاية جديدة.

الخال (مهجى)[٢٦].. قد يفعل الزمن فعله في منظر وصورة أي شـخص فينسـى الا هو فلن ينسـى. حاجبان كثان شديدا السواد وعلى هيئة رقم اربعـة على وضـع عمودي ملتصقان في اسـفل جبينـه. عينان كبيرتان واسـعتان تحتهما. واربع تعاريج غليظة فوقهما. شفتان غليظتان وفك عريض. أنف بارز رشيق يقع بين وجنتين منتفختين. ثم كل تلك الاشياء في رأس أشعث. والرأس مثبت فوق رقبة قصيرة. والرقبة تركز بين كتفين عريضين. أجل.. المنظر يبدو مهيبا مفزعا. كان منظر رجل قاتل قاسي القلب جسور. نعم.. ان من لم يكن يعرفه عن قرب او من كان يراه لاول مـرة، كان هكذا يتصوره دون أي جدال. حتى انه هو قد لاقى الكثير من المواقف العجيبة الغريبة جراء ذلك. لم يكن هو يتحدث عنها، انما الناس يروونهـا. وكنت اسـمعها اما من ابي واخي او مـن امي وام (حمه جهزا)

عندمـــا كانتا تتطرقان الى ذلك اثناء حديثهما. ولكني كنت اعجب منهن. كنت اقول لنفسي: كيف يقولون عنه ذلك، انه لا يبدو كذلك؟! ارى الخال (مهجى) كما أرى نفسي وأرى (حمه جهزا). كان صديقا لنا كأنه كان من اترابنـــا. غير انه كان أكثر منا ذكاء وأكثـــر معرفة واطلاعا. وكان يعرف حكايـــات حلوة جدا. ما أن يضـــع في البيت رجلا حتى نبتهج أنا و (حمه جهزا) فنســـرع لطي كتبنا ودفاترنـــا ونحيط به ونتبعه الى اللحظة التي يجلـــس فيها فنجلس الى جانبه، وبعدنـــا (نزير) وليلى هما والطاقيات في أيديهمـــا، وأم (حمه جهزا) أيضا. كن يأتين ويجلســـن حوله مثلنا. عندها وبعد أن يشـــرب قدحا من الشـــاي أو يأكل شـــيئا من الفاكهـــة أو الزبيب والجوز يتوجه نحونا ويسأل:

-هيا لأرى ان كنتم تعرفون أين توقفنا بالحكاية البارحة؟!

ونســـرع نحن للاجابة عن ســـؤاله. لم نخطئ قط. عند ذلك وبصوت ملائكي وبســـيماء وصورة ملائكية، بشعور وحنان ملائكي، يشرع باتمام ماتبقى من الحكاية ونحن كنا نصغي له صامتين.

آه ايها الخال (مهجى)!..

قبل عامين سمعت انا خبر وفاتك. في ذلك الحين كانت قد مرت ستة اعـــوام على مغادرتك لهذه الدنيا الفانية. (حمه جهزا) هو الذي اخبرني، وكان ذلك عن طريق صدفة عجيبة. من أجل انجاز عمل لدائرتي صادف أن مـــررت بديوان الوزارة. كنت أتمشـــى في الممر الذي أمام قســـم الادارة، عندمـــا التقيت به وجها لوجـــه. كدت أتعرف عليه من بعيد ولكني كنت مترددا. ست عشرة سنة بكاملها لم نـر فيها بعضنا. لقد ظهر لي أن ذاكرته أقوى مني. فما ان وقـــع بصره علي حتى احتضنني، عند ذلك اطمأننت انه هو. وأول سؤال وجهته اليه كان عن ابيه فقلت:

-ما حاله؟!

قال هو بكل بساطة:

-ست سنوات مذ لبى نداء ربه.

اضطربت نفسـيا وكأنني سـمعت خبر موت شخص قريب عزيز علي جدا. ومع ذلك قلت:

-مع الاسف الشديد.. اسمع ذلك الآن منك.

كان الامر قد صار عنده قديما اذ قال ببساطة:

-هذا مصيرنا جميعا.

-ولكني انا..

-وقوفك حيرهم.. انهم يشكون فيك.. كفى.. ابدأ المشي].

(هو هكذا نبهه.. هذا انزعج من ذلك فقال:

-حسنا.. حسنا.. انك في سبيلك ان تزيدها سوءا.

(هو) قال:

-انا اقولها لصالحك.. انظر.. ها ان شيخا عجوزا ايضا قد جاء الى امام البـاب. انه واقف يدقق النظر فيك. تفضل ها قد خرج طفلان من بيت الخال (مهجى) ايضا وهما يتمعنان فيك.

كان هذا منزعجا فقال:

-لاتفعل من أجلي.. أي عمل سئ قد اقترفته؟ انه زقاقي واتفقده.

(هو) قال بهدوء:

-انـا اعرف هذا. ولكنهم لا يعرفونه. تفضل.. انني اشـعر ان الشـاب يتميز غيظا منك. الطفلان قد ذهبا وجاءا بأمهما الى الباب. انك مطوق. كيف تتخلص منه؟! بأي شيء تجيب؟!

هـدا غضبه وحزنه. ارتبك. أراد ان يخطو ويمشـي. ولكنه شـعر ان

الاوان قد فات. تسمر في مكانه.

[... اذهب راكضا والج البيت. جسدي يتفصد عرقا. انا عطشان جدا. سأذهب لاضع فمي على الحنفية التي في الباحة. ارتوي ماء. أمي وليلى جالستان في الايوان. اثب من قربهما وادخل الغرفة. (دعابلي) في الطاق. في كيس من الخام، اخفيها تحت كتبي. اخطفها وادسها في جيبي. اعود لاثب من قربهما منطلقا الى الخارج. اسمع أمي تناديني. لا افهم ماتقول ولا اعرف ماذا تريد مني. اخرج من باب البيت مسرعا. الجدة عطية وحميدة خان قد جاءتا الى امي. اصطدم بكرش الجدة عطية. تسقط على ظهرها ويغمى عليها. تصرخ حميدة خان. امي وليلى تخرجان اثر صوتها والجارات من بعدها. اهرب انا.

*صيف وحباك وسطوح.. انا واخي الكبير وليلى ننام في هذه الحبكة. امي وابي واختنا الصغيرة (نسرين) في تلك الحبكة. الوقت الآن صباح. الجميع ناهضون من نومهم ونازلون من السطح. انا لتوي مستيقظ وفاتح عيني. ارى أخي وقد احتضن (نزير) وهو يقبلها. اغمض عيني بسرعة، لا أراهما ولا أسمع صوتيهما. صوتهما واطئ جدا. لا اعرف ماذا يقولان. لااعلم عم يتحدثان. اشعر ان نزير غاضبة. افتح عيني لارى ما الامر. ارى (نزير) تريد الذهاب ولكن اخي لايدعها. عدت فأغمضت عيني. سمعت وقع اقدام (نزير) وهي تذهب. عندها حركت نفسي وتململت، قلت فليبق أخي يجهل بأني كنت مطلعا على ماكان يفعل. اظهرت نفسي وكأني استيقظت لتوي من النوم في حين كان هو سادرا عني. رأيته واقفا يتلصص في حبكة بيت (نزير).

*شتاء قارس وعبوس. اسقطت السماء ثلجا كثيرا. أبي طريح الفراش منذ خمسة وعشرين يوما. أخي دون عمل. ليلى راقدة تحت التراب.

(نســرين) قد أخذت مكانها في خياطــة الطاقيات. أمي في حضنها طفلان توامان. انه شــتاء ذكرياته في النفس أشد برودة وعبوسا من أعماق الفكر والذاكرة، أشد صعوبة وايذاء. الاب يئن باستمرار.. يئن انينين. الاخ وكأنه أهيل على رأسه تراب القبور على الدوام. (نسرين) تتدفق من ابهام وسبابة يدها اليســرى قطرات الدم يوميا عشــرات المرات ولا تقول اف. الطفلان يتلويان باستمرار، يبكيان. وأنا.. آه منك ايها الشتاء القارس العبوس. وانا بانكســار فظيــع مازلت انهض في الصباح من نومي. اغســل يدي ووجهي جيدا. امشــط شعري. انظر الى ظاهر يدي واقص أظافري واطمئن الى أن قطعــة القماش البيضاء في جيبي. نظيفة وبيضاء كبياض الحليب. اذهب الى الطــاق الخاص بي. انظر في جدول الدروس الذي ألصقته بالصمغ على جدار الطاق الداخلي. اضع اصبعي عليه. افرد كتبي ودفاتري واحدا بعد الآخر. اضع قلمي والمحاة جانبا. امي جالسة تهيئ الشاي والخبز للفطور اليومي. لا تقول شــيئا ولا تنبس ببنت شــفة. تضع امامي رغيف خبز رقيق. تصب لي قدح شــاي وتناوله لي، وانا آكل بشــهية. تنظر الي بعين ملؤها الهم والحســرة ولا تقول شــيئا. لاتنبس ببنت شفة. انهض واذهب نحو كتبي. اضعهــا في حقيبتي المصنوعة من الصفيح. احمل الحقيبة في يدي واخطو نحو الزقاق المليء بالثلج حتى الركب.

*فجأة، حدث بين ابي واخي شــجار عنيــف خرج على اثره اخي من البيت دون عودة. لمدة شهرين لم يدر احد الى اين ذهب واين هو. وسرعان ماعرف انه ليس في المدينة، لانه لم يبق بيت من بيوت الاقارب والمعارف لم نســأل عنه منهم فلم يجد نفعا. لم يبن له اثر. عندها صار الشــجار عنيفا بين امي وابي. في تلك الايام صار بيتنا جحيما علينا. صدت وجفت امــي عن ابي وتركت البيت وعــادت. ثم جفت واعرضت عنه وعادت الى

البيـــت. كان أبي يحترق بين نارين. تغلبت عليه نار فلذة الكبد. ذهب الى (بنجويــن) (و قلعـــة دزه) و (رانيه) و (قـــرداغ) وكان ذلك دون جدوى. ركبه حزن وهم شـــديدان. زايله النوم وفقد الشـــهية للطعام. ومن جهة اخرى كانت امي تغيظه ولا تكلمه باســـتمرار. وكانت تنوح وتتوجع على الـــدوام. حتى حل ذلـــك اليوم الذي جاءت فيه خالتي مســـرعة. وهي في وطريقها قالت لأمي:

-البشرى.. البشرى..

نهضـــت امي على قدميها.. انعقد لســـانها ولم تســـتطع النطق. قالت خالتي بسرعة:

-انه في كركوك.

وما كان من أمي الا وقد تهيأت وامكست بيدي وجرتني وراءها. ركبنا باصا خشـــبيا. عندما وصلنا كركوك. كان الوقت عصرا. نزلنا رأســـا امام الـــدار. ولجت امي الدار كالمعتوه دون تحية. لم تســـأل عن احوال العائلة سوى انها كانت تردد:

-اين هو؟!.. أين هو؟!

امراة عجوز واخرى يافعة جاءتا اليها وهما مندهشـــتان. مجموعة من الاطفال احاطوا بها وهم حائرون ايضا. رأيت العجوز قد عانقت امي وقبلتها من خديها. وكذلك فعلت المراة اليافعة. ولكني رأيت امي تقول بلهفة:

-اين هو؟!.. أين هو؟!

سمعت العجوز تقول وهي مندهشة:

-ماذا حدث؟!.. ماذا حدث؟!

سمعت امي تقول بمنتهى الاضطراب:

-ابني.. أين ابني؟.

وسمعت العجوز وكأنها تعرف السر قالت فورا:

-انه في الحانوت.. في الحانوت.. انه على وشك المجيء.

عندها سقطت امي مغشيا عليها. جلست العجوز ووضعت رأسها في حجرها. وجاءت المرأة اليافعة بقطعة قماش واحرقتها وقربتها من أنف أمي. عادت امي الى وعيها. وفي تلك اللحظة حضر أخي. رآني اول مرة فاستغرب. ثم عندما رأى أمي انتفض واتجه صوبها. احتضنها. اختنق بعبراته عندما ناداها:

(اماه:

اغمي على أمي ثانية. وعادت لوعيها بعد أن شممت رائحة العطاب. عند ذلك بدأت اساريرها تتفتح. وبمرور الوقت صارت تنتعش وتستعيد البهجة.

في الصباح تهيأنا لنذهب ونركب الباص الخشبي ونعود للمدينة. اوقفنا اخي امام حانون وقال لي:

-اي حقيبة لكتبك تعجبك لكي اشتريها لك.

*كان اليوم يوم عرفة. كل شيء لدي متكامل سوى الحذاء. قال ابي لأمي:

حذاؤه ليس ممزقا بل عتيق. تأثرت كثيرا من كلام ابي. مع ذلك لم اقل شيئا. ذهبت وانتحيت جانبا وجلست بحزن. خرج أبي. جاءت امي الي وقبلتني وقالت:

-لاتحزن.. انك تعرف لو انه كان بامكانه لاشتراه لك.

جاء اخي في ذلك الحين. وعندما عرف الموضوع، مد يده ال جيبه واخرج ما كان عنده. حسبها وقال:

-انها تكفيه ويبقى منها ما يكفيني ايضا. هيا لنذهب الى السوق.

*اليوم عيد.. جاء الخال (مهجى) في الصباح الباكر واعطاني درهما.

وأبي اعطاني درهمين. الا اذهب لازور بيت خالتي؟! ذهبت وقبلت ايديهم. اعطاني العم (ساله) درهما ايضا. عدت الى البيت ومعي اربعة دراهم. سأذهب مع (حمه جهزا) لنركب عربة. سنعود الى البيت ونذهب الى دولاب الخالة (خومسار). ترى ماذا حل بالخالة (خومسار)؟! لقد ركلت رضفة (ئهحه) ركلة عجيبة. كان (ئهحه) وقحا. كان يغض بلعبة الـ(لكاو). كان على الدوام يتلقى الركلات ولكنه لا يتأبى. وكان اخوه (خوله)[٢٧] نسخة طبق الاصل منه. كان هذا من اترابنا ولكنه كان يؤذينا خاصة في لعبة كسر الـ(شروب)[٢٨]. كنت اريد مرة واحدة، مرة واحدة فقط ان اغلبه ولكن دون جدوى. فقد كنت اكسر سبعة وهو اربعة، لكنما اكون انا الخاسر. اجل.. الشهادة لله كان (حمه جهزا) يقدر عليه، وكذلك (سمه سوور) ايضا. كان كلاهما يضجرانه. آه. صحيح ترى ماذا حل بـ(سمه سوور)[٢٩]؟!. عجيب.. منذ ذلك الحين لا رأيته ولا سمعت عنه اي خبر ابدا!. وماذا عن ابيه؟! لقد كان وحيدا جاء بعد ثلاث بنات. وماذا عن اخواته؟! في ذلك الوقت كن آنسات. لا.. اجل. كبراهن كانت قد تزوجت بـ.. لا اعرفه. لا اتذكر اسمه.. اني اتذكر حفلهم. لثلاثة ايام جعلوا الحارة تمور. انا و (حمه جهزا) و (سمه) كان طيلة الايام الثلاثة تلك ديدننا الذهاب وقت الدبكة لعقد مناديل النسوة. ثم عندما ينفرط عقد الرقص ويراهن الناس على تلك الحال ينفجرون ضاحكين منهن. ونحن نكون مسرورين بما فعلنا. ولقد فعلت ذلك بأخي و (نزير) في نزهة تلك السنة في (مشيراوا)[٣٠]. كان أخي يرتدي بدلة كردية وقميصا ذا اردان طويلة. وكان يقود الرقص. وكانت (نزير) في جهته اليسرى. المنظر الذي رأيته في الحباك دفعني لربطهما الى بعض. كنت ارغب من اعماق قلبي في ان يرتبطا ببعض الى الابد. غير ان امنيتي لم تتحقق. آه.. ليتها تحققت.

*باص خشــبي قديم. سطحه مكدس باثاث قديمة وقد احكم شدها. في داخله السائق وسبعة من البشر الهائمين الذاهبين نحو التيه. يقطعون عددا من الوديان والجبال والغابات. يذهبون.. يصلون الى جبل وعر مرتفع يرتقونه بمنعطفات. الباص الخشبي يعجز في احد المنعطفات عن الصعود. يضغط السائق على الفرامل ويصرخ قائلا:

-اسرعوا.. ضعوا صخرة خلف العجلات الخلفية. ينزل ابي واخي بسرعة. يلتقط كل منهما قطعة من الصخر ويضعانها خلف العجلتين الخلفيتين. انا جالس في مكاني انظر الى السائق في البداية كان مضطربا جدا. اراه الآن وقد استعاد هدوءه. اراه ينزل. يذهب ويتكلم مع ابي واخي. لا اسمع ما يقولانه. الحظ ابي يشير الينا ثم الى الاعلى. اعتقد انه علينا ان ننزل ونصعد الجبل راجلين، ثم يحاول الســائق الصعود بالسيارة. ارى أخي يقول ذلك ايضا. ابي والســائق واقفان وهما مســتمران في الحديث. يخطو اخي نحونا. انا منفعل ومشدود الاعصاب. كنت انتظر ان يمسك ابي وأخي بخناق السائق ليقولا له:

-لو لم تكن انت وهذه السيارة اللعينة، ما الذي كان يخدعنا؟! ما الذي كان يزحزحنا من ذلك المأوى ويجعلنا نسلك هذا الطريق الذي لاعودة فيه؟! ثم يقولان له:

-هيا عد بنا الى ذلك المكان الذي جئت بنا منه. هيا ارجعنا بالشكل الذي جئت بنا.

هكذا كنت انتظر منهما في حين ها ان اخي يأتي ليقول:

-هيا انزلوا.. اننا سنصعد مشيا على الاقدام.

فجأة انتفضت ووثبت. وفي طرفة عين اوصلت نفسي خلف المقود. ادرت المحرك. وجهت السيارة نحو الاسفل. اخرجت يدي اليسرى خارجا. رفعت ابي ثم أخي ووضعتهما داخل السيارة. ضغطت بكل قواي على البنزين، ارتفعت

السيارة من الارض نحو السماء. صارت الارض والجبال والغابات تحتنا. مررت بها بسرعة. وبلمح البصر نصل امام الدار وننزل. وحدي وخلال لحظات اعيد الاثـــاث كلها داخل البيت. أضع كل قطعة في مكانها. وكل منا يعود الى ماكان عليه سابقا. وما كنت معتادا عليه هو الطراد في الزقاق. امرق من البيت الى الخارج. ارى (حمه جهزا) واركض نحوه. أنادي عليه:

-(حمه جهزا)!.

-[انت تهذي!. اي (حمه جهزا)؟!.. عد الى وعيك!].

(هـــو) قد اجفله اذ قال لـــه ذلك. عندما عاد هـــذا الى وعيه وانتبه، لاحظ ان الشاب اليافع قد وصل الى جانبه ويقول:

-اعذرني يا استاذ.. يظهر انك تبحث عن بيت ولا تستطيع ان تتذكره. انني مستعد لمساعدتك.

(هـــو) ارتاح قلبه ولزم الصمـــت. اما هذا فقد ارتبـــك. لم يدر بماذا يجيب. فكر قليلا. نظر فيما حوله. الشـــيخ، المراة العجوز، المراة اليافعة، الطفلان وأمهما، كانوا ينظرون اليه وهم بانتظار. عندها نظر الى الشـــاب وقال بصوت ملؤه الحنان:

-يـــا عزيزي.. انني في هـــذه المحلة وفي هذا الزقـــاق وفي تلك الدار قد ولدت، وامضيت سني طفولتي فيها. والآن وبعد خمس وعشرين سنة يمر بها طريقي وأمر عليها. هذه هي المســـألة فقط. انني اشـــكرك. لا أدري ان كنت تفهم ما اقوله ام لا؟!

لم يجبه الفتى، بل استدار نحو الشيخ واشار اليه يستدعيه:

-جداه.. تعال.

عندما وصل الشيخ صوبهم، اعاد الفتى له حديث هذا. رجع الشيخ خطوة الى الوراء عندما سمع ذلك. القى نظرة متفحصة على سيمائه ثم قال:

-الست (حمه جه‌زا) حاج قادر؟!

اندهش هذا. خمس وعشرون سنة. كيف عرفه؟ مع ذلك قال:

-اجل، اني هو.

عند ذلك تقدم الشيخ وعانقه وقبله مثنى وثلاث ثم امسك بذراعه وقال:

-تعال!

لم يدر هذا ماذا يفعل وماذا يقول. (هو) مزق ستار الصمت عن نفسه، قال:

-اذهب! انهـا فرصة وقد تهيأت لك. كنت تهم ان تلج البيت دون اذن صاحبه.

سمع قوله. تبع الشيخ ومشى. المرأة والعجوز كانتا مندهشتين. عندما وصلوا قربهما قال الشيخ للعجوز:

-انه (حمه جه‌زا) بن الاسطه قادر.

قالت العجوز:

-من؟!

-الحاج قادر (ابو الشربت).

عندها انشرحت العجوز. دخلوا جميعا الى الداخل. جلسوا. أشار الشيخ الى داخل الدار وقال:

-مازالت كمـا كانت عليه. تركتها كما كانت يوم اشـتريتها من أبيك. سوى ان الجانب الآخر والذي كما تراه قد تغير.

كان يـرى موضع التنـور صار مطبخا وحماما ومرافـق مرتبة. لقد لاحظ ان مقدمة الحنفية التي في الباحة قد طرأ عليها تغيير فقال:

-امـام الحنفيـة في السـابق كان مرصوفا بالحجر. صـار الآن حوضا كونكريتيا، وكذلك مجراه.

ضحك الشيخ وقال:

-انــك حاد الذهن.. ابــوك كان كذلك ايضا. عندما كنا نجلس ويجرنا الحديث حول زمن طفولتنا، كان وكأن في صدره كتابا يقرأ فيه.

في الحقيقة كان الشيخ ايضا في صدره كتاب. وكمن تتاحله فرصة نادرة، راح يقرأ له صفحاته صفحة صفحة. اما هذا فقد ترك جانبا العمل الذي قطع من اجله ذلك الطريق البعيد، وعلى ذات المنوال راح يصغي الى الشيخ[٣١].

نشــرت لاول مرة باللغة الكردية في العدد الخاص لمجلة (شــمس كردستان) ١٩٨٠/٨/٢٨.

## الهوامش:

١-لكن (هو) لم يدعه: غير خاف على القارئ اللبيب بان القاص يقصد بـ (هذا) و (هو)، داخل وخارج بطل القصة.

٢-(ئامه): التحريف الكردي لاسم (آمنة).

٣-(ساله سنهيى): (ساله) تحريف اسم (صالح) و (سنهيى) نسبة الى مدينة (سنه سنندج) في كردستان ايران.

٤-(فهيمه خان): (فهيمه) تحريف اسم (فهيمة) و (خان) لقب تبجيل تختص به المرأة على شاكلة (هانم) أو (خاتوون).

٥-(سهباو) التحريف الكردي لاسم (صبرية).

٦-(جادهى تازه): ويعني (الشارع الجديد). وكان اول شارع رئيس للمدينة السليمانية وقد تم شقه في بداية الاربعينات. واسمه الحالي (شارع مولوي).

٧-(وميس): كانت مقبرة قديمة ومتروكة ولكن فيها قبر ولي اسمه (وميس). وكانت متنزها شعبيا يؤمه الناس يوم الثلاثاء من كل اسبوع. وهناك اغنية شعبية مشهورة وشائعة في منطقة الســليمانية مطلعها: «لنذهب لزيارة- وميس، فهو —وميســنا» وكانت تقع حينذاك عند مدخل المدينة من جهة طريق كركوك- السليمانية، وفي نفس مكان ابنية مقر الفرقة الآن.

٨، ٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥: هي مجموعة اماكن واسواق متقاربة لايزال البعض منها باقيا على حاله او مع التغير ولنفس الاغراض، لكنها كانت في حينها العصب التجاري المحلي للمدينة.

١٦-(حمام سورمت): أي حمام الصور.. وهو احد الحمامات القديمة والمشهورة في المدينة. وقد

سمي بهذا الاسم نسبة للوحات الجدارية التي كانت منقوشة على جدراتها الداخلية.

١٧-(ئەسحابه سپی) والمعنى الحرفي هو (الصحابة البيض) وهو موقع يقع بالقرب من مركز المدينة اي ساحة السراي.

١٨-(مووشين)؛ لعبة الحدل (الدعبل).

١٩-(هەلووكين)؛ لعبة الحاح.

٢٠-(ساف سافين) لعبة التوكي.

٢١-(فيكلانكو)؛ لعبة (واحد، اثنين، ثلاثة).

٢٢-(چاڵ چاڵێن) لعبة للاطفال يعمل فيها اللاعبون حفرة في الارض ويحددون بعدا مناسبا عنها ويرمون فيها ما في ايديهم من دعبل، او جوز او نوى مشمش، وللحفرة حام (ضامن). ومن رمى ما في يده في الحفرة ان كان الساقط فيها فرديا كان ما في الحفرة لحاميها والا فعليه ان يدفع مقابل العدد الداخل في الحفرة ويسمى في الجنوب (النكرة) و (حمية) و (الحما).

٢٣-(ئەحه كەلله)؛ (ئەحه) هو تصغير الكردي لاسم (أحمد) و (كەلله) هو كناية لشخص كبير الراس ويسمى في الوسط والجنوب من العراق صماخ وعلى هذا يكون الاسم؛ (احمدج ابو صماخ).

٢٤-(خەجی)؛ تصغير الكردي لاسم (خديجة).

٢٥-(نزير)؛ تصغير الكردي لاسم (نظيرة).

٢٦-(مەجی)؛ تصغير الكردي لاسم (مجيد).

٢٧-(خوله)؛ تصغير الكردي لاسم (محمود).

٢٨-(شــروب)؛ لعبة تجري على نوع من الحلوى كانت تصنع محليا وهي عبارة عن اقراص ســكرية ظاهرها صلب صلابة رقيقة وباطنها سائل سكري. وكانت اللعبة تجري بوضع عدد من هذه الاقراص حسب الارتفاع الواحد فوق الاخر فيقوم المتباريان او المتبارون بالتناوب على الضرب بحافة عملة نقدية، وكانت حينذاك (الآنة) – اربعة فلوس- على الاغلب فمن يسكر العدد الاكثر بضربة واحدة، يكون هو الغالب.

٢٩-(ســمه ســوور)؛ سمه تصغير اسم (اسماعيل) و (ســوور) تعني احمر. ومعنى الاسم كله (اسماعيل الاحمر).

٣٠-(مشيراوا)؛ والمعنى الحرفي هو؛ (المكان الذي عمره مشير). ولكن هنا تعني؛ (المكان الذي حط فيه مشير)، وهي قصة لايعنينا التعرض لتفاصيلها هنا. ولكن الذي يعنينا هو؛ ان المكان كان هو الاخــر احــد المتنزهات القريبة من المدينة. يؤمها الناس في فصل الربيع عادة. وكان فيه نبع ماء صاف رقراق ايامئذ.

٣١-مســرح احداث هذه القصة هو قلب محلة (جوارباخ- البســتان الاربعة) التي هي احدى المحلات القديمة في المدينة، وتقع جنوبها حســب حريصها زمن احداث القصة، مع تماس مباشر بوسطها (مركز السراي).

# المراسل

-١-

لا أحد يدري انى ستستـــتوي.. فأيـــان ما وضعتها وكيفما حاولت ايجاد مخرج لها، فلن تجد لها حلا. لها الف رأس ورأس. تبتر رأســا من هنا يبرز لهــا من هناك رأس، ومع البروز ذاك تنفجر ايضا. ليت المرء كان ذا ذاكرة حــادة بحيث تبقى في ذهنه ذكريات يوم أن كان في المهد. فوا عجبا.. ماذا كنـــت افعل حينذاك؟.. كيف كنـــت ابكي.. كيف كنت اضحك.. كيف كنت اتناغـــى واغنغن؟ ترى كيف كان كلامي وقيامي وســقطاتي الخاصة؟! لا أتذكر ان امي قد حدثتني عن شـــيء من ذلك.. انما أنا أرى (ثالان) ماثلا امامي وكيف كان يلوث نفسه! وبأي شيء تعلم المشي!! كنا قد اوقفناه على قدميه لنجعله يخطو، وفي تلك اللحظة وجد خنفســاء فتبعها راكضا، كان مدهشـــا!. آه.. ولدي (ثالان). عجبا. عجبا. لا. لا اصدق. انهم ممن يعتمد عليهم. لي عم وعمة نموذجيان. أنا محظوظ من هذه الناحية.. كنت سئ الحظ في أشـــياء كثيرة.. ماذا؟ حظ؟! أتعني أنك تؤمن به؟!.. ها؟! والله لا أدري. انـــه كلام يقال، والا اين يوجد الحظ؟! لا يوجد حظ. ولكن توجد صدفـــة. اذن فالصدفة هي الحظ. لا. الصدفة ليســت هي الحظ.. كيف؟! دعنـــي احدثك. متى كان يجب علي أن أتحرك؟ الســاعة التاســعة، اليس

كذلك؟ أجل. حسنا. ثم اني قد تحركت؟. حسنا ايضا.. لكنما جاءت ابنة (حمه سليم) مسرعة تقول: لا تذهب.. تعال.. انهم بحاجة اليك. فكان ان عدت. وبعد ثلاثة ارباع الساعة، تحركت ثانية، اليس كذلك؟ حسنا. وبعد ساعة من المشي بماذا التقيت؟ وفي أي وقت حدث ذلك؟ أرايت؟ انني كدت انســى حتى نفســي. تملكني عناء غريب. كان خيرا ان انتبهت الى نفسي بســرعة.. الحقيقة ان الانسان قاســي القلب. احسب انني لم احسن عملا اذ اظهرت قســاوة قلب، وكأن الامر لايعنينــي. وكأنما كنت تاجر مواش امر على مجزرة. صحيح ان ذلك لم يكن مطلوبا مني. ولكن كان علي ان اقول، ليقولوا ماشاءوا. كان (صوفي رحمن) ايضا يرى ذلك. قال: يا بني ان الانسان يمتاز عن الحيوانات بالعطف والشفقة العقلانية. الحيوانات ليست محرومة من العطف والشــفقة. يجب ان تكون عند الانسان عقلانية والا سوف لايبقى أي فرق بينهما.. صوفي رحمن انك تحير المرء. او على الاقل قد حيرتني. ما ان قلت: الســلام عليكم يا عم صوفي حتى قلت انت: اهلا وعلى العين، تفضل يا ابن اخ العم صوفي. كان ابن اخيك هذا متعبا جدا. كان يجرجر خطاه بصعوبة. كان يجرجر جســمه جرا. لم تكن المسألة في انه كان شــخصا كسولا ويقطع لاول مرة مســافة طويلة كهذه مشيا على الاقــدام. لا.. المســألة بما فيها هي انه انســان من لحــم ودم وعظام. انت نفســك بادرت قائلا: اراك مرهقا.. اراك في حالة قد تسقط بلا حراك في مكانك. لا تقلق ولا تخجل، ان الانسان من لحم ودم وعظام. ذلك هو مكان فاذهب واســتلق، فيه وانقطع عن الحركة. ارح جسمك قدر ما تستطيع. انني اعرف انك يجب ان تذهب غدا مبكرا. ترى من انت يا صوفي رحمن؟ ســؤال مهم يجب ان يطرح. ها انك عرفتني قبــل ان افتح فمي واتكلم، ولكنك من انت؟! انت نفســك قلت: انــي عبد من عباد اللخ وقد قررت

مـــن زمن بعيد ان اخدم بيت الله الى ان اموت. لماذا؟ جوابا لذلك قلت: ان الحكاية طويلة. ولم استزدك. كنت متعبا جدا. ولكن عند العودة لن أكون على عجل. اســـتطيع المكوث ليلة او ليلتين واستمع اليك. اعرف انك لست خـــادم جامع عـــادي وعندك احاديث كثيرة. اعـــرف انك رأيت الكثير من امور الدنيا. انـــك تذكرني بأبي. يا ابتاه.. طابت ذكراك. أبتاه، لقد كنت ابـــا عجيبا! عرفت ذلك بعد موتك. بعد موتك واصلت البحث والتنقيب. فكرت في افعالك وســـلوكك، اقوالك واحاديثك.. سعيك ونضالك الرجولي مـــن اجلنا. اجل. كنت ابا نموذجيا. كلما تذكرت، علت في اعماقي صيحة اسف. عسير على المرء أن يشعر بأنه يدين تجاه أب نموذجي وخاصة بعد أن يترك الدنيا وتنقطع والى الابد الســـبل لايفاء الدين. وحتى الســـنوات الاخيرة كنت اشكو حالي الى امي كلما نكئ عندي ذلك الشعور.

فكانـــت امي تقول لي في كل مـــرة: يا ولدي ما هذا الذي يتاب عقلك؟ متى حدث مثل هذا الشـــيء؟! انني وحتى النفس الاخير منه لم اسمع له عتابا عليم. بل على العكس من ذلك ســـمعته عشـــرات المرات يقول: طالما عندكم (ســـه‌ردار) فليس لي من هم ابدا. في الحقيقة يا (ســـه‌ردار) كانت امك تقول الصدق. عندما مات ابوك كان عمرك ســـبع عشـــرة سنة. قد عرفت بســـرعة اية مصيبة حلت بكم. فأسرعت لحمل العبء. انت وأمك وثـــلاث اخـــوات واخ طفل. الشـــعور بعدم ايفاء دين الاب في الحياة شـــيء مؤســـف، ولكن فرحة تحمل ذلك العبء الذي تركه يوازيه. الشـــهادة لله، اقنعتنـــي امي بهذه الحقيقة مبكرا. ومنذ ذلـــك الحين تخلصت من تلك العقدة بل ربما كنت اشـــعر وكأنني صرت ابي. امي من جهتها ولكثرة ما كانت تردد ذلك، حتى (ســـه‌رومر) غدا يدعوني (بابا). عجيب! حتى انه في ذلك اليوم الذي اخذته فيه لاســـجل اســـمه في المدرسة قال كذلك ايضا.

وقد لاحظت ان مدير المدرســة قد اســتغرب ذلك. فاضطررت ان اوضح الامر لــه. وعندما خرجنا اوضحت الامر لـ(ســهروهر) ايضا. وبعد جهد جهيــد تمكنا انا وأمي تبديل كلمة (بابــا) لديه بكلمة (كاكه). وحتى في رســالته الاخيرة لي كتب (بابا- كاكه- ســهردار العزيز)، انك وعلى غرار ابيــك عندما فارقتهم قلت لامك: طالما عندكم (ســهروهر) فلن احمل اي هم. اجــل. لا تحمل اي هم. عندك عم وعمة ممتازان واخ له مكانة أب. اذهــب، انطلق، واقطع الطريق بســرعة. انطلق مســرعا واقطع الطريق المســتدق في سفح الجبل. اسرع بالوصول الى المكان الذي تقصده. صل اليه مبكرا. يومان وليلة واحدة. امامك اليوم وحتى وقت متأخر من المســاء. يجب ان تصل (الانجى) وتقضي ليلتك في مسجدها. تحل ضيفا على صوفي رحمــن. اعتمد على صوفي رحمن. لم يــرد لنا طلبا اينما كان ولم يتخل عــن اي منــا. يجب التحرك غــدا عندما يتبين لك الخيــط الابيض من الخيط الاســود من الفجر. عليك الوصول في ذلك اليوم الى المكان المقصود قبــل صلاة العشــاء. لا تنس. حتى ولو وصلــت الى التراقي فلابد لك من تنفيــذ هذا الامــر. اجل. اجل. فقد انبتت لك تلــك الـ (يجب) جناحين وجئت. صادفت كارثة مفجعة ولم تبال بها. جئت.. التقيت قافلة انعطفت نحــو النبع. القافلة كانت تســتريح من جهة ومن جهة اخرى تحفر قبرا. انعطفت نحوهم. ســألت.. ماذا حدث؟ قالوا: لا شيء مهما. طفل راح فدى لك! لم تتوقف اكثر من ذلك وجئت. كنت تقطع الدرب ســائرا جنبا الى جنب النهر وهو يتجه نحــو المنحدر وانت نحو المرتفع. تعبت كثيرا. انها مرحلتك الاولى ولابد من الوصول باي ثمن. كنت تتصور انك لن تقطعها. كنت تنزعج، وانزعاجك كان يجعلك جريئا. كنت تقول في نفسك ساشرع بالركض.. ســأزحف على الاربع ولا أدع الليل يدركني. ما أصعب السير في

الليل، وخاصة اذا كانت الليلة حالكة. وبأي طريق؟! لا تسل! انني ملسوع. شهر ونصف شهر كانت ساقي في الجبس. وعلى غرار المرة هذه، ولان الليلة كانت مظلمة، نصحوني بأن لا أسـير ليلا. لم استمع الى نصحهم فابتليت بما ابتليت! فبالاضافة الى ان المهمة التي كان علي انجازها لم انجزها، كدت اكون سببا في كارثة كبيرة. قال صوفي رحمن: الاقدام على المغامرة لامثالكم شيء سـيئ. يجب ان يكون كل شـيء عندكم مرهونا بوزن، وان تحكموا العقل في كل ما تعملون. ثم بعد ذلك فان الله سيكون في عونكم. اردت الرد عليه فلم يدعني، قال: ان الله لا يكون عونا لاحد لا يسـتعمل ذلك العقل الذي منحه اياه ولا ييسر به اعماله بشكل منتظم. وعندما قلت له: انني أسـلك هذا الدرب لاول مرة وأود ان اعرف مـا هي نصائحك لي في غدي، قال: انت بحاجة في غدك الى اسـتعمال عقلك اكثر من يومك هذا. في غد عليك ان تبدأ السير مبكرا. ان (ماراني) بالقول ليست بعيدة، فها هي تلك في الجانب الآخر من ذلك الجبل. ولكن في الحقيقة انها بعيدة جدا. وذلك لانك سـتقطع للوصـول اليها جبلا وعرا جدا. ولـو تركنا وعورة الجبل جانبـا، فان مشـكلة الطريق تمسـك بخناقك. انه ليـس طريقا كما هو متعارف عليه. فخلال سـنة قد يطرقه عدة اشخاص مثلك. ولذا فانه لا يعد طريقا. وبالنسـبة لي فانني لم اسلكه الا مرة واحدة فحسب وبعدها لم يتسـن لي سـلوكه كرة اخرى. لقد افزعني صوفي رحمن!.. انه ليس بهذه الصعوبة. فقال لي هو: صحيح انه طريق مستدق وفي بعض مواضعه لايبقى له الا حد ضئيل. ولكن تفضل.. ها ان الوقت قارب الضحى.. وأكاد ان انتهي منه اذ انه اعتيادي جدا.. الكلام في سـرك، ان الشيخ المسن ايضا بدت عليه الدهشـة فقال: مـن أنت ايها الرجل؟! قلـت: نحن. قال ومن أنتم؟! قلت: الا تبعد عنا ذلك الكلب. عندها قال: الا تقول لي من أنتم؟!

قلــت: (الا تبعد عنــا ذلك الكلب. عندهــا قال: الا تقول لــي من أنتم؟!
وعندما قلت له:-كنــت ضيفا على صوفي رحمن وأروم الذهاب الى الجانب
الآخر من الجبل، ابعد الكلب عني وتقدم نحوي وسالني باستغراب: اتذهب
الى الجانب الآخر من الجبل؟! ولما قلت: اجل. قال: وهل صوفي رحمن على
علــم؟! قلت: أجل. بعد ذلك وبعــد قليل من التفكير قال: تفضل.. اذهب
والله معك.. ولكن كن على حذر. هل صوفي رحمن قد نبهك بأن تكون على
حذر؟! وفي هذه المرة ايضا عندما قلت: اجل. كرر قوله: اذهب والله معك.
وبعدها اعتمادا على الله وعلى نصائح صوفي رحمان وموافقة الشــيخ على
المرور أتيت. خرجت من القرية وســلكت الدرب. الفجر كان في طلوع توا.
عندمــا وصلــت الى قمة تل، كنت تعرف انه يطل علــى القرية. توقفت.
اســتدرت ونظرت. كان منظرا جذابا. شعرت انه ثمة فرح طاغ يقدح في
اعماقك ويسري الى احشائك. القرية امامك وهي محاطة باشجار كثة. والى
الاسفل نهر يجري منحدرا بشدة. انك لا ترى سوى دورة واحدة فانه يطل
من خلف جبل عال ليعود مســرعا ليصير خلف جبل أعلى. ترفع رأســك
فلا تجد سوى قمم جبال تناطح السماء يمنة ويسرة. مازال الوقت فجرا.
مازالت غشــاوة رقيقة من الظلمة باقية فوقها. وكلما نظرت نحو الاسفل
تغدو الغشاوة اكثر سمكا. نوبة سرور انتابتك وكانت جميلة جدا، فوددت
لو انك تربعت جالســا واطلت المقام. ولكنك لم تفعل. لم تســمح لنفسك
بذلك فاستدرت. أردت ان تخطو لتذهب فانتبهت فجأة وقلت: لماذا لاتنظر
بدقة؟! فعندما وصلت مساء كان الظلام قد خيم فلم تر منه شيئا. وعند
الصبــاح عندما تحركت وحتى وصلت الى قمــة التل لم تقع عيناك على
شــيء مهم. هيا.. الق عليه نظــرة. وعندما رفعت اليــه بصري، بدا لي
بكامــل قــده وقامته، لا اقول انني جزعت، ولكــن الكلام في عهدتك، اني

لجمت مدهوشا. ما هذا؟! من أي موضع ارتقيه؟ صحيح انني لم ار جبلا أعلى منه ولكن دهشـتي ليست بسـبب ارتفاعه، بل هي من وعورته. انه جدار يلعو نحو اعماق السماء. جدار لا اجد نهاية لهذا الجانب منه أو ذاك. ولكـن لم أدع شـعوري بالاندهاش يتغلب علي ويثنيني. قلت في سـري: الاستاذ خدر سبق ان حذرني من انني سوف القى شيئا كهذا. كما انه قال: انت عندك صوفي رحمان. اتبع ما يقوله لك، وعندها يكون الامر سـهلا. ومـن ثمة لماذا الدهشـة؟! ان صوفي قال: عندما تخـرج من القرية وبعد قليل يتفرع الطريق الى ثلاثة فروع. ان الذي في الجانب الايمن يذهب الى قريـة (زى كهلـه) والذي الى الجاب الايسـر الى (بنـاره). ولكن انت خذ الاوسـط والذي يصير منذ تلك اللحظة طريقا مسـتدقا. وبعد ذلك فان الطريق المسـتدق ذاك لا يتفرع. كلما في الامر، يجب أن تكون على حذر. يجب ان تكون منتبها عليه خطوة خطوة. لانه ربما يزول اثره خاصة ان الفصل هو فصل الربيع وقد مر عليه شتاء ايضا. وقال ايضاً: ان الصعوبة في ارتقائك هذا الجانب فحسـب، اما الانحدار نحـو الجانب الآخر فهين.. حسنا. نصائخ صوفي على الرأس. صحيح ان آثار الطريق الفرعي المستدق تضاءلت امام عيني مرتين ولكن لم الق مشقة اذ كنت اجد الاثر بسهولة وعلى الاخص من آثار حوافر الدواب. ترى كم السـاعة الآن؟! حسنا. انه سفح الجدار. ونبع مهمل. حق الحق.. هيا اجلس ولكن لربع ساعة فقط. لاتمس العلب، فلتبق. افتح الصرة التي اعطاك اياها صوفي.. بيضتان، رأس من البصل، قليل من الملح في قصاصة ورق وحفنة من التمر الخسـتاوي.. يا صوفي.. أي انسـان انت؟ اي ذي مروءة انت؟ لقد جئت كأب وايقظتني. جئـت وقلت: انهض يا ولدي.. في الليل وقبل أن تنام طلبت مني ايقظاك مبكرا. يا صـوفي.. كلامك ذاك جعلني انفر كالبرغوث واقف على قدمي.

وفي وقت لايعدو تدخين ســيجارة، تهيأت للتحرك. وقبل ان أودعك جئت لـــي بصرة صغيرة وقلت: هــذا طعام افطارك الذي كنت ســتتناوله هنا، فأينما شــعرت بالجــوع، اجلس وكل وتذكر ان يدي هــذا العبد لله معك، حيــث انه يدعو لك بالوصول الى مكانك وقضــاء الواجب المناط بك.. يا صوفي.. انه نبع وماء جبلي رائق. انك لم تحدثني عنه بشــيء. لم تومئ الــي اي ايماءة عنه. امــن المحتمل انه لم يكن موجــودا يوم طرقت هذا الــدرب؟! لايمكن. انه نبــع قديم، رغم انه مهمــل.. دعني آكل طعامي. سأجري عليه بعض الترميمات. انه لمن الاثم بقاؤه كذلك. سيطرقه واحد مثلي ذات يوم في الاقل. ســأجعله مثل (ســهردار ئاوا) الذي لم يكن أحد ينتظــر أن يصير الى مثل ما صار اليه. حــوض من الكونكريت يدفع من زوايا ثلاث بماء بارد نقي خارجا. كان ذاك ايضا نبع مهمل. بثلاثة اكياس من الســمنت وحجر مجاني مما حوله ومجرفة ومســحاة، صيرته بيدي (سهردار ئاوا). لست أنا، انما الاخوة هم الذين اطلقوا عليه هذا الاسم. لم تحل عليه الســنة حتى صــارت الباميا والباذنجــان والطماطم والخيار والرقي والبطيخ مضمونة لهم. وزرعت عدة شتلات حوله. لم أكن فلاحا ولكن الفلاحة تلك كانت تطيب لي. لم أكن بســتانيا ولكن البســتنة تلك كنت ارغب فيها كثيرا. صحيح ان تلك الرغبة كانت كامنة في اعماقي منذ زمن بعيد، غير أن الفرصة لم تســنح لي لتحقيقها قط. لم نسكن اية دار فيهــا حديقة لكي اشــغل بها نفســي، او فيها باحة واســعة لاجعل منها حديقــة. اذ كان من نصيبي دوما خربة ضيقــة فيها غرفة وفيها ايوان ومرافق في الطرف الآخر. واقصى ما كان شجرة توت كبيرة تغطي صفحة الســماء أمام حنفية الماء في باحة الدار. ســوى مرة واحدة قد سنحت لي فرصــة، ذلك في بيت كان في طــرف المدينة. انه بيت العمة (عطية). كان

البيت قد انجز حديثا وقد شـيدته لتسـكن فيه. ولكنها لم تجرؤ. قالت: انني امرأة ارملة وحيدة فكيف اذهب الى ذلك المكان المقفر! ورغم ان امي لـم تكن تريد افتراقي عنها لكنهـا كانت تحب عمتي، وخاصة لانها كانت ذات افضـال كثيرة علينا. فبعد موت أبي سـاعدتنا كثيرا. لذا فقد قررت السـكنى أنـا وعائلتي معهـا. كان عندنا حينئذ (ئـالان) فقط وقد كان رضيعـا. ذهبنا.. البيت كان مشـيدا على الطراز القديـم المتعارف عليه عندنا. ولكن باسـتثناء الطابق العلـوي الاعتيادي فقد جعلت فيه غرفة وايونا في الطابق الارضي. وسـرعان ما ذهب بي الفكر الى احتمال انها قد تكون حسبت لنا حسابا. اذ كانت هي ايضا تحبني وتحب ام (ئالان) كثيرا. ذات مـرة تطرقت الى ذلك معها فقالت: الم احسـن عمـلا؟! كنت أود أن نكون نحن في الغرفة والايوان وتسكن هي الطابق العلوي، فلم ترض. قالت ان هذا لا يمكن. تسكنون انتم في الطابق العلوي وانا اسكن الطابق الارضي. بقيت فيه سـنة ونصف السنة. حققت شيئا من الرغبة التي في أعماقي. نظمت حديقة جميلـة في باحة الدار. كان أكثر ما فيها (الثيل) والازهار والرياحين. وزرعت فيها عدة شتلات ينوف ارتفاعهم الآن عن طولي عدة مـرات. ولكن عندما كنت الى جوارهن لـم يكن يبلغ ارتفاع الواحدة بعد أكثـر من نصف قامتي.. تزوجت عمتـي ثانية. ومن أجل مصلحتي كان لأمي على زواجها عتاب. انا لم يكن لي عليها عتاب ما. كانت لاتزال شابة وعندي ان ذلك شـيء اعتيـادي، رغم اني كنت أعرف انـه يتحتم علي العـودة الى الوجر القديـم العائد لأمي. الحق يقال، انها لم تقل شـيئا او تظهر امتعاضا قط. وقد سكنت هي وزوجها في الغرفة والايوان في الطابق الارضـي. لكن بعد شـهرين او ثلاثة، شـعرت انهما يتخاصمـان احيانا. لاحظت ان عمتي تغلق الباب لتكبت الخصام داخل الغرفة. لم أكن ابلها او

اتكاليـــا، فما أن علمت ما الامر حتى قررت على عجل.. وحزمت امتعتنا. جاءت عمتي مســـرعة وقالت.. ماهذا؟ قلـــت: يا عمتي العزيزة، لا تقلقي نفســـك ســـتظلين كما كنت عمتي العزيزة، ولكن مـــن الافضل ان ننتقل. بكت عمتي بكاء مرا. عجيب. الانســـان شيء عجيب! بعد ثلاثة ايام فقط زارت امي. قبلتني بشوق واخذت (ئالان) بحضنها بلهفة والصقته بصدرها. وبعد لحظات وجهت الحديث الى امي قائلة: يقول (حمه صالح) انه يرغب في جعل (ســـه‌ردار) شـــريكا له. كانت امي كســـيرة الخاطر منها. تجاهلت حديثهـــا ولم تجبها. ولكن عندما كررتها للمرة الثانية وســـردت الموضوع بتفصيل اكثر، قالت لها امي: ذاك (ســـه‌ردار) واســـأليه لتعرفي ماذا يقول. عرفت ان امي مســـتاءة منها ولا ترغب في ذلك، ولكني كنت اشـــفق على عمتي. قلت: يا عمتي.. انني اشكرك واشكر الاخ (حمه صالح) ايضا، ولكن عملـــي جيد ولا اريد تركه. عندها لم تواصل عمتي الحديث عنه. فقط قالـــت: فكر في الامـــر.. ماء النبع ليس باردا. ذلـــك عجيب عندي! لماذا لا أدري. انني اعرف فقط ان علي ملء زمزميتي منه. لم اشرب منها كثيرا. مرتين او ثلاثا وفي كل مرة شربت منها جرعة بللت بها فمي وحنجرتي، ان ذلك صحيح. ولكنها نصيحة الاســـتاذ (خدر) ولن انســـاها كرة اخرى.. لقد كان يقول: حتى وان كنت قد شـــربت منها جرعة واحدة او نقصت منها قطرة ماء، فحيثما يصادفك الماء لا تنس ان تملأها، لان تلك الجرعة او القطرة تســـاوي ملء الزمزمية في الوقت المناسب. وانا ملدوغ من هذه الناحية ايضا. صحيح انني لم أمت عطشا ولن يموت احد من العطش في الطرقـــات الجبلية، ولكني ذقت بســـببها آلاما تنفطـــر منها الاكباد، كنت اتمنى الموت وليس ذلك الامر. تفضل.. جبل اجرد وعر تتســـلقه وتنحدر الى الجانـــب الآخر منه بلا ماء.. لماذا؟ لانني اهملت النصيحة! ان (صوفي)

والاستاذ (خدر) يتشابهان في كثير من الوجوه. قال صوفي ايضا: ان طريقك لايخلو من الماء. ولكن في اي مكان رايت ماء، املأ منه زمزميتك. سينفعك في الوقــت الملائم. اجل.. فلأنفذن وعدي. فالحــر ان وعد وفى، وان كان الوعد بلســان الباطن. ان الحنث بالعهد هذا اشــد من الحنث بالعهد الذي يقال باللســان الذي في داخل الفم. هذا تنال جزاءه مباشرة ووجها لوجه، ولكــن ذلك مخفي وجزاؤه يتدفق من الاعماق. ظهر لي هذا من تجربتي الذاتية. استطيع بيسر استعادة الحالات التي مرت علي. عاهدت نفسي في سري أن امر على (حمه سعيد) في طريقي وانبهه على انهم يدبرون قتله. كان رفيــق طفولتي. ومــع اننا كنا مفترقين منذ عدة ســنوات، فلم أكن أصدق صحة التهمة المنســوبة اليه. لم تكن امامي اية مصاعب لتنفيذ ما عاهدت نفســي عليه. وحتى بالنســبة للعواقب، اللهم الا اذا كان هو غير كتوم للســر، او صار نذلا لا وفاء له ولا يهمه ما ســيحل بي، والا فلم يكن احد يعلم شيئا. غير انني مررت بجانب صومعته ولم انعطف نحوه. وفي اليــوم التالي ســمعت خبره. اصابني الذهول في البداية فأحسســت وكأني أصبت بالشــلل. كان علي الذهاب لتشــييعه الى مثواه الاخير. فلم استطع الحــراك من مكانــي. جاءني (حمه امين) وقال لــي بحزن: الا تذهب الى حيــث يدفن صديــق طفولتنا. لم أحر جوابا ســوى ان ارفع اليه عينين ملؤهما الدموع واسبلهما بســرعة. شعرت انه يتراجع نحو الوراء. شعرت انه بفتحه للباب وذهابه الى المشــاركة في دفن (حمه سعيد) يفتح لي باب الجحيم على مصراعيه. لم يغمض لي جفن ليلا. كنت اســتلقي لأنام بيد أني سرعان ما كنت أشــعر ان مغصا مفاجئا كقنبلة ينفجر في أحشائي، موجاتــه تندفع نحو صدري وحنجرتي وفمي مصحوب بتجشــؤ وتقلص خانق يضطرني للنهوض واقفا على قدمي، ثم يدفع بي الى خارج الغرفة،

نحو باحة الدار. وفي كل مرة تسرع أم (ثالان) خلفي راكضة. ولقد اعتادت ألا تبكي بصوت مرتفع فكانت تتحرق باكية وهي ترقبني. هي لم تكن تدري ما الامر؟ اما انا فكنت ادري. في كل مرة مع حرقتها التي تطير بها شعاعا تسألني: ماذا حدث؟ ماذا بك؟! كنت أود لو اجبتها وأقول: انني اشمئز من نفسي.. اتقيأ من نفسي.. كنت أود لو اقول: انني قتلته. اجل انـي قتلته! ولكن لم استطع. وعند الصباح وصل بـي الامر الى الالتجاء للطب والاطباء. قال الدكتور: يجب ان تستريح. استرحت. عدت الى طبيعتي. ولكن لم يمض الا شهر واحد حتى قالوا: لقد قتلناه بلا ذنب. ليتهم لم يقولوا ذلك. صار الامر اسوأ. عاودني الشعور ذاك بشكل اشد واقوى. مادام الامر كذلك فاذن انا قتلته حقا. داء وخيم. كثير من الناس يطفأ مشاعل حياتهم من قبل أناس آخرين دون أن يقترفوا ولو مثقال ذرة من ذنب!.. اعتقد انه الآن صار جيدا. فليصف ماؤه ثم اعاود المسير.. رغم انه بعد حين سيخرب، ولكنها رغبة وقد نفذتها. لا استطيع رؤية نبع ماء لم يجر عليه اصلاح. وفي الحقيقة من النادر رؤية ذلك، اللهم الا اذا كان نبعا منعزلا كهذا، لا يرده الناس الا لماما. والا فان اي نبع ماء لايبقى دون اصلاح. فلئن كان ذلك عندي مجرد رغبة فهو عند اهل الريف، واجب مقدس عليهم اجراؤه. حدثني العم فتاح قائلا: ذات سنة اندلعت معركة كبيرة بين قريتين حول مسألة كهذه جرح فيها رجلان. وفي الاخير من حسن الحظ تدخل الشيوخ والملالي من قرية مجاورة لهما وانهوا النزاع. فيما عندي قد ازداد ماؤه بهذا الاصلاح ايضا. هكذا اراه. لقد قلت ربع ساعة وها انها صارت ثلث ساعة.. اي بزيادة خمس دقائق. لم تحسن صنعا. ليست الغاية هي الدقائق الخمس، اذ ان الفترة تلك لا اهمية لها تذكر، بل العبرة في مغزاها. فلو قلت: عشرين دقيقة، نصف

ساعة، لكان الامر اعتياديا. ولكن ربع ساعة. أرأيت؟! ها أنت اسفله تماما. من الآن فصاعدا ستخطو فوق مدرجات. لقد انتهى السفح. صدق صوفي في حساباته اذ قال: قطع السفح لمسافر عادي يستغرق حتى وقت الضحى. ولكن بالنسبة لك اذ انه منتهك، وأنت على عجلة من أمرك، فستصل في وقت أسرع، كان ذلك صحيحا. وماذا عن الجبل نفسه؟ لقد قال: انه بالنسبة لك يستغرق حتى العصر تقريبا. –ابدون توقف؟!- لاشك لا.. ان ذلك ليس بمقدور اي انسان. ثلاث استراحات بثلاثة ارباع الساعة قد وضعت لك في الحسبان- اتظن ان هذا الصوفي هو مجرد خادم جامع زاهد اعتيادي؟! لايبدو كذلك قط. وضع في حساباته ثلاث استراحات وبثلاثة ارباع الساعة لي.. عجيب! اشعر ان ما قاله واجب ملقى على عاتقي لابد من انجازه. لابد من تنفيذ ما نصحني به كما هو. لماذا؟! انه لعجيب ايضا! في الصباح عندما جئت لاودعه واواصل المسير، قبل وجنتي بعاطفة لا توصف وودعني.

وقد ودعت بعاطفة اكثر من قبل الاستاذ (خدر). وامام بيت الشيخ العجوز ايضا. عندما قلت: انني كنت ضيف صوفي رحمان وفي اثناء ذلك القيت نظرة في الاسفل، تراءى لي انه واقف على سطح المسجد وهو ينظر نحوي! الكلب كان يضايقني. كنت اخشى الكلاب كثيرا في صغري، ومازال الخوف ذاك لم يفارقني. فما ان اقترب من القرية حتى يبرز ذلك الخوف ولكني اتصبر، اضع الخطوات وكأني جندي يمشي نحو قلب المعركة. ثم أقول لنفسي ليكن ما يكون واتقدم. ولن يمر وقت طويل حتى اتعرض لسيل من قذائف النباح وكأنني اضرب بالمدافع. ولكني اخرج في النهاية سالما. واني وان لم يعضني كلب لا في الصغر ولا في الكبر لكنني مع ذلك مازلت اخاف. اعرف انه يجب ان لا اخاف عض الكلاب. اعرف انه علي

ان اخشى عضة كلب ذي قدمين مثل (ئهحه بن گولناز). لقد كنت ناسيا بأنــك ذات يوم، امام جمع من الاصدقاء قد فضحت كذبه واخجلته. لكنه من جانبه كاد يلســعك كالحية، اذ اسند اليك تهمة لو لم يسعفك الاستاذ (خــدر) ويدحضها لكنت واقعا في مشــكلة عويصة. هــو اثبت انها مجرد بهتان وجعل الملفق ينال جزاءه. فقد ارادوا معاقبته بعقاب صارم، لكنني تشفعت له أنا بنفسي. لا احب ان اكون سببا في ايذاء اي احد حتى لو كان مسببا لايذائي. انا اعرف ان هذه الصفة ليست من الصفات الحسنة لانني عانيت منها كثيرا، وسوف اظل اعاني منها الكثير من المتاعب والآلام. ولكن ليــس الامر بيدي، فهكذا خلقت. اعرف انني لــو لم اكن معروفا بالذكاء والفطنة والوعي لاعتبرت هذه الصفة التي فيّ بلاهة بدلا من طيبة قلب. هــذا القول ليس من عندي، اذ ان (ئازاد) بن العم ابراهيم بعد ان بلغ به التاثر ذات مرة واجني بها. قلت له أتريد ان لا أكون كذلك؟! قال: اعتقد. قلت: اذن يجب ان اعود الى بطن امي ثم اولد من جديد. ايمكن ذلك؟ قال: اذن تعادلنا. فكيفما كنت كن. المهم انك لســت أبلها. يا ترى ألســت ابلها؟ الحق، صوفي لــم يقل كذلك، صوفي قال: يجب ان أكون منتبها الى الطريق ولا اضيعه. لم أضيعه. آثاره واضحة وتبدو جلية. البركة في حوافر الدواب والا فان الطريق المستدق هو طريق بالكاد. لم يبق لي الشيء الكثير لانهي السفح. ولكن من اين ساصعد. ايمكن ان يكون من ذلك الاخدود؟! لا يبدو كذلــك لا. ليس كذلك ابدا. الاخدود يتجه نحــو جانبي الايمن والطريق نحــو الامام. اذن.. الى الامام، جدار مرتفع نحو الســماء. من أي جهة منه أصعد؟! اجل.. درس طفولتك كان على العكس من هذا. كان الفصل ربيعا كمــا هــو الآن. مع عمك صالح ضــاع منكم الدرب في (ســهگرمه). كنتم ذاهبــين الى (كربچنه). كنتم لحظتذاك علــى مقربة من القمة. هو قرر

العودة الى الوراء لتســلكوا الطريق مجددا مع أحد العارفين به. استغربت وقلــت: ها أننا قريبون من قمة الجبــل. لماذا لا نصعد ومنها ننحدر نحو الاســفل؟ ضحــك هو لك وقال: يا بنـــي العزيز.. ومن قـــال لك ان الجهة الاخرى ليســت كالجدار! لم أكن اثق بقوله في ســـري. عدنا الى الاسفل. في الصباح سرنا مع القافلة. وعندما وصلنا، قال عمي: انظر، لو اننا البارحة ســمعنا قولك لكان علينا أن نتدلى الى الاســـفل من ذلك الجدار الذي تراه. اكنا نستطيع؟! والآن فإن الطريق يتجه نحو الجدار. علي ان اسلم زمامي الى الطريــق. من يدري انه لا يرتقي بي الى الحائط عبر مدرجه. المهم ان لا افقــد الطريق. ان لا أحيد عن الدرب. في الطرق الجبلية، الانحراف عن الطريق له نتائج باهضة. حدثني أبي ذات مرة قال: ان الذي احدثك به قد جرى على أبي وسمعته من فيه قال: عندما وعيت على نفسي واكتمل ادراكــي لاحظت انني اهيم حبا بالجبال بصــورة عجيبة. فما أن يصبح علي الصباح، حتى كنت اســرع في الخروج من البيت وأبدأ بتســلق الجبال المحيطة بالقرية. حتى غدت الحال بي أن يكون ذلك شــغلي الشاغل حتى في الليــل، وعلى الاخص في الليالي المقمرة. وعندما ازددت ادراكا صرت في ريب من امر نفســي. توجهت بالســؤال لأمي فقلت: اماه.. لماذا انا هكذا؟! ضحكت لي أمي وقالت: ولماذا، هل هناك احد انتقدك على ســلوكك هذا؟ قلت: لا. ولكني اتعجب من نفســي. لماذا أنا أعشــق الجبــال هكذا؟! عند ذاك مســحت على رأسي بحنان وقالت بابتسامة مشرقة: يا ولدي العزيز، ابــوك.. جــدك.. وحتى جدك الاكــبر ايضا كانوا مثلك. ان عشــقك هذا ورثتــه من آبائك واجدادك. انك ابــن الجبال. اتدري أين تفتحت عيناك علــى الحيــاة لاول مرة؟! على قمــة (پيره مووژه) تلــك. عند نبع تحت شــجرة بلوط. عمك كريــم كان يعتزم الزواج وقد الـــح علي أبوك كثيرا

للذهاب معهم. قلت: انني في شـــهري الاخير من الحمل، ومن الافضل ان لا آتي، فلم يجد ذلك، فأخذني. وهناك جاءني المخاض وانجبتك. كنت كثيرا ما أتذكر الحكاية، خاصة في الســفر او النزهة. ويصدف ان يكون طريقي بين الجبال، عند ذاك فان تلك البذرة التي ورثتها من أجدادي تتبرعم في أعماقي. كنت أحب الانطلاق في السفوح او القمم وقطعها شبرا شبرا مشيا على الاقدام. ولكن لم يتســن لي ذلك. حتى مرت أيام وايام وشــاء الله أن يكون ما أهواه، اذ غدا مهمة على عاتقي وجعل حرفة لي. جميل ان تلقى على كاهل المرء مهمة مايكون له في أعماقه عشــق لها. أجل، لم أنس ذلك أيضا. أن انعطف عند أول فرصة تسنح لي الى قمة (پيره مووژه) واجلس فترة عند ذلك النبع الذي فتح جدي لاول مرة عينيه على الحياة بجنبه. كان ذلــك من أحلى اللحظــات في حياتي. عندما هبطت الى داخل القرية، اردت الذهاب الى مثواه وازف له البشرى: «أن يقر عينا فان الولد على سر ابيه وان آثار رغبته مازالت قائمة»، فلم أفلح. اذ ان ابي مذ كان شابا قد ألقى بنفســه وكل أفراد عائلته الصغيرة في المدينة. لقد وجدت عددا من أقــارب أمي. ورغم انهم فرحــوا بمعرفتي، ولكن لم يكن لهم علم بمثوى جدي. لقد مر على موته أكثر من خمســين عاما. ومازلت ما ان يقودني طريقي الى هناك حتى أبذل مابوســعي لاعرج على (پيره مووژه) والنبع الذي تحت شــجرة البلوط. وحال وصولي اليه وجلوســي قبالته، تتجدد عندي اللحظات الحلوة فانتشي وتتملك قلبي وكل أعماقي فرحة سحرية. يحدث ذلك في لحظات الراحة. والا والكلام في ســرك.. ان الجبال تتبعني كثيرا. أضف الى ذلك انه كثيرا ما يحدث بيننا نجوى وعتاب. ولماذا نذهب بعيــدا، فها هو الآن.. تفضل.. انك تعرف جيدا كم أنا في عجلة من أمري. أيكــون كفرا لو انك تنخفض لي قليلا ولا تتعبني بهذا المقدار؟!! لكنك لا

تفعل. حسنا لماذا؟! ها؟! كيف؟! أتريد أن اتملقك واتوسل اليك؟! ثم ماذا! حسنا.. سأفعل، لاني أعرف أنني بذلك سأكون فخورا. تفضل واستمع:

أمان.. أمان.. يا قلب.. أمان
هذا الجبل جد عال و وعر
انني اليوم من الصباح الباكر
قد سلكت الطريق الى اعاليه، مرحلة فمرحلة
انه عثرات، عقبات، هضاب وشعاب
ليس لها من نهاية.
أمان يا جبل، رفقا بحالي
انا الذي ألم بي هواك، ومن أجل رفعتك
قد سلكت درب المهالك.
انا وردة وحيدة في بستان، في قلبي آهة
متى يا جبل!.. متى تجعلني تاج رأسك
أمان.. رفقا بحالي.
هيا قل لتلك القمة التي في الأعالي.. هيا قل لها: اعطي لذاك العاشق الذي جاء لبابي مجالا.. هيا قل..
هيا قل.. آه.. الطريق.. أين الطريق؟! أين؟!

-٢-

عندما عاد اليه وعيه، كانت قدماه قد تسمرتا في الارض. دهشته كانت بدرجة الذهول، ذهول امرئ وهو في سبات عميق يستيقظ فزعا على كارثة رهيبة. شعر وكأن غمامة علت عينيه تعتم الرؤيا أمام ناظريه. العتمة كانت تنكشف بصعوبة وببطء. كان من الصعب عليه أن يصدق عينيه. أمل كان يقدح في أعماقه. ذلك الامل كان يوحي اليه أن مايراه

بعينيــه يمكن الا يكــون صحيحا، ولكن دون جــدوى. فمنذ تلك اللحظة عيناه صارتا شــاخصتين الى موضع قدميه. كان يــراه بوضوح كامل. لا يبدو فيه أثر لطريق. وبهدوء تقدم نحو الامام شبرا شبرا. خطوة واثنتان وعشــر ولا شــيء يبدو. بعدها اسرع في الاجتياز. ســرعان ما صار وجها لوجه مع الجدار. عدل عن ذلك واستدار قافلا الى الوراء على عجل. نظر بدقة من موضع قدمه نحو الاســفل ولمســافة عشرين او ثلاثين خطوة، فلم يتبين أي أثر أبدا. ومن بعد ذلك كان كتف مرتفع يحجب الرؤيا عن عينيه. ومن ثم في الجانب الآخر كان يرى بداية أثر له على سفح مرتفع، فحسب له حسابا تقديريا في سره، فقال:

«انني لــم ابتعد كثيرا. انه الجانب الآخر من الهضبة ســيوصلني الى نتيجة. انه سيضعني على الطريق».

وكانت دهشته المذهلة في اللحظات السابقة قد اعطته فورا بشرى عدم صحة الكارثة، اندفع بجســمه نحو الاسفل. وبعدة قفزات أوصل نفسه الى الجانب الآخر من الهضبة. ومن ثم عشــر أو خمس عشرة خطوة أخرى، وجد اثرا لطريق مستدق. برؤيته سرت الفرحة في قلبه، فرحته طردت من نفســه شــعور القلق الذي انتابه. ومنذ ذلك الحــين لم يبق في ذهنه شاغل سوى الوصول الى أثر الطريق. وبقفزتين أو ثلاث أخرى وصل اليه. وكان قد انتابه اللهاث وكأنه قد اضاع رأســه وقبل أن يفوت الاوان وجده ثانية فتنفس الصعداء وجلس ليستريح واسترد هدوءه تماما.

عندما شــعر انه عاد الى وضعه الطبيعــي، نهض على قدميه وقال في نفســه: «من الآن فصاعدا سأشحذ فكري. سأجعل من كل عين من عيني الاثنتين ألفا. ســألوك نصائح صــوفي رحمان خطوة بعد خطوة. يجب أن أكون في غاية الانتباه».

بـدأ السـير، ولكنه كان يخطو وكأنه يبحث عـن ابرة. ثبت عينيه في الارض. كان يتفحصهـا جيدا. مـا كان ليخطو الا وقد تأكـد تماما. كان سعيدا بهذه اليقظة، حتى انه قال لنفسه فجأة: ان بقيت تمشي هكذا لن تصل بعد اسبوع!».

كان في سبيله أن يسرع خطواته ولكنه لم يفعل. اذ امسك زمام نفسه وقال: «لاتفعل، لتتخلص من هذه الآفة، ثم عندها اسرع ما شئت».

خطا اربع عشـرة أو خمس عشرة خطوة وتسمر في مكانه. ضاع الاثر ثانية. سـرت في قلبه رعدة. تمعن جيدا. تفحص الارض شـبرا شبرا، فلم يجد شـيئا. دقق بصره يمنة ويسرة على مد البصر، لم يكن شيء البتة. دفقـة من الهموم اندفعت مـن أعماقه وانصبـت في وجدانه. صار يدور حول نفسه باحثا متفحصا دون جدوى. رجع مرتين الى الوراء وعاد اليه ووصـل الى ذات النتيجة. وأخيرا جلس في مكانه على الارض. تربع ووضع وجهـه بين راحتيه. وأخـيرا جلس في مكانه علـى الارض. تربع ووضع وجهه بين راحتيه. انهارت معنوياته تماما. كان يقول في سره: «ماذا أفعل الآن؟! ها.. ما هو أفضل شيء افعله؟!».

ظـل حائرا على تلك الحال لفترة. مرة، وعشـر، ومئة مرة القى على نفسه السؤال الذي لم يكن لديه جواب له. حتى انتبه على ضربات قلبه فجأة. عندها عاد لنفسـه قائلا: «هو عليك! ان هذه ليست هي المرة الاولى التي تصادف معضلة! لابد أن تجد لها حلا. لا معضلة دون حل».

علت شـفتيه ابتسـامة باهتة ونهض على قدميـه. ألقى نظرة فيما حوله ثانية وقال: «أجل.. لسـت في صحراء! تلك الصخرة..» ومع ضحكة صامتة خطا خطوة وقال: «لابد ان أجده. سأتأخر بعض الوقت فلا تأخر. لا مناص من ذلك. المهم أن اصل المكان قبل اذان العشاء واوصل الامانة».

تقدم نحو الامام كالمخبول. ســار مئة وخمسين خطوة ولم توصله الى نتيجة. اســتدار الى اليسار وانحدر قافلا الى الاسفل. وهو يسير كان ينظر مد البصر فيما حوله.. ســار الى الاسفل أكثر من مئتي خطوة، فلم يعثر على أي اثر للطريق المســتدق. عاد من هناك الى الشــمال ثانية. وصل الى مكانه السابق نفسه. موجة أخرى من اليأس انتابته. علت محياه غمامة كمــد كثيفة. كان يتنفس بصعوبة. كان يعرف ان ذلك الضيق في التنفس هو بســبب من القلق والارتبــاك، لا من التعب. ظل لفــترة من الوقت في مكانه مذهولا يتأمل. عبثا أجال فيما حوله عينين ذاهلتين.

تصبب من جبينه وجانبي رقبته عرق لزج حار وســال منحدرا على ظهره وصدره. كان في قرارته في ضيق شــديد. كان في ســبيله أن يرتمي علــى الارض ويجلس متربعا، فلم يفعل. جلبــت الصخرة انتباهه. زحف نحوهــا. اعتلاها. لم يكن في عزمه الصعود عليها والنظر من فوقها باحثا عــن أثر الطريق، بل ذهب ليجلس عليها، ليســتريح قليلا ويفكر فيما آل اليــه أمره. ولكن دون أن يدري جعل مــن كل عين ألف عين وراح يجيل الطرف فيما حوله بدقة. لم يحصل على أي شــيء ايضا. حتى انه عندما وقف باتجاه القرية وحاول ان ينتشــي برؤيتها ثانية عســى أن تكون له وميض هداية، لم يجده نفعا أيضا، لانه ليست القرية فحسب بل لم يظهر له أي أثر للعمران.

في ذلــك الوقت كانــت موجة القلق والارتباك قــد خفتت في أعماقه. وقطــرات العرق الحار اللــزج المتجمعة في كامل جســده كانت قد بردت وتجمدت مكونة قشــرة فوق جلده فشــعر وكأن جلــده قد انكمش. كان هــذا عنده طبيعيا. لم يبال. جلس. أنــزل جعبته من ظهره ووضعها الى جانبه. مد يده الى محزمه وفك منه زمزميته. وضعها على فمه وارتوى

منهـا. وضع الزمزمية جانبا. تلمظ بلذة. ثم درس يده في جيبه وأخرج علبة السـجائر والثقاب. أشعل سـجارة وصار يرتشف دخانها بنهم. نظر في سـاعته التي في معصمه. وفي اثناء ذلك تملكته حيرة. كان يخاطب ربه ونفسـه ويقول: «مـاذا افعل الآن؟! ماذا علي أن افعـل؟! قطعت الطريق الى هنا بثلاث سـاعات ونصف. ترى هل أعود الى القرية وأشـرع في البدء من هناك ثانية؟! مشـكلة! ثلاث سـاعات ونصف ذهابـا ومثلها ايابا! اي سبع سـاعات. اي أصل الى هنا قرب العصر! حسـنا، اذن متى اصل المكان المقصود؟! منتصف الليل تقريبا!! قال الاسـتاذ (خدر): قبل اذان العشاء.. علي الوصول قبل اذان العشـاء. ولكن وفق هذا الحسـاب، حتى وان انهكك نفسـي فلن أصل. وعلى هذا يترتب علي اخراج مسـألة عودتي الى القرية من حسابي تماما.. هذا لايمكن».

لعـدة لحظات توقـف عقله عن التفكير فلم تدر فيـه أية فكرة. كان قد تجمد. وعندما بدأ يعمل، لمظ شـفتيه وهز رأسـه لحاله. «ماذا أفعل اذن؟!». فكر مليا للحظات في سـؤاله. وفجأة رفع راسـه وانتصب.. «عسى أن أجد راعيا، فلاحا، عابر سـبيل، مهما كان بعيدا سـاصل اليه راكضا. فليأخذ من وقتي ساعة أو ساعتين، ذلك أفضل من العودة الى القرية».

أعجبتـه الفكـرة. نهض على قدميه. جعل مـن كل عين الفا. وأجال الطـرف فيمـا ما حوله على مهل وبدقة. ولشـدة مـا كان متلهفا، كانت الاشـياء تتراقص أمام عينيه. ما ان يرى شبحا من بعيد، يتأمله وتداعب في أعماقه نسـمة أمل، يتعلق نظـره فيه يريد أن يوجد منه أملا، ولكن النسـمة سـرعان ما كانت تولي. ومن بعدها كانـت كلمة (لا يوجد)تثير اللوعة في نفسه.

بعد مرتين من الدوران حول نفسـه، جلس في موضعه بذلة. نظر في

ســاعته دون أن يعرف كم كانت الســاعة. انزل يده. وضع مرفقه الايمن على فخذه ووضع حنكه على راحة يده. كان ســاكتا هادئا جســديا ولكن كان في أعماقــه يتحرق. «العــودة الى القرية لا جدوى منها. وجود راع أو فلاح أو عابر سبيل أمل فارغ! اذن ما العمل؟!».

أزاح حنكــه من فوق راحة يده. كان فمه وحلقه قد جفا. مد يده الى زمزميته ورفعها الى فمه. شرب منها جرعة وأبقى جرعة صغيرة في فمه. تغرغــر بها لفترة تزيد على المعتاد. بعدها قذفها امامه باشــمئزاز وقال بصوت عال:

-ما العلاج؟!

شــخص بعينيه الى الجبل الذي أمامه. عيناه قــد توقفتا عن الرؤية لكنمــا عقلــه كان يعمل. «يجب أن أجد علاجا. يجــب الوصول في الوقت المحدد حتى ولو طرت.. أجل. ما قولك في أن أطير؟!».

بعــد ذلك التفت الى الجهة اليســرى ومعها بدأت عينــاه تريان. كانتا شــاخصتين نحو الاخدود. لم يركز عينيه عليه كثيرا. أشاح بوجهه عنه بســرعة. لم يشــأ التفكير به. قال في ســره: «من يقول انه سيوصلني الى الاعلــى! فرضا انه اوصلنــي الى أعلى، فمن يقول انني ســأجد في الجانب الآخــر دربا للهبــوط! لا أفعل.. يجب أن أجد مخرجــا يجعل من وصولي مؤكدا».

ظل حائرا. عصر فكره كثيرا وقلب المشكلة على عدة وجوه. لم يصل الى نتيجــة. عــاد الى الامل برؤية راع أو فلاح أو عابر ســبيل. نهض على قدميه. دار حول نفسه كرة واثنتين وثلاث ودقق النظر، بلا فائدة. عدل عن ذلك انعطف الى جهته اليمنى وصار يجيل الطرف عسى أن يجد أثرا. ذهب هذا الجهد أيضا ســدى. عندها أحس أن راسه يكاد ينفجر. جلس في

مكانه متربعا. لم يستقر في جلسته. مد ساقيه وانطرح على ظهره. شعر وكأنـــه يريد أن يغفو اغفاءة عميقة ويتخلـــص من ذلك العذاب الداخلي، ولكن لم يتسن له ذلك. كان في أعماقه يغلي. وفكره كان يناضل باحثا عن حل. «ما العمل؟! ماذا أفعل؟!».

ســؤاله هذا صار كشوك القطب ينغرز في صفحة دماغه، شعر ان رأسه ينتفخ ويثقل. أحس وكأنه في سبيله ان يهدر وينفجر كقنبلة. لم يحتمل اكثر من ذلك. قام وقعد. التفت الى الجهة اليســرى ونظر الى الاخدود في هذه المرة ركز نظره عليه. اســترخى. كان فكره في ســبيله الى الاستقرار علــى أن الحل عنده هو وحـــده. وكمن يريد توطيد الصداقة مع عملاق، نهـــض على قدميه ووقف قبالتـــه. نظر اليه من القمة الى القاعدة بدقة. قال في سره: «في الظاهر يعتمد عليه. انه مكشوف. انه عملاق بلا مشاكل. ولكن في الباطن، فانني مضطر. يجب ان اتركه للزمن. رغم اني لا اعتقد انه يخفي أي شيء في داخله. أراه بعين الغيب».

كان في تلـــك اللحظة هادئـــا تماما. بدأت عيناه تريـــان بوضوح. كان عقله وفكره يأمران بوضوح: «انه الحل الوحيد. من الافضل ان لا تتوقف عندها أكثر والا تضيع الوقت عبثا».

نظر الى ساعة يده. ثبت جعبته على ظهره. شد زمزميته في محزمه وشرع بالسير.

-٣-

[... خطـــوة الى الامـــام وخطوتان الى الوراء! يبدو أن هذا يحدث معي. عندما اضع قدمي هذه، والى أن ارفع الاخرى واتقدم بها، تنزلق هذه لتأخذ مـــكان تلك. انها حكاية الذبابة.. آمنت بالله يا هذا ونجني! كأنما اختيرت وجمعت بصورة خاصة وجيء بها بمئات الســـيارات القلابة وكدست هنا!

تــرى كم هو عــدد قطع الصخر هذه بالتخمين؟! عشــرة ملايين –كم؟! عشــرة- اراهن انها مئة واكثر.. انظر انت.. ثــلاث أثاف وقد تدلت على فوهــة الاخدود.. حســنا.. مئتا خطــوة في هذه الجهة ومئتــان في تلك. ولكن قل لي لماذا القيت نفســك في حبائله؟ كنت تســتطيع الدوران حوله وتجنب نفســك هذا المنزلق اللعين. ارايت كيف ان الطمع قد ورطك فيه؟ قلت انه يوفر لي ربع ســاعة في حين ها انه يخســرك نصف ساعة. هذه مازالت بدايتك. الله اعلم ماذا ستلاقي ايضا! ماذا تعني؟ اتريد أن تضعف معنوياتــي وأتراجع؟ لــن اتراجع. انه قرار قد اتخذتــه وانتهى. اتخذته مضطرا ولن أتراجع عنه. لابد أن أخرج منه وأنهيه، اين يولي؟ انه ليس ســحرا. انه منزلق وصخر. ها اني جربت السير في هذا ايضا. التجربة ان استعمل العقل معها تصير مدعاة للابداع. والابداع هنا استعمال الاطراف الاربعة. أجل.. هكذا! انني أنا الذي ســأغافله. خطوتان الى الامام وخطوة الى الوراء. القدم لا تثبت. لكنما الايدي والاصابع بامكانها المســك. اذهب. قد كسبت الرهان. اوصلت نفسك الى فوهة الاخدود. انك تعب جدا. ادري ان جســمك كله بدأ يتفصد عرقــا حارا لزجا.أدري. ولكــن لا تبال. من اللحظة هذه ستتســلق الاخدود. الصعوبة تبدأ من هنا. انك تتســلق من درب غير مسلوك. والتسلق من درب مثل هذا هو من نوع كسر طلسم يوم مطلسم. ان العم ابراهيم هكذا افهمك. انه رجل عجيب! انه امي عبقري. عبقريتــه تكمن في تجاربه الحياتية. عاش حياة ملؤها الاحداث والنوائب بحيث تجعل المرء محتارا. ها انني اعرفه منذ سنتين ونصف، اننا مراسلان نعمل سوية، منذ سنتين ونصف يحدثني بتسلسل ولم يزل لم ينته بعد. له مقدرة فائقة على روايــة الحكايات. يضعها في قالب الحكايات القديمة التــي كانت تروى حول مواقد النار شــتاء. لاحظت انه يحكيها لي فقط.

فما ان نلتقي في غرفة المقر ويحل الليل حتى يبدأ يسلسل الاحداث. ذلك يذكرني بالملا اسـماعيل. مقهى ضيق مطل على شـارع (صابونكهران). كرسـي ومنضدة في مكان عال في نهاية المقهى. كتاب كبير ذو حجم ضخم علـى المنضدة. داخل المقهى مكتظ بالنـاس وهم جلوس بانتظام. اطفال الحـارة مجتمعـون امام باب المقهـى. انا متخذ مكانـي في الصف الامامي منهـم. الكل ينتظر بحماس، يأتي الملا في الوقت المحدد ويعتلي الكرسـي. كلنا نعرف أين توقف. هو ايضا يعرف. انه يبدأ من هناك. في البداية يقرأ بهدوء. بعد ذلك يرفع صوته شيئا فشيئا حتى يصل فجأة الى قمة المنظر المؤثر. يضرب بجمع يده على المنضدة بشـدة فيفزع الجالسون جميعا، انا ايضا افزع. ولكن في اليوم الثاني اضرب انا ايضا بجمع يدي على صفيحة الازيـال التي امامي، فأفـزع رفاقي في زقاقنا. كانت تلك أياما حلوة. كنت الملا اسـماعيل بعينه. هو كان يقرأ في كتاب ولكني كنت اقرأ دون كتاب. ومن ثم كانوا يحملونني على اعادته عمليا. (قاله) بن (مام رسـول) كان يقوم بدور رستم. ترى أين أنت الآن؟! من الرستمية صار شرطيا وعندها لـم أدر ماذا حل بـه. عندما كنت امر احيانا من امـام دكان ابيه، كنت اسال عنه. ولكن لما مات ابوه، عندها لم اسمع عنه أي شيء. و (فهته) بن الاسـتاذ رحيم كان يأخذ دور زوراب. صـار زوراب بعدئذ رجلا مرموقا جدا، يقتل وينهب دون رادع. ولكنما اخيرا، طلقة واحدة بحجم نواة تمر انهت حياته. هذه الدنيا عجيبة جدا! (مچه كول) كان ينحني دوما. كان ضعيفا هزيلا جدا وفقـيرا. كان رث الملابس صعلوكا. كان خذاؤه الصغير يجلب انتباهنا اكثر من اي شيء آخر، فكنا نهزأ به من أجل ذلك. ولكن في النهاية صار ذلك الـ (مچه) بنفسـه مرشدا ودليلا لي. فجأة ضاعت آثاره. ولم يكن لاحد منا شأن به ليعرف ماذا حل به. سوى ان بعضنا سمع انه

وعياله قد انتقلوا ولم يبقوا في حارتنا. مرت ســنون وسنون. وبالصيغة التي بها افترقنا فجأة، هكذا التقينا ثانية. كنت في دوري في حراســة باب السجن عندما جيء به مصفد اليدين. في البداية لم اتمعن في محياه. كنت معتادا على ذلك. صيد آخر وقع في شــباكهم. ما لي وله. علي أن افتح له الباب وادخله الى الداخل ثم اغلق الباب. المدة ســنة وتســعة اشهر سلخت منها ســنة واربعة شــهور. ما لي وله. بقيت لي خمســة أشهر ثم وداعا. فتحت الباب واستدرت. في تلك اللحظة كان ظهره في مواجهتي. كان متجها بوجهــه الى الجندي المســلح الذي بجنبه ويخلع الاصفــاد من يده في تلك اللحظــة بالذات التفت نحوي وتمعن في. عندما وقعت عيناي على محياه مرت باحشــائي رعدة كطلقة بندقية. قدح معها اسمه في دماغي كالبرق. (مجه كول)! اظهر لي هو ابتســامة باهتة خافتة واشاح بوجهه عني. وانا قد انفرجت ابتسامة في أعماقي، فقلت: «هو ذا الدليل».

خلعت من يديه الاصفاد. اســتدار نحو الباب. بانت لي صفحة وجهه. شــعرت ان طرف عينيه متجه نحوي وابتســامته متجهة نحو الباب. كان علــى (مجه كول) ان يخطو نحــو الباب ويدخل لكنه لم يفعل بل ظل في الانتظار. عندها اتخذت قراري حالا. امسكت بكتفه الايسر وأدرته نحوي. لم يقل هو شــيئا، سوى ان الابتســامة كانت لاتزال على شفتيه، انا ايضا اقل شــيئا سوى انني ابتسمت بوجهه ابتسامة عريضة ورفعت عنه يدي. عندئذ اســتدار هو نحو الباب ودلف الى الداخل. ظل شــهرين ونصف ثم اطلق ســراحه. لم تثبت التهمة عليه. ومنذ الايام الاولى لحبسه احسست ان (مجــه) لم يعــد ذلك الـ (مجه) الذي كان في عهــد الطفولة. صرت في قناعــة ان اقــول ان الفرق بينهما كالفرق بين الارض والســماء. وعندما اطلق ســراحه، صرنا صديقين حميمين. وبعد ذلك صارت الرابطة التي

بيننا بالاضافة الى صداقتنا رابطة الآمر والجندي، والان وان كان الاســتاذ (خدر) لايقل بشيء، مع ذلك كنت ارغب ان اكون معه. ولكن الرغبة شيء وتنفيذها شـــيء آخر. انني الآن ارغب لــو انني لم اضع الدرب ولم اقتف هذا الطريق الجانبي. ليس باليد حيلة! وهكذا كان. ها اني صرت كالعنز. ها اني اســتعمل اطرافي الاربعة، ومن ثم استطيع الخطو الى الاعلى. حقا، انـــا عندما امعنت النظر فيه من الاســفل لم يكن يتراءى لي هكذا. انظر انـــت.. كأننـــي ارتقي مدرجا متهدما احدب. عندمـــا اصعد تلك الصخرة ساستريح قليلا. لا اســتطيع التنفس. غدا لساني في فمي كالمنشار. علاوة على ذلك هذا العرق اللزج. انه ليس عرقا لساني في فمي كالمنشار. علاوة علـــى ذلـــك هذا العرق اللـــزج. انه ليس عرقا بل صمـــغ. لقد صير ثوبي وســـروالي كلصقة (جونسون). مع كل خطوة، يلتصق على جلدي من هنا وينقلع عنه من هناك. ولكن الشـــيء الجيد انه لاينتف معه الشـــعر، فلا بأس والا غدوت كالدجاج الذي ينتف ريشـــه وهو حي. لربما كان مزعجا جدا وخاصة مواضع الشعر الخشن. حدثني الاخ (مجه) قال: مع نتف كل حزمة من شعر شاربي كنت أرى الجحيم بعيني، لانه كان يقلع معه قطعة من جلد شـــفتي وكان الدم يسيل جاريا الى فمي. ومع ذلك فان هذا النوع من التعذيب قياســـا مع التعذيـــب الحقيقي يقال فيه انه عفاوة. انني لم اذق لا العفاوة ولا الحقيقية. ولكني واثق من أن الذين يصمدون الى النفس الاخير ليســـوا اناســـا اعتياديين، لان موتهم غير اعتيادي تماما. حدثني العم (برابيم) قال: كان معنا في السجن ولد شاب شجاع رابط الجأش جدا. عندمـــا أدخلوه داخلا رأينـــاه وقد اخترقت رصاصـــة الجانب الايمن من صدره وخرجت من ظهره. كان الجرح مربوطا بمنديله. ربطه هو بيده. ظل اليوم الاول والثاني فقط طريح الفراش. وفي اليوم الثالث أخذ يمشي

وكانه لم يصب بشيء. كانت معنوياته عالية للحد الذي كنا نحن في دهشة من أمره. ولكن بعد ثلاثة اسـابيع عندما أخذوه للتحقيق معه، عاد بعد نصف ساعة فقط وهو منكس الرأس. قبع في زاوية ووضع رأسه في حجره وأجهش بالبكاء الحار. عطفت عليه كثيرا. ذهبت اليه أطيب خاطره. قال وهـو يجهش بالبكاء، دعني يا عم (برابيم). ليت الرصاصة قتلتني. لماذا لـم تقتلني لماذا؟! أجل. يظهر ان الصمود تحـت التعذيب الى آخر نفس، ليـس بمقـدور كل فرد وعلى الاخـص اذا لم يمنح وقتـا للراحة. انني استرحت استراحة جيدة. مذ ربع ساعة وأنا جالس. كفى. من الافضل أن اواصل السـير. ان صعود ما يبدو لناظري وما اشـاهده سهل. ولكني علي باسـتخدام يدي ايضا. لا بـأس. المهم هو الوصول الى الاعلى بسـاعتين.. بساعتين ونصف، أيضا جيد. لا اعتقد ان الذي بقي هو أكثر من ذلك. لن اتوقف بعد هذا. هناك.. فوق.. سأستريح استراحة جيدة. عندها في الهبوط سـأطير كالطير. الصعـود يقطع الصدر والحنجـرة. ولكن الهبوط يحطم الركب. انه سـهل. المهم هو أن اصل المكان في الوقت المحدد. مرات عديدة تعـرض صدري وحنجرتي وركبتي لمثل هذه التحربة. صار هذا شـغلي. المـرة الاولى فقط، تجربتي الاولى فقط كانت صعبـة جدا. عندما تركت (ئالان) وأمه وخرجت من البيت، أنا..ها؟! ولكن (ئالان).. (شهونم).. ترى انتما الآن ماذا تفعلان؟! ها أنذا اتسلق من درب غير مطروق جبلا وعرا. وأنتم؟! ماذا تفعلون؟! يا (شهونم).. اراك ترفعين غطاء القدر وتتذوقين طعم الطعام.. ترى ماذا طبخت؟! أكبدة بالحامض؟! آه كم أحب ذلك.. يا (ئالان).. بماذا أنت منشغل؟ تعال. تعال الى ابيك. تعال في احضان ابيك.. أنا؟ لا.. أبلغت لهذا الحد؟! حسـنا حسـنا.. يا (شـهونم) انني مستعجل سـأذهب. الم ينضج بعد؟! -متى لم تكن مسـتعجلا؟!- انني على عجل

وعندي شــغل- اصبر فترة اخرى. سأصبر. مازالت في الوقت بقية. المسألة مســألة (نەريمان) واستعجاله الفارغ الذي لامعنى له، يصدع نفسه دونما ســبب دائما ويصدعنا معه. كأنه جنرال يصدر أوامره الى جنوده وهو في حومة المعركة. بعدئذ ما ان تغير الجو قليلا حتى بان جراب فارغ. أجل.. مــع ذلك كان خيرا من (ئازاد) بن علي افندي. ذاك انســحب ووقف على الحياد، في حين هذا صار كالنار وراح يلهبنا. حقا ان الانسان لشيء عجيب. حسنا كان هذا بامكانه أن يفعل كما فعل ذاك. لا شوكا ولا وردا، لكنما لم يفعل كذلك. لقد صار شــوكا. لماذا صار شــوكا؟! غريب! كان المفروض ان الاستاذ (خدر) يقرر وجوب قتل (عەزه بن حاجي)، ولكن لانه كان صغير الســن لم يفعل وقال فقط: اذهب لتأخــذك اللعنة. اخذت اللعنة (عەزه) ولم يســتطع الصمود امامها. عاد وراح وضحى بنفســه ببسالة. كثيرا ما اسأل نفسي: أيمكن ان أبتلي في يوم من الايام؟! الجواب: قطعا لا. لا يتراءى لي ذلك. لا يخطر المنظر في خيالي وفكري. حسنا ما دام الامر كذلك اذن كيف يفعله اولئك، كيف يتعرضون للبلوى؟ قال صوفي: كل فرد يســتطيع فعل الحســنات وفعل السيئات. بالاحرى ان معظم الناس هكذا يتصرفون في حياتهم. ولكن اولئك الذين يفعلون الحسنات طيلة حياتهم ولا يفعلون السيئات قليلون جدا، وبالاحرى قلة نادرة. ترى أنا من أي الفئتين؟!

دعني أفكر. لا تفكر. المســألة معقدة. لا احد يقول: لبني حامض. ان صوفي ذاته قال: معظمهم يحســبون انفســهم من الفئــة النادرة، في حين ان معرفــة الفئة النادرة الاصيلة جــدا عمل معقد وصعب بحيث ربما لا تســتطيع الا القوة القديرة المعقدة غير المرئيــة ان تعرفها. كيف؟! القوة القديــرة المعقدة غير المرئية؟! أهكذا قال؟! أجل.. إنا واثق.. الآن تذكرت. أجــل أنا واثق هكذا قــال. في حينهاأردت أن أظفر به واســأله، ولكن جاء

حديث آخر ونسـي. هو جاء بحديث مما جعلني انساه. الآن اذكره جيدا. يــا.. يا.. يــا صوفي.. عند عودتي يجب ان يكون هذا اول ســؤال أظفر به منــك اول حديث لي معك. يجب ان تحدثني عنه. يا صوفي.. انت لســت خــادم جامع عاديا. من الجائــز جدا انك ايضا عابد الله من صنف جدي. عندما كان ابي يحدثني عنه كان يرسم أمام عيني صورة كصورتك انت.. مجددا غدا لســاني يابسا في فمي، وانغلقت حنجرتي وضيقت علي منافذ عبور الهواء الى صدري. ضاق صدري تماما. اشـعر بألم شــديد في قفصي الصدري. العرق اللزج الصمغي ازعجني واضجرني. ولكن لن استريح. قرار اتخذته ولا اتراجع عنه. ســأتوقف للحظات. اتمضمض بجرعة واشــرب جرعتين افتح بهما طريق حنجرتي، ثم اشــرع بالســير ولا اتوقف حتى ابلــغ القمة. هذا هو المطلوب. كلما امعــن النظر فيه أجدني مطمئنا بأن هــذه هي آخر قمة اعتليها ومن ثم انحدر الى الجهة الاخرى. ما دام الامر كذلك فاني أحسنت صنعا، اتبعني، اتبعني بشكل فظيع. لم يكن يبدو لي كذلك وأنا في الاســفل. ولكني ســانتصر. سأصل الى الغاية. التعب بالنسبة لي ليس شــيئا غير اعتيادي. روابطنا معــا قديمة وقديمة جدا. تعارفنا يعود الى ذلك الزمن الذي وضع فيه الحجر الاساس لوجودي. انه بالنسبة لي شــيء اعتيادي. ما ان اصل وأسلم الامانة حتى استلقي واستريح. حتى لو كنت في النزع الاخير، عندما انهض في الغد أعود وكأني جوزة ســليمة. كان (كاكه مچه) أول شــخص كشف لي عن هذه الصفة. كنت غافلا عنها. فاجأنــي ذات يوم قائلا: ترى أأنت صنعــت من لحم وعظام أم من حديد وفولاذ؟! عجبت وسالته: لماذا؟! قال: ألا تتعب انت قط؟! قلت: أجل.. كيف لا! قال: أين؟!. لا أراه فيك. بعدها امعنت النظر في نفسي عندها اتضحت لي تلك الحقيقة، ولكن، انها ليســت صفة رديئة. في البداية حدث عندي

نوع من الشك. قلت: ترى أليس ذلك نقصا فيّ؟! عندما قلت ذلك لـ (كاكه مجـه) ضحك مني وقال: قطعا لا.. هـذه صفة نادرة وهي موجودة على الاكثر فينـا نحن وفي امثالنا. ولهذا يجب أن تكون موضع افتخارك مثلما هي مدعاة لافتخارنا. يجب أن تكون موضع سـروك انت. انني الآن تعب جـدا. ومع ذلك حتـى لو فقدت كل قدرتي وسـقطت صريعا، فانني لن يكون لي حسـاب مع التوقف. ذلك الطريق اللعين، لماذا اضاع نفسه مني. لم أكن لاتعب الى هذا الحد. لقد اشـتد الالم في قفصي الصدري. هذا ليس بغريـب علي. انه جراء اللهاث الشـديد. ولكن ما القول في هذا؟! يبدو ان علي تسلقه باظافري! لا بأس. حتى لو سقطت فلن اتدحرج نحو الاسفل. ها ان تلك الصخرة سـتوقفني، بشـرط ان لا يكون فيها كسر ساق كالمرة السـابقة. انني كنت أحسـن حالا مـن نجم الدين. انه لـم يعد ابدا كما كان ذاك النجـم المعهود. يا لـ (عەبدوول) من رجل حمار. في مشـاجرته الكلاميـة معه قال له: لو كان ما آلـت اليه حالك في ميدان معركة لكنت تأكلنـا! اختنقت حنجرة نجم الديـن بالبكاء تأثرا. عيناي صارتا في قمة رأسـي. تناولت عكازة نجم الدين وقلت له لن تنجو روحك من يدي، فلم يدعوني. لقد أناله الاستاذ (خدر) جزاءه. اوجست شيئا من الخوف ولكن اليد والاظافر واصابع القدم كانت تتعلق بسهولة. هذه القصة ايضا انتهت. يظهـر انه لم يبق لي الكثير. وما تبقى يبدو للعيان بلا عقبات. ترطيب الفم وشـرب جرعة ماء صار ضروريـا. مازالت الزمزمية فيها الكثير من المـاء. انها تتسـع لقنينتين من المـاء حصل عليها لي (سـەروەر) بصورة خاصة. (سەروەر).. ان ظهري بك قوي. أعرف انهم ان لم يحرقوك بناري ويتركوك وشـأنك فانك تستطيع ادارتهم برجولة. عندما أعود أكتب لكم رسالة. منذ أمد لم ارسل لهم رسالة. سارسلها بوساطة الملا رسول. أجل..

هذا افضل. (عهبه) الاطرش موضع شــك. رغــم انه ليس لدي أي دليل، ولكن، اشــك فيه بعض الشــك. لا أدري لماذا؟! اعتقد اني اظلمه. لا أحبه قلبيــا. لربما كان ذلك هو الســبب، حســنا لماذا لا أحبــه؟! والله انه لامر عجيــب! لا أدري لماذا لا أحبه. ايه.. ماذا تقول: انه لكذلك! هذا هو الحال تجاه ذاك. في حين ان (بله) بن دمرويش كريم قد حل ذاتيا في قلبي. كنت قد أحببته كثيرا ولكن ظهر انه انســان سافل. لم أكن أنا وحدي، انما كان الاســتاذ (خدر) ايضا يخصه باحترام خــاص. زد على ذلك انه ولفترة لم يكــن ليصدق. ولكن لما صار الخبر عنده يقينا، اهتم كثيرا.. ترى كم صار الوقت؟! لا بأس. جئت بشــكل جيد. تلك هي القمة. لاشك انها هذه المرة هي نفســها. هذه ليست كالقمم الزائفة السابقة. السماء من جهتي صارت واســعة تماما. لم تعد لي حاجة لاســتعمال يدي وأصابعي. ها اني صرت اقف على قدمي لكأني أخطو على أرض منبسطة. ليست منبسطة، مرتفع بسيط. ولكني مطمئن تماما من انني أخطو صوب منبسط. ها انني أراه لا يزيد على أربعين أو خمســين خطوة أخرى. انتهى. زال الخوف. باطن الانســان عالم عجيب. فعندما كنت في الاسفل، ادلهم علي كأنما فيه تنور مســجور. في حين الآن صار وكأنه روضة نرجس. هناك كنت أرى نفســي في بوتقــة الحزن، هنا كأنك تقول ها انني الآن أو بعد لحظة أخرى اتربع على عرش الســلطنة. أجل.. عرش السلطنة.. ولم لا؟! ها أنذا قد أمسكت بعنق جبل يناطح السماء وتسلقته على درب غير مطروق. ها أنذا أوصلت نفســي الى أعلــى هامته. ها أنــذا خالي الفؤاد من أي شــك حول وصولي في الوقــت المحدد وأدائي الواجب المقــدس الملقى على عاتقي. ولكن حقا.. لنتحــدث الآن مع بعض بكلمتين. أنا لي عتاب عليك. لقد أتعبتني كثيرا، فلماذا فعلت بي ذلك؟! ها.. لماذا؟! دعك من الاجابة فلا يهمك. انني أجيب

عوضا عنك. لكي يكون الكسـب حلالا، ولكي يأخذ موقعه وأن لا أستغني عنـك الى الابد. اذن فأنت ايضا فرح لانني الآن اقف فوق هامتك. حيث انا جالس على قمة رأسـك، وبعد ذلك التعب المهلك سأستريح. حسنا اذن. انسـجمنا. اتفقنا. عفوا. لقد انزعجت منـك قليلا، وقد قلت فيك بعض الاقوال الرديئة في سـري. ولكن سامحني. اتسامحني؟ ها -شكرا. ترى كم تكون الساعة الآن بالضبط؟ لأرى.. حسن جدا. ملائم جدا. خمس دقائق او اقصاها عشـر دقائق اسـتلقي على ظهري، اتسمح لي؟ كيف؟ سأتأخر؟ لا، لا.. لا تخف. بسـلامتك سـأصل قبل الوقت. جهتك الاخرى سهلة. ها أنذا اراها. كنت اخشـى أن لاتسـمح لي بدرب للهبـوط. ولكن ها أن ذاك الخوف قد زال عن قلبي. اشـكرك. لو لـم يكن الامر كذلك لكنت أعرض عنك كثيرا. عفوك، ان كنت اقول مثل هذا القول، لأنني كنت سأضطر أن اقـول: يا لحظ الرجـل العادي. آه.. حقا انني أقول ما أقوله عبثا. الرجاء لا تؤاخذني. تعال لأقبلك. كيف؟ بماذا تفضلت؟ انهض لأشـرع بالمسـير؟ على العين. سـمعا وطاعة. الآن حالا. هيا انهض يا ولد. هيا، انهض وسر. الجبل.. حبيب قلبك الجبل يأمرك بهذا. اسـرع هيا. على العين. ها أنذا ماش.. أين؟ ما هذه الخطوات القصار؟ انما علي أن أكون على حذر. أخشى ان أتدحرج. اخشى أن يصبح غزلي انكاثا.. لا تخف. لايصير غزلك انكاثا.. انظـر انظر انت ودقق النظر. تمعن جيـدا. آه. ماذا أرى؟! انه الطريق.. الطريق!! هو نفسه! لقد وقعت على الدرب!!

١٩٨٠/١٠/٢٨

# الذئاب

**الزمهرير:**

احمرت المدفــأة كرة أخرى وبلغ ازيزها الأوج. لم يعد باســتطاعتهم احتمال الجلوس امامها فانســحبوا الى الوراء وابتعدوا عنها. عادت (ثايش) لتواصل خياطتها. راح الاطفال يلعبون. واضطجع (بارام) ومد ساقيه.

لــم يكن الزمهريــر زمهريرا انما كان بلاء من الرب. لا حســب أقوال (بارام)، دعك من أن (بارام) وطيلة الســت وعشــرين ســنة من عمره لم يتذكــر أنه قد رأى زمهريرا آخر كهذا، بل حســب اقوال شــيوخ القرية حيــث يحكى أنه قبل خمس وثلاثين ســنة هبت عاصفة ثلجية كهذه في المنطقة ولم تدع احدا حتى الاطلال برأســه خارجا طيلة خمســة عشر يوما بكاملها.

-لابأس!.. ان هذه قد مكنتني في اليوم الثامن أن أطل برأســي خارجا لمدة ساعة من الزمن.

انتهز (بارام) تلك الســاعة من الوقت وأوصل نفسه الى القرية. وقبل الخروج من البيت قال لـ(ثايش):

-حافظــي على الاطفــال. لا تدعيهم يضعون قدمــا حتى في الايوان. وكذلك انت أيضا لاتضعي قدما خارج الايوان.

عندما سلك الطريق، كان من الصعب عليه أن يخطو. ذلك الممر الرفيع الذي كان قد نشــأ نتيجة ترددهم على القريــة قد غطي بالثلج بارتفاع قامة رجل. ولكنه وهو الذي كان طيلة الثمانية أشهر الماضية اعتاد السير عليه كان من المستبعد أن يخطئ في موقع خطواته شبرا شبرا. لهذا لم تكن صعوبة نقل خطواته عقبة تجعل وصوله الى القرية أمرا خطيرا جدا.

كانــت القرية تعرف كونها قرية مــن خلال دخان مدافئها فقط، والا فلــم يكــن يظهر منها ما ينــم عليها، لا بحركة ولا بصــوت ولا بمنظر. وعندما ولج دار عمه، اطلت عليه براســها امرأة عمه من الغرفة وجاءت لاستقباله. ولكن عندما رأت اليه انه وحده، سألته بدهشة:

-وأين (ثايش) وأطفالها؟

تجاهل دهشتها وانزعاجها وقال:

-انهم في البيت.

-ولماذا لم تأت بهم؟!

-يا امرأة عمي انك تقولين شيئا عجيبا! هل هذا هو اليوم الملائم؟!

-وهل هذا هو اليوم الذي تبقون فيه في تلك الفلاة؟!.

في تلك اللحظة التي فيها طرقت سمع عمه اصواتهما، خرج من الغرفة. سأل هو أيضا باستغراب:

-ما هذا؟ ماذا حدث؟!

أسرع يرد عليه قائلا:

-لا شيء يا عماه.. لم يحدث أي شيء. كل ما في الامر نفد النفط منا، فانتهزت الفرصة وجئت لآخذ شيئا من النفط وأعود مسرعا.

مثل عمه كمثل امرأة عمه ولكن دون غضب قال بهدوء:

-اذن يــا ولــدي.. مثلما انتهزت الفرصة وجئــت، كان الاحرى بك أن

تجلـــب معك اطفالك بأية وســيلة كانت وتمكثوا هنــا الى أن تنجلي هذه المصيبة.

لم يجبه بأي شيء. سوى انه نفض ملابسه وظل واقفا ينتظر. عندها رمقه عمه بنظرة. أراد أن ينطق بعبارة أخرى ولكنه عندما رآه شــائحا عنه ببصره ولم يكن مصيخا الســمع له، استدار نحو الغرفة وخطا اليها. وقال أثناء ذلك:

-لاتؤخريه.. اعطه النفط وليذهب.

بعــد ذلك ذهبت امراة عمه وجلبت له غالونا من النفط وناولته اياه بصمت. وعندما القى على وجهها نظرة عجلى، قرا فيه عتابا وعدم رضى ممزوجــين بحزن. ولكن على عادته الســابقة، تجاهــل ذلك. أخذ غالون النفط من يدها وتراجع مسرعا يحث الخطى نحو البيت.

كانت عودته اسهل من ذهابه. قطع الطريق مهرولا سالكا دربه السابق الذي اخترقته وسط الثلوج. عندما وصل البيت، كانت لاتزال هناك بقية من الفرصة، فقالت له (نايش):

-انها لفرصة.. لماذا لاتذهب لتكسح الثلج عن السطح ايضا؟

استحســـن قولها. كان طوال الايام الثمانية الماضية يعتلي السطح ثلاث مرات كل يوم ليكسح الثلج وكان يلاقي صعوبات جمة، انها اليوم فرصة. وبعد تدفئة نفســه قليلا ســيذهب ليكســح الثلج براحة دون مصاعب، وســوف ينظفه بحيث لا يبقى ذرة ثلج فوقه، وســيحاول ابعاد الثلج عن حافات السطح أيضا.

كانت ســاعة من الزمن ثمينة لديه. ذهــب وجلب غالونا من النفط. ونظــف الســطح من الثلــج تنظيفا جيــدا حتى انه صــيره كرأس حلق بالموس.

عندهــا ما ان وضــع قدمه في الغرفة حتى جلس أمــام المدفأة ليدفئ نفســه ويســتريح. لم يمر الا وقت قصير حتى الريح صارت وكأنها تريد الاخذ بثأر تلك الساعة من الوقت مئة ضعف، فبدأت باعصار لكأنها تريد أن تلقي بثلوج وجمد كل الدنيا على المنطقة.

عندما رأت (نايش) ذلك، نمت منها صرخة وقالت:

-بارام.. ان ظلت الامور تجري على هذه الوتيرية ســيغدو من العســير علينــا ادخال الحطب الى الغرفة أيضا. من الافضل جلب ما يمكنك جلبه الآن الى الغرفة.

لم يستحســن قولها كل الاستحسان انما استحسنه بعض الشيء. ودون أن يقول شــيئا، ذهب وجلب ثلاث حزم جيدة من الحطب من الايوان الى داخل الغرفة، ثم قال لنفسه:

-تــرى ايمكن أن يغلقها الى الحد الذي لايمكنني فيه من الذهاب لجلب الحطب الى الغرفة ايضا؟ ان هذا يكفينا الآن.

لم تكــن (نايش) تعارضه كثيرا. مدت يدهــا ووضعت اربع أو خمس قطع مــن الحطب في المدفأة، فبدأت نارها تتوهــج. ولم يمر وقت طويل حتى بدأت المدفأة ثانية بالاحمرار ودب فيها الازيز. لم يبق بمستطاعهم المكوث امامها، فانسحبوا الى الوراء وابتعدوا عنها. ذهب بارام واستلقى ومد ساقيه. أشعل سيجارة وراح يسحب منها أنفاسا بلهفة.

بارام:

«.. لست نادما.. لست نادما قط. ريح عاتية، فلتكن! الى حيث! زمهرير أم لا، فــالى حيث! ما لي ولها! بالنســبة لي لا هــي عاصفة ولا عاتية. انها عندي امر طبيعي جدا. انحسب انها أعتى من العاصفة السابقة؟ قطعا لا..

قط لا! أقصى مافي الامر اذا ما ظفرت بك واعيتك، فهي بلا منة ستقتلك وينتهي أمرك. ولكن الاخرى ســتلقيك أمام زوبعــة من العذاب فتدفعك وتظل تدفعك حتى تسـقيك من الهموم ملء بحر ولا تقتلك! لست نادما. لا عاصفة عاتية فحسب بل ميتة قاسية بحد أنياب عاصفة عاتية أيضا لا تجعلنـــي نادما. ثم لماذا يذهب الفكر بي الى الموت؟! كم يوما آخر في نيتها ان تدوم؟ ثلاثة. خمسة. عشرة أخر؟ طيب.. ايمكن أن تدوم اكثر؟ اللهم الا اذا أرادت أن تدلهم تماما وتستمر الى عشرين أو اربعين يوما اخر؟ والا فالطحـــين متوفر عندنا. الرز والبرغل والعدس والحمص والدهن كل ذلك موجود لدينا. الســكر والشاي عندنا. كل ذلك لا لمدة عشرة ايانم فحسب وانما اي من تلك الاشــياء التي ليســت لدينا منها الا كميــة قليلة ومنها الســكر والشــاي، فانهما يكفياننا لمدة تربو على ثلاث عشرات من الايام. ســوى النفــط فان ما لدينا منه قليل جدا. فهــو ان نفد فعندئذ لا نوقد المصباح وانتهى الامر. ثم انني استطيع انتهاز فرصة والذهاب لجلب كمية اخرى منه. ولكني لن أذهــب، لن أذهب ثانية. صحيح عمي وامرأة عمي ليسا من الذئاب التي تمشي على قدمين. انهما من الفئة النادرة. مع ذلك لا الجــأ اليهما. تكفي مرة واحدة! أخشــى ان جعلتهــا مرتين ان تتحرك فيهما بضعة الذئاب فينحازان لذلك الصنف وأعود لشتم ولعن نفسي، تلك الشتيمة واللعنة التي جنبت نفسي منها ثمانية أشهر. لم أكن لاذهب حتى في تلك المرة، لكن (ثايش) هي التي اضطرتني. وللحقيقة ليس الاضطرار، اذ انهــا والحق يقال لا تحاول ابدا ان تضطرني أو تأمرني بعمل شــيء او تنهانــي عن عمل، ربما تضعني أمام الامر الواقع، كان كلامها في محله، اذ الفرصة كانت ســانحة، والاطفال كانوا ضجرين جدا من الظلام البارحة. تصور اننا قــد ذقنا الامرين منهم الى أن خلدوا للنوم. مع ذلك لن اذهب

تارة اخرى. الخطأ خطأي ويجب علي أن احتمله. لا أدري كيف نسـيت. و (نايش) أيضا تشـاطرني الخطأ، كان عليها أن تنبهني. هذا صحيح، ولكن كان علي ايضا أن استفسر. انه لكذلك انني انا الذي اخترت لها هذا النمط من الحياة. وأنا الذي كنت طيلة هذه الاشهر الثمانية قد عودتها الا أنسى أي شـيء. الا اغفل عن أي شـيء، وأهئ كل حاجـة في حينها. أجل ولكن مهـلا. أهي المرأة الاولى التي تعترضك مشـكلة كهذه؟! في كل مرة لابد لك من ايجاد حل لها. وهذه سـتكون كسـابقاتها. دعها لحينها. المهم هو انك قضيت ثمانية أشـهر كاملة في منتهى الاسـتقرار. ثمانية أشهر بعيدا عن الذئـاب وطبع الذئاب. أجل. أجل. في البداية عندما كنت تطرحها كفكرة من خلال أحاديثك داخل المجالس، كانوا يقولون: في الخيال شـيء جميل. ولكـن في العمل لاتتحقق قط. وعندما أردت تحقيقه عمليا، قالوا جميعا: انك قد جننت يا هذا! حتى ان اقاربي وفي مقدمتهم عمي وامرأته قالوها بصراحة: لقد اصابت عقلك لوثة يا ولد.. انه كذلك! دون زيادة او نقصان أصابت عقلي لوثة! سلام على الغافلين! فقط كان ذلك جوابي لهم. وذاك فيما بيني وبين نفسـي والا بالقول فلم أف بأي جواب. انني كنت واضعا بالحسـبان كل الاحتمالات. كنت أدري أنني لن أنجو من المشـاكل والاذى، ولكنني كنت أدري انها سـتكون من صنف آخر. والفرق ما بينها وبين ما يوجـد لديهم كالفرق مابين الارض والسـماء. ثمانية أشـهر كاملة وهذه هي المشكلة الكبرى والصعبة التي أواجهها. لو انني كنت هناك بالقرب من بيت عمي لكنت أمد يدي من فوق العريش الذي بيننا لاتسـلم أي حاجة نحتاجهـا. ولكن كان علـي أن تتلقى يداي ثلاث مشـاكل أصعب منها في مقابـل ذلك، لتلتف على دماغي. دع عنك بيت عمي وليكونوا هم خارج الموضـوع.. البيت الذي بجانبي هذا، وذاك الـذي في الجانب الآخر، وذلك

الـــذي في الطرف الاقصى للقرية! أجل. كان بالامكان معالجة علة من هذه الجهة، لكنما تلتف علي ثلاث علل من الجهة الاخرى. لا.. أبدا لا.. أنا..».

حوار:

قالت (نايش):

-ما هذا؟.. أنت نعسان؟!

انتفض. رفع رأســـه ونظر اليها. أحس فقط بصوتها لكنه لم يدر ما الذي قالته. اثناء ذلك اتخذ لنفســـه وضعية الجلوس دون أن يجيبها. أدار عنها بصره وأشغل نفسه بالمسبحة التي في يده. قالت (نايش) ثانية:

-ان كنت تشعر بالنعاس فدعني أو ظب لك الفراش.

عند ذاك فهم ماذا كانت مقولتها الســابقة. ظل في شـــك من نفسه لبعض الوقت. حســب انـــه كان قد غلبه النوم. ولكن ما ان القى نظرة ســريعة على الســاعة التـــي في يده وأجال ببصـــره في الغرفة ورأى أطفاله هناك منشــغلين باللعب، حتى قال باستغراب:

-نوم؟!.. اي نوم؟

ابتسمت له (نايش). غيرت مجرى الحديث وقالت:

-لاشيء.. لا شيء. هيا قم. قم وارتديه لكي أعرف كيف هو؟.

كان الذي بيده ســروال داخلي خاطته له. تســلمه منها وهو جالس. قلبه بين يديه. ثم نهض على قدميه وأخذ يقيسه على نفسه من محزمه وفوق سرواله. قالت (نايش):

-ليس هكذا.. ما لم تلبسه لا أطمئن

جلس ووضع السروال جانبا وقال وهو يبتسم:

-دعيه الآن حتى اذهب واجلو السطح، ثم أجلب عدة حزم من الحطب الى الداخل، ثم بعد ذلك.

-ثم بعد ذلك ماذا؟

-ينام الاطفال ونوقد المدفأة و..

-أجل ونجعل من الغرفة دافئة كالحمام و..

-ثم أخلع أنا القباء والسروال القديم و..

-ولا ترتدي السروال الجديد و.. اليس كذلك؟

-لا.. لا. من أجل أن اجربه.. سارتديه.

-هل للتجربة فقط.. ها؟!

بعـد تلك احتضـن احدهما الآخـر واطلقاها ضحـكات عالية. انتبه طفلاهمـا عليهما. فتركا اللعب وجـاءا وارتميا في احضانهما. ظل اربعتهم لمدة طويلـة متعانقين ملتصقين ببعض يقبل كل منهم وجه الآخر. ولما انتبها الى انفسـهما، وجدا الطفلين قد طالهما النوم كملاكين. فطن بارام لذلك اولا فقال:

-انهما نائمان.. هيتا انهضي ووظبي لهما الفراش وانقليهما اليه.

أسرعت (ئايش) بالنهوض. وظبت فراش الطفلين ونقلتهما الى مكانهما. وبعد ذلك مباشرة وظبت الفراش لانفسهما وذهبت واضطجعت عليه. مع اضطجاعها فتحت ذراعيها لـ (بـارام). ذهب اليها واحتضنها. أطبق ثغره علـى ثغرها وقبلها قبلـة لذيذة. ثم نهض على قدميـه على عجل. هيأ نفسه ولبس معطفه العسـكري. كبس طاقيته في رأس وتوجه يخطو الى الباب. ولكن (ئايش) انتفضت واقفة تقول:

-ماذا تفعل؟!

قال (بارام) وهو يبتسم لها ابتسامة تقطر حنانا:

-الى السطح.. يجب أن اذهب لانظف السطح. وعندما انزل سآتي بعدة حزم من الحطب الى الداخل.

كانت (ثايش) تعلم كم هو متعب ومؤذ تنظيف السطح في خضم ذلك الزمهرير فاكتسى وجهها بغمامة من الهم وقالت:

-الا يمكن تركه؟ دعه للغد الباكر.

-يمكن.. ولكني أخشى أن تنطبق علينا الدار.

-الهذا الحد؟

-لا أدري. أنـــا لم أر مثل ذلك بعينـــي. ولكنها نصائح الآباء والاجداد. وهو محتمل الوقوع.

-يصح ذلك على دار قديمة، لا على دار كدارنا.

-على كل حال.. ماذا أخسر؟

-كيف لاتخسر شيئا. أو لست أعلم انه نصف ميتة؟!

-الهذا الحد؟

-لا.. ولكن يعني..

-لا تهتمي.. ألا تعرفينني؟!

حينذاك خطا (بارام) نحو الباب وعلى شـــفتيه ابتســـامة بهيجة، ثم مرق خارجا.

## بوتقة الزمهرير:

ما ان وضع قدمه خارجا، حتى نفحت نصال من موجات رذاذ الريح الصرصر صحن خديه وجبينه وارنبه انفه ولسعتها. وقد كانت النفخة مفاجئة بحيث جعلته يتوقف للحظات أمام الباب. في تلك اللحظات مرت أقـــوال (ثايش) في ذهنه كبرق. ولكن ســـرعان ما انتبه لنفســـه وواصل

السير. شــعر وكأن قشرة رقيقة من الصقيع تتهشم تحت قدميه. عجب من ذلك كان منذ أن بدأ الزمهرير دائبا على تنظيف الســطح اما في اول الليل أو في ســاعات متأخرة منه. ولكن، هذه هي المرة الاولى التي يحس بهذه القشــرة من الصقيــع، حيث انه ومن وقت مبكر من بدء الشــتاء كان قد صنع من الخشــب والنايلون السميك ساترا واقيا وجعل فيه بابا صغيرا الى الجانب الايسر منه، ظن في البداية ان الحبل الذي أحكم به سد الباب قد انقطع أو ان النايلون قد تمزق من جهة ما فاندفع الثلج بفعل الريــح الى الايوان. ولكن عندما تقدم اكثر، لاحــظ انه لا هذا ولا ذاك، بل ان شــدة برد الزمهرير قد وصلت الى الحد الذي جعلت امواج الجمد تصــل الى داخل الايوان ايضا. عندها وعلى حين غرة ذهب به فكره الى رؤوس المعــزى الثلاث وحماره، حيث عندمــا نقلهن في بدء موجة البرد من زريبتهن القديمة الى الغرفة المقابلة لغرفتهم. رجع الى الوراء وذهب اليهــن. توقف أمام الباب واراد أن يفتحها ويطل برأســه ليطمئن عليهن فلــم يجد ضرورة لذلك فاســتدار وخرج من الايــوان. ومع فتح الباب اندفع تيار زوبعة داخل الايوان. اســرع بغلق الباب باحكام. أخذ كاسحة الثلــج يريد أن يخطو نحو الســطح فأعاده نباح ناعم من الكلب (بازه)، كان قد أطل برأســه خارجا من كوخه الصغير وكأنه انحبس بين الايفاء بواجب الوفاء وهجوم الزمهرير. لم يكن (بارام) بغافل عنه أيضا. فمنذ اليــوم الثانــي للعاصفة، كان قد صنع له ذلك الكــوخ الصغير في الجانب الآخر من الساتر النايلوني وجعل منه شدا له بوجه العاصفة.

انحنى عليه وجلس على عقبيه. مســح على رأسه عدة مرات بحنان بالغ وقال يحدث نفســه: «أدري انك تحتمل، وهذا المقدار يكفي لحمايتك مــن صولة الزمهرير، والا لكنت قد أخذتــك الى الايوان او حتى كنت قد

اخذتــك الى الداخــل معنا». ولما نهض على قدميه وبدأ الســير، شــعر ان (بازه) قد جاء الى الخارج يتبعه. التفت اليه وقال له:

-لا.. لا حاجة الى ذلك. لا تأت أنت. ادخل الى كوخك ولكن كن حذرا.. متيقظا.

مع كلماته تلك مســح كرة أخرى على رأســه ودفع بــه برفق. أدرك (بازه) قصده.. انسحب الى الوراء ودخل كوخه. وقعد على الارض منتصب الاذنين.. أدار له ظهره واتجه نحو السطح.

أكداس الثلج على الارض وزخم العاصفة في الجو، جعل من كل خطوة مــن خطواته خطى في بحر من القار والزفت. فمن جهة عندما كان يضع قدمه كان يغطس حتى المحزم الى الاسفل فتجعل خطوه امرا عسيرا. ومن جهة اخرى كانت الزوبعة تلفه وقطع الثلج تدور وتلف وتهجم على وجهه من جهاته الاربع. فلأي جانب يلتفت كانت تلسعه وتصيره كقنفذ سادر.

ان مجمل المســافة بين مقدمة الايوان والســطح في الاوقات الاعتيادية بــكل التواءاتها وزواياها، أي بدءا بالانعطاف نحو الاســفل باتجاه فســحة البيت المســيج، ومن هناك الى الداخل باتجــاه الصخرة التي جنب حائط غرفتهم، ومن ثم الدوران بجانبه حتى خلف الســطح الذي هو في الوقت الاعتيادي يرتفع بمقدار قامة انسان فقط، لا تزيد على الثلاثين خطوة. في حين صيرتها عليه بوتقة الزمهرير كتسلق جبل بالغ الوعورة.

عندما بلغ الســطح كان متجمدا تماما. كانت هذه هي المرة الاولى التي يجد نفســه فيها امام العاصفة ذليلا. كانت يده تكاد لا تمســك بكاســحة الثلج فكيف باســتعمالها وكســح الثلج بها، وهو غاطس فيه حتى الركب. تولدت في ذهنه فكرة مفاجئة أن يكف عن تنظيف السطح ويسرع ليولج نفسه في الغرفة. ولكنه أسرع ليقول لنفسه: «ويحك!. أتحسب انك تخشى

من ان تسـقط وتتجمد؟! لا يجوز حدوث شـيء مثل هذا. تتبقى آلامه، الآلام المفزعة في أنامل اليـد والرجل وارنبة الانف وصيوان الاذن! أجل.. عليك أن تحتملها! وما دام الامر كذلك، فاحتمل ولا تتوقف عنده!».

استمر ولم يتوقف. أعمل الكف والكتف والذراع بالثلج. لم يبق في قلبه هم كسـح الثلج. شـغله هم الخشية من السقوط في باحة الدار. لا الخشية من كون السقطة قد تؤلمه!. لا.. انما لو انه سقط فهو اما ان يذوق عذاب الصعود الى السطح ثانية أو أن يكف عن اتمام كسح الثلج عن السطح.

على كل حال فقد انتهى من تنظيف السـطح ولم يحدث ذلك الشـيء الذي كان يخشاه. عندها لملم بقايا قواه واتجه في ذات الطريق التي سلكها عند صعوده يجرجر نفسه نحو صحن الدار والايوان. وهو في الايوان، سمع صوت (نايش) تقول له:

-انفض نفسك من الثلج جيدا ثم ادخل!

## دمية الثلج:

عندما ولج الغرفة، كان منظره اقرب الى دمية الثلج منها الى انسان! في البداية كانت (نايش) غافلة عنه. كانت منشغلة بايقاد المدفأة له. وعندما التفتت اليه ورأته على تلك الحال، اسرعت قائلة:

-ألم اقل لك..

ولكن سـرعان ما ابتلعت عبارتها وانتفضت واقفة. ألقت عليه نظرة حادة لبعض الوقت ثم هرولت نحوه وقالت بجزع:

-بارام.. ماذا بك؟!

حاول اجابتها، ولكن فمه كان مشـلولا فلم يستطع ان يقول شيئا غير انـه اراها بارقة ابتسـامة ورفع يده الى طاقيته يريد نزعها عن رأسـه.

لـم تدعه يفعل. اجلسـته على الارض في جنب الباب. نزعت عن رأسـه الطاقيـة، وخلعـت له معطفه، كما خلعت حـذاءه ووضعته في ركن قرب الباب. ثـم انهضته وأخذته قرب المدفأة واجلسـته مسـتندا الى الجدار. ثـم هرعت الى المدفأة ولما وجدت نارها مشـتعلة بشـكل اعتيادي تركتها وذهبت الى حيث (بارام). لاحظت ان عدة قطرات من الماء قد علت جبهته وحاجبيه وأهدابه وهـي في طريقها الى الانحدار على صدغيه ووجنتيه، فأدركت بسرعة أن تلك ما هي الا قشرة رقيقة من الصقيع أخذت تذوب. تناولت منشفة وبدأت تمسح وجهه. وفي أثناء ذلك كانت تلحظ ان جفنيه تنطبقـان وعينيه تغمضان. سـرت في قلبها رعـدة مفاجئة من الخوف وحشرجة مختنقة بالبكاء وصاحت:

-باران.. أيها العزيز بارام.. ماذا بك؟!

تيقظ مـن صراخها. لملم قواه وفتح عينيه بصعوبة. وبصعوبة ايضا اعتدل وجلس. ولكن كم حاول ان يجيبها نطقا فلم يستطع ان يحر جوابا سـوى تمتمة. فاضطر هذه المرة ايضا ان يجيبها بابتسامة ضعيفة وصير نفسه في وضع الاتكاء.

تحركـت (ثايش) بسـرعة. حلت له حزامه مـن محزمه. نزعت عن قدميه اللفائف والجوارب وخلعت سـرواله الـذي كان وكأنه نقع في الماء. وجاءت بلحاف وبطانية. أرادت تغطيته بهما، ففطنت الى ملابسه الداخلية وقد كانت كأنها منقوعة في الماء. خلعتها ورمت بها جانبا ودثرته باللحاف والبطانية، ثم تركته وذهبت صوب المدفأة. كانت المدفأة قد بدأت بالزفير. وعندما كانت على وشك ان تستدير لتذهب جنب (بارام)، وقعت عيناها على الطاقية والمعطف وقد سـال منهما جدول صغير من الماء انحدر نحو الغرفـة، فخطفتهما ورمت بهمـا فحق الحطب ثم عادت راجعة الى جانب

(بارام) الذي كان في تلك اللحظات قد بدأ يستعيد قدرته على النطق فقال بشكل متقطع:

-ابعديني عن المدفأة!

حولـت مكانه عدة خطوات بعيدا عن المدفأة. دثرته جيدا وجلسـت ترقبه. ظلت فترة على تلك الحال. بعد ذلك انحنت عليه ووضعت خدها على خده. كان وجهــه قد بدأ يدفأ. اطمأن قلبها لذلك. ولكي تكون أكثر اطمئنانـا مدت سـاقها تحت الفراش والصقتها بسـاقه. لم تكن السـاق كالوجـه. كانت ماتزال وكأنها الثلج. مـرت بباطن قدمها على فخذه فما فوق فكان هو الآخر مازال كأنه الثلج. عندها تجردت من لباسها وحشرت نفسها في الفراش والصقت نفسها به بشدة، فأحست كأن كل ذرة من جسم (بارام) موسـى تحز جسـدها، ولكنها كانت تحتمـل آلام ذلك الحز برضا وتسعد به.

ئايش:

«.. قلت له لا تذهب.. قلت اتركه الى الغد، لم يسمع قولي، ماذا أصنع معــه! عنـاده ليس له مثيـل. اذا قال قولا لابد أن ينفـذه. لاجدوى من الحديث معه. في تلك الامسية عندما عاد، قال:

-ابدأي بحزم الاشياء!

لم أنبس ببنت شـفة، وفعلت كما اراد. كلما كان بامكاني هو أن أذهب لاحرض عليه أبي ليبذل معه جهدا آخر. قال أبي:

-مع أني أعلم ان لا فائدة من ذلك وسيذهب كلامي سدى، ولكن سأفعل من أجلك.

وأنا نفسـي كنت أعلـم أن لا فائدة من ذلك. انه كان قد شـرع ببناء الدار قبل ذلك بشـهر. واثناء ذلك بذل أبي وأمـي وكل الاقارب والمعارف

اقصـــى المحاولات، فلم يتراجع ولم ينثن. فماذا افعل اذن؟! قلت عســـى أن تؤثـــر فيه هـــذه المحاولة الاخيرة. ولم تنفع. زد على ذلك انه في رده على أبي قال فقط:

-يا عمي العزيز.. انني اودك من أعماق قلبي وارغب ان اسمع نصائحك، ويهمني جدا ان لا يتألم قلبك مني وان لا تنزعج مني ولكني ارجوك ان تعفيني من هذه المسألة والتي لايمكنني ان اطيعك واندم على قراري. هذا قرار قد اتخذته منذ زمن طويل وها اني الآن انفذه.

ابـــي كان قد ادرك منذ زمن بعيد ما الـــذي كان ينويه وماذا يبتغي. ومـــع ذلك حاول محاولة أخيرة لاخراجـــه واقناعه. في اجابته عن اقواله تلك قال:

-جيد.. جيد جدا. ولكن دعني أنا لاسألك سؤالا:

بعد ذلك لاذ أبي بالصمت، أما هو فقد كان متلهفا لمعرفة الســـؤال قال في الحال:

-تفضل.. تفضل يا عم. أنا راغب جدا أن أعرف.

قال أبي:

-ترى هـــل لم يذهب بك الفكر قط بأن قضيتك لها علاقة مباشـــرة بثلاثة آخرين من البشـــر.. بطفلين صغيرين وامـــرأة. والذين مثلما هم اطفالك وامرأتك، هم ايضا ابنتي وأحفادي؟!

صمت (بارام) تجاه الســـؤال. ثم رفع رأســـه ونظر الـــي والى الاطفال. بعدها نظر الى أبي وعاد ثانية للصمت. فأنا من جانبي انفطر عليه قلبي وشـــعرت بالضيق. ركزت نظرة ملؤها الرجاء على والدي. أدرك أبي ذلك بســـرعة. نهض واراد تركه دون ان يتلقى جواب سؤاله ويذهب. انتبه هو اليه. وقف على قدميه. قال بصوت ملؤه الاسى:

-يا عم.. اذا كنت تفضل بأن هؤلاء..

لم يدعه أبي يكمل عبارته، قال:

-لا.. لا أفضل ذلك. انتهى. أنهينا الموضوع. اذهب والله معك. سوى كن حذرا عليهم. ولا تغفل عنهم لحظة.

استحسنت قول أبي. في تلك اللحظات كنت أخشى أن يقول أبي: «أجل.. افضل ان تدع (ثايش) والاطفال هنا وتذهب أنت وحدك لخلوتك الملعونة». فلم يفعل. الحمد لله لم يقل تلك الكلمة ومن ثمة انتقلنا الى هنا في اليوم التالي مباشرة. آه، حقا، وأين هو الجانب غير المستحسن في ذلك؟! أشهد بالله لا شيء! لو استثنينا هذه الايام الستة أو السبعة والتي ازعجتنا العاصفة العاتية قليلا والا كنا وكأننا في الجنة نعيش. طيلة تلك الاشهر الثمانية السابقة ماذا كان ينقصنا؟! عيشة بلا مشاكل ونزاع وما يصدع الرأس. لا لأحد شغل بنا ولا لنا بأحد شغل. ومتى ما اشتقت الى أبي وامي وأقاربي، فالطريق لا تعدو اكثر من ربع ساعة وبسهولة كنت أذهب مع اطفالي وأعود. لهذا ادركت سريعا ماذا يريد (بارام) وما الذي يهدف اليه. لذلك غدا بي الامر ان يكون مجيئي الى هنا مستحسنا عندي اكثر منه. والآن أيضا فلتكن لا ريحا صرصرا بل حجر وصخر انما لا يدوم الى زمن قالوا بلى. افرض انها دامت ستة أيام أو سبعة أيام اخرى. لا بل افرض ضعفها، نحن لا ينقصنا شيء. كل شيء متوفر عندنا وقد حشرنا انفسنا في الغرفة، ولا نطل برؤوسنا خارجا الى أن تنتهي. علي جلب الماء، وكسح الثلج عليه، هذان هما اللذان فيهما شيء من المشقة والا فلتمطر حجرا! ليت النبع كان أكثر قربا من هنا. ما ضر لو انه كان على بعد عشر أو خمس عشرة خطوة الى الشمال. ما كان ذلك ليكون كفرا. لو كان كذلك لكان من السهل علي ايصال مائه بجدول الى داخل الدار. الآن علي

الذهـــاب اليه قاطعة اربعين أو خمســين خطوة. ولــو لم تكن هذه الريح اللعينة فان الاربعين أو الخمســين خطوة لاتعد شيئا ابدا. ثم انه قال لي حول ذلك أيضا:

-ان ذهابك وايابك الى النبع عبث. ها هو الثلج وفير، اذيبيه واستعملي ماءه.

لــم اقتنع بكلامه لاول وهلة. ولكــن عندما طال أمد الريح الصرصر صرت مضطرة أن افعل ذلك. وذلك لا من أجل الشرب. ان طعمه في الشرب غير مستســاغ ولا بد أن أذهــب الى النبع لجلب الماء. ثم ان ذلك لا يتطلب اكثر من ذهاب لمرة واحدة فقط. ترى أن..».

## التمتوعة:

سحب (بارام) نفسه الى الاعلى من تحت الفراش وصار في وضع الجلوس واتكأ. وانتبهت (ثايش) معه وفعلت مثل ما فعل وقالت أثناء ذلك:

-أدفئت؟

-جيد جدا.. كأنني ما كانت ذلك الـ (بارام).

-الــم أقل لك اتركه الى الغد؟ كنت أدري انها لم تعد بالامكان أن تطل برأسك خارجا.

-أتحسبين انني لم أكن أدري؟! أنا أيضا عندما وضعت قدمي في الجهة الاخــرى من الايوان، شــعرت انها تختلف كثيرا عمــا كانت عليه في المرات السابقة.

-كان عليك التخلي عن ذلك وتعود الى الداخل.

-لم يكن ممكنا.. ان ذلك قد ثبت في ذهني من الطفولة وانتهى. كنت أخشى انهيار البيت علينا.

سكتت عنه (ثايش) ســوى انها لفت ساقها بساقه ووضعت رأسها على صدره ولاذت بصمت مطبق. وبعد فترة من الصمت قال (بارام):

-هذه المرة قد مرت بسلام. أخشى أن أضطر للذهاب في منتصف الليل ايضا لكسح الثلج عنه.

-لن تذهب ولن تخطو خطوة الى الخارج.

قالت (ثايش) عبارتها تلك بشيء من الغيظ ممزوجا بوعيد. فاضطر هو أن يضحك لها، ومسح على رأسها بحنان وحب كبيرين. ثم قبل جبينها وثغرها وقال:

-لن اذهب.. الى جهنم. لن اذهب. ليحدث ما يحدث فالى حيث!

بعد ذلك ســحب نفســه من تحــت الفراش. نهض واقفــا وذهب نحو المدفأة. كانت نارها على وشــك الخمود. اســتدار نحو الحطب. وجدها قد تناقص. ترك المدفأة. ارتدى سرواله ووظب نفسه قليلا وقال:

-سأذهب لأجلب بعض الحطب، وأنت أوقدي المدفأة

وذهب هو ليجلب الحطب. نهضت (ثايش) من جانبها وأسرعت بايقاد المدفأة، بينما انشغل هو بجلب رزم الحطب. وعندما جاء بالرزمة الرابعة قالت له بصورة اعتيادية:

-كفى..

وكأنه لم يسمع ما قالته، انطلق الى الخارج وجاء برزمة اخرى. وضعها وانثنى ليخرج. صاحت به:

-كفى.. ماذا تفعل؟!

القى عليها نظرة وقال لها بابتسامة:

-لا، لن يكفي. فليكن دفعة واحدة. ثم خرج مسرعا.

عندمــا جلســا متقابلين لوحديهمــا، كانت المدفأة قد بــدأت بالزفير

وامتلأت الزاوية القصوى من الباب بأكداس الحطب. قال (بارام) بسرور:
-الآن، آن أوان ((التمتوعة) تماما، وستكون لك منها منافع!
أطلقت (ثايش) ضحكة. جاءت بالتمتوعة مبتهجة ووضعتها بين يديه.
صحن مليء بالزبيب والجوز واللوز. شرعا بالاكل سوية. نظر (بارام) خلال ذلك الى الاطفال وقال:
-هل اعطيتيهما حصتيهما.
قالت (ثايش):
-لا والله.. كان ذهني منصرفا اليك. نسيت أن اعطيهما وهما لم يطلبا. أتدري بأنني خرجت ثلاث مرات واطللت برأسي من باب الايوان خارجا؟ ثم عندما كنت اطمئن عليك من خلال خشخشة كسح الثلج، كنت أعود الى الداخل.
-أكنت تخافين؟
-كثيرا!
-مم؟.. اخشية من أن يكون قد أكلني ذنب؟!
-اجـل.. ولكن ذئب البرد. كنت على حق اذ قد تأخرت كثيرا. ثم اني عندما اطللت برأسـي لاول مرة خارجا، نهشـني ذلك الذئب المسعور عدة نهشات في وجهي. عندها أخذني الخوف عليك تماما.
وفي الحقيقة أنا أيضا بدأ الخوف ينتابني شيئا فشيئا من أن اتجمد ولا استطيع ايصال نفسي الى الداخل وتظلين أنت بانتظار عودتي.
قالت (ثايش) بشيء من المزاح والملامة:
-ايه ايه.. هكذا. أتعني أنك قد وسـوس اليك بأنني لن أسأل عنك ولا أهتم بك؟!
احتضنها (بارام) وطوقها بذراعيه وقال ضاحكا:
-حاشا لله.. حاشا لله. لم أقصد ذلك. لماذا تذهبين هذا المذهب؟

أرخت (ثايش) نفسها في حضنه وقالت متضاحكة:

-انني امزح معك. ولكن في الحقيقة كدت في المرة الثالثة ان آتي لانزلك قسرا.

بعد ان استمتعا بأكل التمتوعة، نظر (بارام) في ساعة يده. كان الوقت قد بلغ الحادية عشـــرة. التفت الاطفال. كانـــا في عز نومهما. دنا منهما. أمعن النظر فيهما. قال يحدث نفسه:

-لا شـــأن لهما بشيء ولا يهمهما أي شيء. عســـى الدنيا ان تنقلب راسا على عقب فما شأنهما؟!

و (ثايش) من جانبها علقت وكأنها تحدث نفسها أيضا:

-سعدا لهما.

انحنى (بارام) عليهما. قبلهما بحنان. تركهما وعاد الى (ثايش) وأخذها بحضنه قائلا:

-اطمئني. سأحيطك بجنينة. كيف الذي فعلته حتى الان ما هو الا الاساس. انني أدرى بالذي يدور في ذهني وكيف احققه. فلينقض الشتاء وعندئذ سترين كيف اشمر لها عن ساعدي. انه حلمي القديم وقد حققته.

الحلم:

«..نبع ينبع من تحت شـــجرة جوز. في الشمال منه ساحة تتسع مكانا لـــدار واســـعة. باحتها تصلح ان تكـــون حديقة جميلـــة مزدانة بالاوراد والرياحين، وبالاشـــجار المثمرة ايضا بحيث لا اكـــون محتاجا الى ثمرة ما آتي بها الى بيتي، ســـواء كانت مشمشـــا أو تفاحا أو اجاصا أو ايا من ثمار الاشـــجار الموجودة في بســـاتين القرية. ثم في الاســـفل منها قطعة ارض لا تزيد عن الدونم الواحد. وماء نبع مســـلط عليها يمنة ويســـرة بحيث لا

احتــاج مطلقا الى البامياء والباذنجان والقرع والطماطم والخيار والخضر سـوى ما في بستاني، وان لايدخل بيتي أي شيء من بستان آخر. كذلك أن تكون في جوارها سـواء من هذه الجهة او تلك، قطعة ارض زراعية ديمية لا تتجاوز الثلاثين او الاربعين دونما بحيث تكفي لزراعة ما نحتاجه لعام من الحنطة والشـعير والعدس والحمص والماش، وما زاد ابيعه او بالاحرى اقايضه بالسـكر والشـاي والقماش وما نحتاجه من الاشـياء الاخرى من متطلبات المعيشـة. ومعلوم من أجل الحصول على الحليب واللبن والجبن سـأحتاج الى خمسة او سـتة رؤوس من الماعز والاغنام. ولاشك انها سوف ترعى في حدود مملكتي الواسـعة بشـكل افضل من كل ما لدى الاخرين وانها سـترعى سائبة. ولكن يا ترى هل من الافضل ان تكون مملكتي ذات سياج او بلا سياج؟ اعني هل ادع الغريب يضع فيها قدما ام لا؟ يبدو انني عند الضرورة واحيانا فقط من أجل بيع او شـراء، سـأطرق القرية. والا فلـن اذهب مطلقا. انا هكذا. ولكن ماذا لو ان مسـتطرقا طرق مملكتي؟! كيف يكون ذلك؟ ايصح انه امنعه؟ انه لمن الصعب! ايصح انه عندما يقف امـام باب داري ويقول: السـلام عليكم، اقول له لا عليك السـلام واذهب الى حيث؟ ان ذلك صعب جدا. في هذه الحالة سـأكون انا متوحشا وشرسا وحيوانا وهم بشر. لن افعل. لن افعل هذا. اقول له: وعليك السلام وعلى العين، تفضل وشـرفنا. عند ذلك اقوم له بالواجـب اعتياديا، ثم اودعه ولتصحبه السلامة. ثم ان ذلك لا يحدث كل يوم أو في كل وقت وساعة. فان حـدث ذلك فانه ضريبة يجب أداؤها وأنا مضطر على ادائها. ولكن. ولكن تمهـل. وماذا بعد؟ ولكن ماذا لو انهم تجـاوزوا الحد.. ماذا لو انهم رأوك وقد صنعت لنفسك جنة وذاعت اخبارها في المنطقة وجاء اناس لايعدون ولا يحصون، راغبين في الابتعاء عن الجحيم الذي هم فيه ليسـتريحوا في

جنتك، وصاروا يتوافدون عليك زرافات فماذا تفعل؟ الظاهر لاشيء. وكما يقال: غزلك يعود نكثا، وجنتك تصبح جحيما. أو كما يقول المثل الشعبي (جيب ليل وخذ عتابه). ومادام الامر كذلك عندها ليس من الصعب علي أن اقول: لا عليكم السـلام. أجل.. هكـذا أفعل. لا أدع احدا يضع قدما في مملكتي. أصنع له سـورا. أجعل خحوله سورا اشبه بأسوار القلاع القديمة أنا لا أدع جراثيم القتل والنهب والكذب والمكر والظلم والطغيان تعشعش في مملكتي. انني شـارد من هـول اعمالهم وافعالهم تلـك. انتحي العزلة انا واطفالي وعيالي، فكيف اسـمح بهـذه الجراثيم التي لاتعد ولا تحصى أن تأتـي الى مملكتي؟! متى كان ذلك عمـلا صائبا؟ الكونه عيبا ان اقول (لاعليكم السـلام) اذهبوا الى سبيلكم، احول الجنة جحيما؟ أهم يتجنبون العيب لكي اتجنبه أنا؟! أي منهم تحسبه ممن له الصدارة في الفضيلة يبدر منه يوميا الف عيب وعيب في حين عندما يضع رأسه على الوسادة تحسب انه لم يأتي شيئا اذا. وأي منهم تعده ممن له الصدارة في الفضيلة، مع كل شـهيق من انفاسه يمتص اكداسا من المساوئ لينفث مع كل زفير كدسين. يعني من هنا ادعه يأتي ليستنشـق الهـواء النقي من مملكتي ومن هناك ينفث افتين من جراثيم الاسـاءة علي؟! لا.. مطلقا لا.. لن أفعل. سيكون هذا في حينه قرارا قطعيا ولا يمكن ان يترك».

بارام:

«..صحيـح انني لم احقق مآربي كما كان في ذهني. فالنبع ليس تحت شـجرة جوز، بل هـو في مكان اجرد قد بذلت معه جهـد (فرهاد) حتى جعلت منه بلبل ابريق جحا. والدار ليست بذاك القصر الوسيع، انما فيها غرفتان وايوان طيني ضيق. وباحتها ليسـت مزدانة بالورود والرياحين والاشـجار المثمـرة، بل هي لا تتجـاوز موضع بيدر وحولها سـياج مليء

بالثغرات. والدونم الذي في أسفل النبع لم يعد سوى ثلث دونم. والدوانم الثلاثون او الاربعون الديمية هبطت الى عشــرة دوانم فقط. لا ابدا، لا.. لم يكن الخطأ من عمي. انه والله يشهد قد قال: اي مكان تستحسنه اذهب واختره حســب رغبتك. اي من الذي نملكه اشــر اليه وســأقول لك خذه وعلــى العين. ذاك مــا قاله هو، وانا الذي اخترت هــذا المكان.. ولكن ماذا تقــول عندما لم يكن في الامكان اكثر من ذلك. حاولت ان اســتبدلها مع ابناء العم (وســوو) بنبع (مامزاني)، اذ انه هو الوحيد الاحســن بالنسبة لــي. ولكن لــم يجد معهم نفعا فلــم يوافقوا. كان (وميســه) هو الوحيد الذي كان يفهمني ماذا اريد. وقد قال لي: انني اوقع لك باصابعي العشــر واكون بذلك ســعيدا. بذل لي جهدا كبيرا مع اخوته ليوافقوا فلم يفعلوا. والحديث في ســرك انه من النوادر. اعرفه منذ الطفولة. طيلة دراســتنا وحتى انهائنا اعدادية الزراعة كنا سوية. انه لا نظير له في الوفاء للاخوة. عم بخير يا (وميســه).. كنت تقول وتكرر القول بان الذي اقوله ما هو الا محــض خيال ولا يمكن لاحد ان يحققــه عمليا. في البداية كنت تجيبني ببساطة تامة وكنت دائما احرجك حتى انه في بعض الاحيان كنت تغدو على وشــك ان تمهر على ما اقول ببســاطة. ولكن عندما وقعت في شرك السياســة- والعياذ بالله- صرت لي فيلسوفا وتعلمت الاتيان بالحجج بشكل صرت بعدها انت الذي تحرجني. ولذا لم يكن ليبقى لي من مفر ســوى الاعتماد على الســر العظيم الذي في فــؤادي.. على النار المتأججة التي في باطني والتي لم تســتطع انت ان تفعل شــيئا ازاءها فكنت تتهرب منها. عم بخير يا (وميســه) انك الآن كادر حزبي غارق الى الذقن في السياســة، وأنا منزو وشــارد من المجتمع الذي تحســب انك ستصلحه بالسياسة! انك من نوادر الناس. من حســن الحظ، انت لا شــخص آخر غيرك، قد كنت

اول شخص يطرق مملكتي. لقد اضطررتني لا بل من الافضل القول انك اقنعتنـــي بالتراجع عن قـــراري وابداله. صرت اول شــخص جئت وقلت (الســلام عليكم). كانت تلك اللحظة بالنســبة لي صعبة و محرجة جدا. وضعت اللســان الذي في فمي وذاك الذي في باطني ازاء صراع بالغ الحدة. لم أحر جوابا. فانت انهيت الصراع بابتسامة ماكرة وقلت: قل واحدة من الاثنتين.. اما (عليك السلام) فأتقدم لاجلس. أو (لا عليك السلام) فأرجع القهقري واعود قافلا.

(وهيســه) أنت ايها الابليـــس! كيف لم تنس هذه الـ (عليك الســلام) والـ (لا عليك الســلام) التي هي مقولة حلمي؟! أو مادمت كنت على علم بقـــراري ذاك فكيف جئـــت اذن؟! ولكن لا.. لا. انـــك ابليس. خاصة من ذلك الوقت الذي شـــرعت بالسياســـة كنت تعرف بالتأكيد أي جواب سأرد بـــه عليك. أكنت تظن اني اقول لك: لا عليك الســلام، اذهب واغرب عن وجهي؟! يا (وهيسه).. الكلام في سرك، انني ارغب جدا أن تزور مملكتي في أوقات متقاربة لنجلس ســوية ونتحدث بكلمتين. لاحاديثك وقع في قلبي فهي تعجبني.

في المرة الســابقة حينما جئت لم أفهم منك سوى أنك قلت لي: أبارك لك. وعندما ذهبت قلت: لأرى كيف ســتدبر أمورك. لماذا؟ أكنت تحســب انني لن اواصل تدبير الامور؟! كم أكون مســرورا لو أن الآن يطرق سمعي وقع أقدامك، واســمع ندائك تقول: يا.. يا (بـــارام).. ايها الطوبائي، افتح لـــي الباب. ها أنذا صديقك القديم قادم لزيارتـــك. ها اني قادم لنتحدث عن خيالاتك المليئة بالعجائب والغرائب. ولكن.. أين أنت يا (وهيسه)؟! ما الذي سيوصلك الى هنا؟ اللهم الا أن يصدر حزبك لك الاوامر، فذلك جائز. ان أمـــر الحزب عند أمثالكم لا مرد له. غريـــب! عندما يقول لكم موتوا

تموتون! والله انه لعجيب! لا.. لا.. ليس عجيبا جدا. أو لست أنا أيضا لدي حزب؟ أو لست أحكم به مملكة أيضا.. يا..».

بازه

-بارام.. يا بارام. هل أنت نائم؟

-ها.. أنا!.. لا.

-اتسمعه؟!.. (بازه).

صحـــا بارام تماما. أبعد يده عن (نايـــش)، واتخذ وضع الانتباه التام. كان (بازه) ينبح بمنتهى الحرص والغضب.

-نباحه ليس دونما سبب! لابد انه وجد شيئا ما.

قال ذلك ونهض على قدميه. هيأ نفســه وتناول معطفه وارتداه. لف كوفيتـــه حول رأســـه ورقبته وهرول نحو الخـــارج. وقبل أن يمد يده الى مزلاج الباب استدار وذهب ليخطف مسدسه.

خـــرج من الغرفة بســـرعة وانتهى الى قرب الســـاتر النايلوني. لاحظ (بـــازه) وقد خرج من كوخه وذيله منتصب وهو ينبح نباحا لكأنما الآن او بعد قليل ســـيهاجَم ويهاجِم. وما ان وصل الى خلف الســـاتر النايلوني حتى شعر الكلب به سريعا ونظر عدة مرات الى الخلف وهو ينبح. استدل مـــن ذلك على وجود شـــيء ما. فتح باب الســـاتر النايلوني وخطا خطوة الى الخارج. وما ان خرج حتى أخذ (بازه) ينبح بشـــكل أشـــد وتقدم عدة خطوات ايضا. ولما نظر باتجاه نباح (بازه)، لاحظ عدة أشـــباح تبدو من بعيد من خلال الثلج. كانت تتحرك بشكل ملتو متشابك فقال في نفسه:

-يحتمل أن تكون ذئابا.

حاول أن يعدها. لم يكن ذلك عســـيرا، اذ لم يكن الثلج آنئذ يتســـاقط فكانت تلوح من خلال الثلج سودا.

-انها اما سبعة او ثمانية. ليس أكثر من ذلك.

-بارام.. لماذا خرجت؟.. ما الامر؟

كانت (ثايش) مطلة برأسها من باب الغرفة تناديه. هو لم يجبها في الحال. عاد الى داخل الايوان وقال بهدوء:

-عدة اشباح أراها من بعيد. يحتمل انها قطيع من الذئاب. لا تخافي ادخلي انت كي لا ينالك البرد. أنا و (بازه) سنعالج امرها.

جفل قلب (ثايش) وقالت:

-أقطيع من الذئاب؟ أأنت واثق؟!

-اجل.

-كم عددها؟

-سبعة او ثمانية

انزعجت (ثايش) قالت:

-ماذا ستفعل؟! ماذا تنوي؟!

-لا تجعلي ذلك غائلة عليك. اذهبي الى الداخل ولا عليك!.

ادخل (ثايش) الى الداخل واغلق الباب دونها وخرج هو. أسكت (بازه) ولـزم هو الصمت. لم يمض وقت طويل حتى تقدمت الذئاب. لم يطق (بازه) صبرا. عاود النباح واندفع للهجوم. الا انه وبعد عدة خطوات تسمر في مكانه مستمر على النباح. عند ذلك وقف (بارام) على قدميه. وجد ان قطيع الذئاب قد اقترب تماما ولا يجفل من نباح (بازه). اسرع في وضع اصبعه على زناد مسدسه. صوبه نحو اقرب الذئاب اليه. وعلا صوت الاطلاقة. الا انه لم يصبه. ولكن قطيع الذئاب تشتت ولاذ كل واحد من افراده بالفرار الى جهة ما. توقف وانتظر حتى غابت جميعا عن ناظريه. ثم انسحب الى داخل الايوان. وبعد احكام غلق الباب، دخل الغرفة. سألته

(ثايش) في الحال:

-ماذا فعلت؟

أجابها وهو يضحك قائلا

-لم اصبه.

-اكان بعيدا بهذا الحد؟

-لا والله.. ولكن يبدو انني لست هدافا.

-لا حاجة لـ (لكن). لست هدافا هذا مسلم به. أخشى انك لم تشأ اصابته! والا فان ذئبا بهذا الحجم والضخامة وبهذا القرب فكيف لا يصاب؟

-أجل. ماذا نريد نحن؟ هزيمة الذئاب وابتعادها عنا. أو ليس بهذا القدر؟ ها أنها فعلت ذلك. فلتذهب الى داخل القرية ولتمسك بتلابيب رفاقها الذئاب من ذوات القدمين.

اطلقها الاثنان ضحكة عالية. قالت (ثايش) ضاحكة:

-وأبي وأمي.. واخي و..

-لا.. هم لا.. عدا اولئك.

جلس كلاهما جنبا الى جنب امام المدفأة. خيم عليهما صمت عميق لفترة ما. كل منهما ركز مشاعره على مسألة واحدة. بادرت (ثايش) في الافصاح عنها فقالت:

-سمعت حكايات وحوادث كثيرة عن الذئاب وقطعان الذئاب من أمي. وبشكل خاص في سنوات مثل سنتنا هذه. أتظن..

قطع (بارام) عليها كلامها وقال:

-عجيب!.. كنت أفكر في الموضوع ذاته. احقا تظنين انها قد كفتنا شرها وابتعدت عنا وذهبت لحال سبيلها؟!

-كأنك تتحدث عن ســبعة أو ثمانية ذئاب ذوات القدمين من أصحاب العقول، وتظن انها خوفا من مسدسك ستكفيك شرها!

-الشهادة لله.. وأفرحني اذ انني لم اصبه. يكفيننا شرهن وهن شكورات حامدات لنا ذلك.

-من المحتمل ان يفعلن كذلك. ولكن ماذا لو لم يفعلن؟

-ان لم تفعل كذلك، فان ذلك يدل على انها بلا عقول. وعندها اضطر لاصابتها. وعند ذلك لابد أن تكفينا شرها مرغمات.

أطلقاها ثانية ضحكات عالية ســوية. استيقظ على أثرها ابنهما الاكبر (ئالا) من نومه. فأسرعت اليه امه وأنامته. ثم عادت جنب (بارام) وقالت مباشرة:

-أرى من الافضل أن لا ننام الليلة.

في الرد عليها قال:

-أحســنت.. هذا ما كنت أنوي فعله، بشــرط ان لا يشملك أنت. تقومين انت باعداد شــاي غليظ لي فقط. ثم بعدها تضطجعين بجنب الاطفال بلا أي خوف مثل أية ليلة ســابقة، وتنامين الى أن أقوم أنا بايقاظك في الصباح. عندها أنام أنا.

نهضت (ئايش) وملأت (الكتلــي) ماء ووضعته على المدفأة. ثم عادت وجلست بجانبه. شبكت ذراعها حوله والصقته بنفسها وقالت:

-ذاك هو الشاي، ســيكون جاهزا عما قريب. وبشأن النوم فأنا جالسة معك حتى الصباح. ثم تنام أنت حتى تشبع نوما. ثم أنا.

وضع (بارام) شــفتيه على شفتيها وقطع بذلك حديثها. وعندما أبعد شفتيه عن شفتيها لم تنبس هي ولا هو بأية كلمة بانتظار نضوج الشاي ومواصلة الحراسة من خلال ذلك.

الذئاب:

كانت (ثايش) منشغلة بغسل (القوري) واقداح الشاي عندما علت زمجرة من (بازه). تيبست يداها عل الاقداح. التفتت الى (بارام) ونظرت اليه. وهو في مكانه قد انتصب مصيخا السمع وقال:

-يبدو انها في الطريق للعودة ثانية. الظاهر انهن لايكفيننا شرهن.

بعدها نهض واقفا. وكما فعل في المرة السابقة، لف نفسه وخطف مسدسه. عند ذاك كان نباح (بازه) يكاد يكون زمجرة مليئة بالحرص والغضب. هم ان يقفز للخارج. قالت له (ثايش):

-كن حذرا على نفسك. ليس لقطيع الذئاب أمان. لا تبتعد عن باب الايوان.

-لاتخافي.

قال ذلك فقط وخرج. أوصل نفسه امام الايوان. كان (بازه) ينبح نباحا تخال انه مع كل نبحة سيلفظ احشاءه خارجا. وكان مستمرا على التقدم خطوتين أو ثلاثا الى امام ثم يعود متراجعا الى الوراء. وحينما وصل (بارام) الى مقربة منه، اندفع تماما حتى انه بقفزتين او ثلاث أوصل نفسه الى وسط باحة الدار.

وقف امام الايوان وبدأ يجيل بصره. وفي هذه المرة شاهد أشباحها في وسط الثلج حيث كانت متفرقة تختلس الخطى للتقدم. ولكن جلب عددها انتباهه بشكل سريع. فقال في نفسه:

«انها أكثر من المرة السابقة! عجيب! يعني انها ذهبت وجلبت معها مجموعة اخرى؟! يعني انها ليس قط لم تكفنا شرها بل تريد جعلها معي حربا شعواء؟ طيب.. صبرا علي!».

عندها نادى على (بازه) وسحبه الى جانبه. مسح على رأسه بيده عدة

مرات واسكته. ثم وضع يده بشدة على ظهره وقال له:

-اسكت والزم الصمت. لا اريد أن يصدر عنك أي صوت.

اركع (بازه) على الارض وكمن هو في جنب اكداس الثلج المكسوح من السطح الذي كان قد ارتفع الى حافة السطح، وهيأ مسدسه.

استغربت (ثايش) من ذلك السكون. لم تطق صبرا فأطلت برأسها الى الخارج. ولما أصاخت السمع ولم تسمع اية نأمة أو حركة من (بارام)، انعصر قلبها. ودون أن تلف نفسها، قفزت خارجا نحو الايوان، وكانت على وشك رفع صوتها لتناديه حين وجدت (بارام) وقد جلس القرفصاء ملتزما الصمت. تقدمت خطوات اخرى وسألته بصوت خافت؟!

-بماذا أنت مشغول؟! لماذا انتما صامتان؟!

لم يرد على سؤالها انما قال هامسا:

-علام خرجت يا امرأة؟ ستتجمدين ايتها الشقية. اسرعي الى الداخل.

-أوليس من حقي أن أعرف ماذا يجري ولا يجري؟!

-اننا كامنون لها. انها على وشك القدوم. اسرعي واذهبي الى الداخل.

اولجت (ثايش) نفسها في الداخل، وظل هو و (بازه) في الانتظار، وقطيع الذئاب دائب على الاقتراب. زمجر (بازه) عدة مرات يريد الشروع بالنباح وارتفع صوته. فسارع لاسكاته. قرر في هذه المرة ان يلجأ الى المثل الشائع حول الذئاب. أي يشبعها بجثة واحدة منها ويقي نفسه شرها.

لهذا قال في نفسه:

«مادام الامر كذلك، فيجب تركها حتى تقترب تماما».

ومع انه حتى تلك اللحظة كان قد سمع الحكاية بعدة روايات وأحداث، غير انه ظل لا يأخذها الا كحكاية مجردة. لذلك ساور قلبه شك فجأة وقال:

«واذا لــم يكن الامر كذلك؟! اذا لم يكــن كذلك فحينئذ علي أن اظل حتى الصباح اقتل ذئابا!».

لم يطل التفكير في الامر فقال:

«ولم هــذا الاخذ والرد؟ ذاك قطيع الذئاب وهذا قطيع رصاص الموت بيدي وبه نتبين صدق الحكاية من كذبها».

تقدم قطيع الذئاب تماما. اقترب من ســياج البيت. وعلى غرار زمرة مسلحة مهاجمة تريد الهجوم على موضع عدو، اصطفت الذئاب امامه.

لم يستطع (بازه) ان يتمالك نفسه فبدأ بتحريك ذيله وأذنيه وقوائمه الاربع في آن واحد. ويتلفت بشــكل متواصــل الى (بارام) وكان هو يحاول تهدئته ولا يدعه يتحرك من مكانه.

وصل قطيع الذئاب الى جوار الســياج. بعدها بهدوء كبير وبشكل جيد صــوب على واحدة منها، ضغط على الزناد وارتفع الصوت من المســدس. فعــوى الذئب وترنح وهوى. جفلت بقية الذئــاب وكل واحدة منها ولت الادبــار الى جهة مــا. ومع صوت الاطلاقة تقدم (بــازه) عدة خطوات الى الامام وبدأ بالنباح. اراد أن يلاحقها فلم يدعه هو وقال:

-لاتــؤذ نفســك. لا حاجة لذلك. اصبت واحدة منهــا. فكيف تهنأ بها فذاك من شأنها.

وفي تلك اللحظة بالذات كان الذئاب المصاب كأنه منح قوة ركض سبعة ذئاب ســليمة، نهض وشرع يخترق الثلج والهزيمة. يبدو ان اصابته كانت قاتلة، ولكنه كان يخترق الثلج وكأنه لم ينغرز في جسمه رأس ابرة. اندفع (بازه) ثانية يريد الهجوم فلم يدعه هذه المرة أيضا. وقال في نفسه:

«اذا كانت الحكاية صحيحة فان اصابته تكفي.. وحتى اذا كانت عليه قطرات من الدم، فان امره قد ينتهي».

بعد الاطلاقة اطلت (ثايش) براسها خارجا كرة أخرى ونادته. انزعج منها (بارام) وقال رادا عليها:

-الم اقل لك لا تطلي براسك خارجا؟! هل اتاكِ غضب من الله؟!

وعندما احست (ثايش) انه يتكلم بغيظ، انسحبت الى الوراء وولجت الى الداخل. اما هو فقد اصطحب (بازه) وخطا نحو صحن الدار. صار واثقا ان الذئب المصاب لابد له من الالتقاء بالذئاب المهزومة وعندها يتحقق صدق الحكاية من كذبها. لم يكن ينوي تجاوز السياج ويبتعد عن البيت. بالاحرى لم يبلغ بعد الى الحد الذي يحتاج به الى ذلك، اذ سرعان ماظهرت النتيجة. رأى الذئاب من بعيد على سفح تل جانبي تدور كدوامة حول نفسها وتتشابك. كان واضحا انها وقعت على جسد الذئب المصاب نهشا. ظل فترة ينظر الى هذا المشهد ويتمعن فيه. ثم هز راسه وخطا نحو داخل البيت.

المسدس:

ما ان وضع قدمه داخلا، حتى بادرته (ثايش) قائلة بلهفة:

-لم لا تقول انك لم تصبه هذه المرة ايضا؟!

-اجل.. اصبته هذه المرة.

-هيا اذن حدثني عنه لاعرف كيف كان الامر؟

حدثها عن الموضوع من البداية وانهى حديثه بقوله: لقد أدى المسدس الاربد واجبه.

نظرت اليه (ثايش) نظرة ذات مغزى عميق وقالت وهي تبتسم ابتسامة فيها شيء من اللوم وهي ترد عليه:

-هذا يعني انك أيقنت بأنه كان شيئا ذا أهمية. حسنا. لو لم يكن ذلك

المسدس فماذا كنت فاعلا؟!

-بالفأس، بالمسحاة، بالهراوة.

-اجل صحيح.. أنت هرقل!. افرض انك كنت هرقلا، فقد كنت تقدر على واحد أو اثنين لا قطيع ذئاب، او كما تقول انت قطيعين اليس كذلك؟

-بذمتي انه لكذلك.

-حسنا.. لو انها كانت بندقية بدلا من المسدس اما كان ذلك أفضل!؟ لقد قلت مادمت ستشتري مسدسا أضف الى ثمنه مبلغا آخر سواء بالاستدانة أو بأي شكل آخر واشتر به بندقية، فلم تأخذ برأيي!.

سكت (بارام) ولم يرد عليها بشيء ما. عند ذاك شعر بالحرارة فانسحب الى جانب الجدار. نظر الى الساعة التي في يده. كانت تشير الى الثانية عشرة والنصف. قال في نفسه:

«أتظن انها ستعود؟!».

فكر قليلا في سؤاله الذي طرحه على نفسه. قلب الامر. كان ينزعج من الاجابة عنه، لانه كان يدري ماذا يجب أن تكون عليه الاجابة:

«أجل.. ليس من المستبعد ابدا. انها قطيع من الذهاب وهي جائعة. ثم رائحة ثمانية فرائس في بيت وحيد منزو بعيد عن العمران. فانها ستشن عليه الهجوم مرة واثنتين وعشر مرات. والليل مازال فيه متسع. ان (ثايش) على حق. لو كانت بندقية بدلا من المسدس، لغدت المسألة بشكل آخر.

بعد ذلك أخرج المسدس من محزمه ومسكه بيده. أخرج منه المشط، افرغ منه الطلقات وعدها. وكانت الباقيات فيه خمس. جاء بالمشط الاحتياطي واراد افراغه من الطلقات، ولكن لم يفعل:

«لا حاجة الى ذلك. انها سبع. صار المجموع اثنتي عشرةّ!». التفت الى (ثايش). لم تبق بالقرب منه. كانت منشغلة بالمصباح تنزله لتملأه نفطا.

وهو من جانبه قد شعر بخفوت ضوئه تماما. ومع ذلك قال لها:

-اين وضعت الطلقات الاخرى هاتها لي!.

-فلأملئن المصباح نفطا. لقد غفلنا عنه. كاد أن ينطفئ.

هو قال في نفسه:

«اعتقـــد انه عندي ثماني طلقات اخرى. أجل تلك عشـــرون. تكفي. أهي حرب خنادق؟!».

أعـــادت (ثايش) المصباح الى مكانه. ذهبت وجـــاءت بالطلقات الاخرى ووضعتها امامه. وجلســـت هـــي بجانبه أيضا وراحت تمعـــن النظر فيه. وعندما رأته يعدها ثم يضع اثنتين منها في واحد من المشطين سألته:

-أتظن انها ستعود؟!

لم يجبها في الحال. وضع واحدا من المشطين في المسدس ووضع المسدس في محزمه. ثم وضع المشط الآخر والطلقات الباقية في جيبه. عندها اتجه اليها وقال:

-لا يستبعد مجيئها.

-وما العمل؟. ماذا تفعل؟!.

-الحـــل؟!.. الحل هو ها أنا ذا وها هو المســـدس والرصاص وهذا (بازه) وتلك هـــي الذئاب وصولتها وهجومها بالانيـــاب والمخالب. نحن في الخندق وقد هيأنا أنفســـنا وهـــي تهجم. هل لديها قنابل ورمانـــات لكي يفجرننا. انها تمتلـــك أنيابا وأنا أمتلك الرصاص. وقبل أن تنشـــب أنيابها في، أجعل الرصاص يستقر فيها وكفى.

هدأ قلب (ثايش) لاقواله هذه، اذ كانت قبل ذلك قد ضاق قلبها تماما. مئة سؤال وسؤال سؤال كانت تشابك في مخيلتها تريد الافصاح عنها. غير ان تلك الاقوال قد صرفتها. صحيح انك شخص لا أبالي. ولكن عندما تهتم

بشيء أمسك بتلابيبك، تغدو له اسدا هصورا.

في رده عليها قال بارام مبتسما:

-أكان هذا مدحا أم ذما؟.

-ذم؟!.. حاشا لله.

-اما تقولين: انا شخص لا ابالي؟.

-اجـل.. ولكن أولا: هو ليـس ذما لانه صفة اعتياديـة ملازمة لك. وثانيا: أنا قلت انك عند الضرورة تغدو اسدا هصورا.

لاحظ (بارام) ان سـذاجتها وصفاء نيتهـا جعلاها تأخذ عتابه المازح معهـا مأخـذ الجد كما عهدها في المرات السـابقة. كان في المرات السـابقة يطيل معها ذلك لمدة طوية الى أن يجعل الامر في النتيجة مزاحا ومداعبة وضحكا. ولكن في هذه المرة احس بسرعة ان الوضع لايسمح ان يطيل معها الدعابة. لذا قال لها بضحكة ناعمة:

-اوقعت في الشرك ثانية؟! يا امرأة أي ذم وأي خزعبلات!. الشهادة لله هو ذلك وانني اعرف نفسي خيرا منك بانني شخص لا ابالي. أردت فقط أن...

قطعت عليه (ثايش) كلامه وقالت:

-أهذا هو وقت مزاح؟.

-لا.. انك على حق. لهذا تركتك بسرعة.

-حسنا أليس من الافضل ان تترك هذه العادة تماما وتكف عني؟.

-دعي ذلك جانبا. لنتحدث عن مسألة اللاابالية.

-أتعود الى المزاح ثانية؟.

-لا.. لا والله. أقول الصدق. اريد أن اوضح لك من اين أتت هذه اللاأبالية. اولا يجب ان لا يقال لا أبالية بل ربما قلة لهاث، أو بالاحرى عدم لهاث. يعني انني لا الهث راكضا للحياة. لا اصول ولا أهجم بأطرافي الاربعة. لست مهتما

بجمع المال والاملاك والثروة. يكفيني فقط ما تعيش به بشـكل اعتيادي. إنك أحسـنت القول. ان الذي اراه ضروريا للحياة أغدو له أسدا هصورا. وما ليـس بالضروري، لا أهتم به باي شـكل وأكون مـن ناحيته لا أباليا. انني اشـمئز من اولئك الذيـن جمعوا المال والثروة بعلو الجبـل وتراهم لازالوا يلهثون سـعيا وراء زيادته. لو كان الامر بيدي لكنت استوليت على ثروات اولئك. ثم ابني لهم سجنا من فضة من الاساس حتى السطح من ذلك المال والثروة، واضع في عنق كل منهم وفي يديه وقدميه سلاسل وقيودا من ذهب وأجعلـه ضيفا على واحدة من غرف ذلك السـجن الفضي، بعد ذلك أحول ما تبقى من ثرواتهم تلك الى ليرات رشادية. وما ان يقول واحد منهم انني جائع، القي في فمه حالا واحدة من تلك الليرات. وعندئذ يبتلعها أم لا فالامر متروك له، ذاك وحده سيكون طعامه. له الا يأكل، وله كل ألف، عشرة آلاف، مئة الف ليرة في اليوم الواحد. افهمت ما قلته؟

فكـرت (ثايـش) هنيهة في الجواب. لم تكن هذه هـي المرة الاولى التي تسـمع منه مثل الكلام. ولكن كانت هي المرة الاولى التي تفهم ماذا يقول بهذا الوضوح واليسر. مع ذلك لم تدر بماذا نجيب.

-الم تفهميني؟! أأعيده ثانية؟

عندها قالت مرغمة:

-لا.. لا حاجة لذلك. فهمت.

ولم يلح عليها هو. غير مجرى الحديث قائلا:

-الافضل لك أن تأخذي قسطا من النوم.

-قلت لك لن أنام وسأحرس معك جنبا الى جنب. فلا تكرر هذا القول ثانية.

-بدا على اجابتها ما يشبه الغضب. لهذا قال (بارام) بوجه بشوش:

-ما دام الامر كذلك اذن هيئي الشاي.

العواء:

لفهما صمت وســكون عميقان، عندما طرق سمعهما عواء ضعيف من بعيد. كل منهما رفع رأســه وأصاخ الســمع. وفي ذات الوقت شــرع (بازه) بالنباح واســتمر عليه. ولم يمض وقت طويل حتى اختلط عواء الذئاب بنباح (بازه).

القت (نايش) نظرة خوف وارتباك على (بارام). قالت بصوت خفيض كأنها تحدث نفسها:

-اهدن؟!

احس (بــارام) بارتباكها. لم يكن يؤاخذهــا. كان أمله هو أيضا وبعد مرتــين من اطــلاق الرصاص عليها وقتــل واحدة منهــا وأكلها من قبل الاخريــات، ان لا يرجعــن وأن يتجهــن الى جهة اخرى. ولهــذا مع انه في الظاهــر كان يحاول طمأنتها وازالة الخوف من قلبها قولا، الا أن فكره كان منشــغلا بالمشكلة ويدقق فيها. قبل كل شيء كان يرى نفسه قوي الجانب بوجود المســدس والطلقات العشــرين. غير ان مع ذلك كان يضايقه خوف بســيط ويزعزع له بقوة اعتماده على المسدس. كان يحاول معرفة سبب هذا الخوف ومأتاه ولكنه ماكان ليظفر به. ظل ساكتا صامتا لفترة طويلة الى أن أعادت اليه (نايش) انتباهه بقولها:

-بم تفكر؟ لماذا أنت ساهم سادر هكذا؟! الا تسمع (بازه).

عندذاك، التأهب والانصات والنهوض عل الاقدام كل ذلك لم يستغرق الا لحظة واحدة. شــعر في الحال أن (بازه) قد ترك مقدمة الايوان وذهب الى مقدمــة الســياج في أقصى باحة الدار. لم يكن (بــازه) هو الكلب الوفي حارس البيت فحســب، انما كان واحدا من العائلة. كان يهمه جدا وحسب متطلبات حماية نفســه وزوجه واطفاله من براثن الذئاب ان يحميه هو

أيضا. لهذا ما ان نهض على قدميه، حتى توجه الى الباب وهرول خارجا. لـــم يهتم بنداء وصراخ (ثايش). وثب الى خارج الايوان. صاح على (بازه) بغضب شـــديد وســـحبه الى الخلف. وحينما وصل اليـــه وكأنه يوبخ أحد أطفاله، مسك باذنه وأجلسه أرضا على قوائمه الاربع أمام كوخه. وضربه عدة ضربات خفيفة على هامته. ثم تركه وانسحب الى الوراء. ولكن ما ان وضع قدمه في الايوان حتى التقى وجها لوجه بـ(ثايش). سألها قائلا:

-أثانية؟!

لم تجبه (ثايش). أدارت له ظهرها ودخلت الغرفة. وعندما تبعها هو الى الداخل لاحظ انها واقفة تمســك معطفه بيدها لتلبســـه اياه دونما نطق أو حركة. فهم قصدها بسرعة. استدار لها وأدخل ذراعيه بكمي المعطف ولبسه. ثم التفت اليها وعانقها وقبلها بمنتهى الحنان. ولما رفع يديه عنها قال:

-يظهر انهن اقتربن. من الافضل أن أذهب لملاقاتهن.

عندما استدار ليخرج، قالت له (ثايش) بصوت ملؤه الحرص:

-عزيزي (بارام).. كن حذرا. حاذر على نفسك جيدا.

لم يرد عليها بأية كلمة سوى أن ابتسم في وجهها ابتسامة عريضة وهو في طريقه الى الخارج.

عندمـــا لزم الصمت كما فعل في المرات الســـابقة. عجـــب اذ لم يلحظ أي شبح، لا من بعيد ولا من قريب، سوى انه شعر ان (بازه) لايقر له قرار وهو مســـتمر على الزمجرة بصوت خافت. كما انه يوالي النظر اليه ويبدي نفاد صبره. وفي بعض الاحيان يندفع اندفاعة بسيطة نحو الامام ثم يتراجع. ساور قلبه الشـــك، فوصل الى قناعة بأن عليه أن يزيد اصاخة السمع، كما يفعل في توجيهه لباصرة عينيه. اصاخة الســـمع كشـــفت له عن جلبة خفيفة للسير على ثلج السطح. وفي الجهة اليسرى ايضا حيث أكوام الثلج التي كسحها تحجب

عنه الرؤيا، سمع جلبة خفيفة ايضا. ثم في الجانب الايمن شاهد منخر ذئب يتراءى تارة ويتوارى اخرى. عرف بسرعة ما الامر. قال في نفسه: «اذن فهذه هي الحالة التي كنت أخشاها ولم أفطن اليها! ما هو الافضل لي أن أعمله؟ نواياها وقراراتها واضحة. انه شيء عجيب، كأنها جيش منظم يهجم على حصن عدوه. ما هو الافضل لي أن اعمله؟!».

كانت لحظة صعبة ومعقدة. ما كان يعرف ماذا يفعل! من السطح. ومن الجهة اليسرى كانت الجلبة تزداد تباعا وتقترب. المنخر الذي في الجانب الايمن صار اثنين وثلاثة وخمسة. وأحيانا كانت تظهر بشكل اسرع. و (بازه) كان يزداد ضيقا كلما مر الوقت ويفقد اصطباره. حتى غدا به الامر أن يفقد هو الآخر اصطباره اكثر منه. وفجأة اتخذ قراره ونفذه في الحال. ضغط على زناد المسدس وأطلقه صوب المناخير، ولكن الذي صدر في الحال من (بازه) جعله يتسمر في مكانه ويندهش تماما!.

مع اطلاق الرصاص وكالذي يريد بعد انتظار مؤلم تفريغ ما في نفسه من غضب، اندفع (بازه) حالا نحو السياج دون أن يرى شيئا. وما ان وصل باحة الدار حتى انقضت الذئاب كزوبعة عليه من فوق السطح ومن الجهة اليسرى امام ناظريه ومزقن السياج تمزيقا وكسحنه نحو الاسفل.

ظل سادرا لعدة لحظات اذ تسمر في مكانه. وعندما استرد رباطة جأشه، اندفع نحو الامام. لاحظ ان الزوبعة قد وصلت الى سفح التل المقابل لهم. في تلك اللحظة كان يرى (بازه) بالبصيرة ويتخيل كيف أن الف ناب وناب قد نشب في جسده وهي تفتح فيه ألف جرح وجرح. ومعها كان يشعر وكان ألف جرح وجرح قد فتح في جسده هو. فعصفت به موجة من الم نفسي ممض. ودون انتباه نادى صائحا:

با.. زه..

ومع النداء ودون أن يدري ماذا يفعل افرغ ما في المسدس من طلقات صوب الزوبعة. بعد ذلك انسابت الزوبعة في الجانب الآخر من التل وغابت عن الانظار.

في هذه المرة أيضا لم يقر لـ(نايش) قرار وهي في الداخل، وخاصة بعدما شعرت بأن صمتا رهيبا قد أعقب نداء (بارام) على (بازه) والاطلال تلفعت وانطلقت الى الخارج نحو الايوان. توقفت واصاخت السمع لم تسمع أي صوت أو حركة، نادت على بارام فلم تتلق جوابا. وعندما نادته كرة أخرى ولم تجد جوابا، ارتعد قلبها. قفزت قفزة جنونية خارج الايوان. رأت فورا (بارام) وسط الثلج وهو جالس القرفصاء، وقد دلى رأسه على صدره. وصلت اليه وطوقته بذراعيها. عند ذاك رفع (بارام) رأسه ووقف على قدميه. راح يخطو بصمت نحو الايوان. انتظر خلف الساتر النايلوني حتى دخلت (نايش) بعده. أغلق الباب بصمت ايضا ثم ذهب الى الداخل تتبعه (نايش).

### الكابوس:

-بارام.. ماذا بك؟! حدثني. ماذا حدث؟!

كان (بارام) مايزال مبهوتا. نظر اليها نظرة بلهاء ولم يجبها بشيء كان منظر (بازه) وزوبعة الذئاب واختفائها وراء التل مايزال يستحوذ على مشاعره وأفكاره. صار ذلك له كابوسا يمسك بتلابيب مشاعره وأفكاره وكلما ازداد دفئا وزالت عنه آثار قرصات الزمهرير، كان يزداد استرخاء للكابوس. «سوف لايمر وقت طويل حتى يرجعن. عندما يرجعن سيطوينني انا هذه المرة ويفعلن بي ما فعلن بـ(بازه). وفي المرة الأخرى (نايش). وفي المرة الثالثة يدخلن الغرفة الى (ئالا) و (بالا).. يعني انه

الليلة. يعني.. الذئاب.. الذئاب ذوات الاربع. يعني.. وتحسب..!»

نهــض على قدميه فجأة. أخذ ينظر كالمجنون فيما حوله. لم تكن عيناه تتركزان على أي شــيء في الغرفة. كان وجهه ينبئ بأن وســاوس وآلاما فعالة تهز وجدانه.

استغربت (ثايش) من أمره. ومع ذلك حضنته وهدأته. وعندما عاد الى رشده كان وكأنه فقد الرؤية لفترة ما ثم فجأت زالت الظلمة من أمام عينيه. هكذا نظر الى (ثايش). نظر اليها نظرة ســريعة مضطربة. بعدها نظر الى الاطفــال. وعندما اطمأن عليهم هدأ تماما. عــاد وجلس في مكانه وانتابه صمت عميق. وضعت (ثايش) يدها على كتفه. هزته عدة مرات وقالت:

-بــارام.. عزيزي بارام.. لماذا تفعل هكذا؟ ماذا رايت؟. ماذا جرى لك؟ لم لا تتكلم؟.

عنــد ذلك التفت ونظر اليها نظرة واعيــة. فمنذ أن جاءا الى الغرفة كانــت هذه هي المــرة الاولى التي تفك ســورة هجوم الكابــوس تلابيبه. ويســتطيع قــراءة ملامح وجهها ليراها بأي حال هــي. كان لونها قد غدا كليمونة صفراء. وشــفتاها ترتجفان. تكاد تبكي وتشهق. الخوف والرهبة الممزوجة بالحيرة والدهشــة قد ارتسمت في عينيها. أعاد ذلك المنظر اليه وعيه وعرف الى أي حد كان قد فقد معنوياته، وكيف جرف (ثايش) معه ايضا. في البداية خجل من نفســه وصار مثل من انتابته حمى شــديدة. بدأ جســمه يتفصد عرقا حارا. وشــعر كأن صدغيه يلتهبان فأخذ ينحي باللائمة على نفسه بشدة قائلا: «ألا تخجل؟!. أهو من الجبن أم ماذا؟. عد الى رشدك. انظر الى (ثايش) لترى في أية حال هي!. اسرع.. اسرع».

واخيرا وكان قوة ســحرية تعينه، وقف منتصبا على قدميه وارتسمت على شفتيه ابتسامة مشرقة. صار محياه صبوحا وعاد البريق الى عينيه.

حرك يديه وساعديه. وضع راس (نايش) بين راحتي يديه وشرع بتقبيل شفتيها وخديها وجبينها. قال بضحكة ناعمة:

-ما بي من شــيء. عزيزتي (نايش) ما بي من شــيء. اصابني الحادث بدوار لانه كان علي صعب. اسمعي لكي احدثك عما جرى.

حدثها عما جرى. وعندما انتهى قالت (نايش):

-انه لشيء غريب. ما معنى هذا؟.

-بــل حالة غريبة فعلا!. انني مندهش ايضا!. انها حالة يتقبلها عقل ولكــن ها انها قد حدثت. والآن ما هو المستحســن ان نفعله؟. يظهر انهن يتركننا لحالنا ولسوف يرجعن.

-لاشك في انهن سيرجعن. ذلك أمر مفروغ منه. انها حالة خارجة عن الحد وعجيبة أيضا، وغير معقولة بأي شــكل من الاشــكال. وقد كتب على جبيننا ان نبتلى بها.

-طيب.. ولكن لماذا نحن؟!.

-لا أفهم.. لا أدري لماذا نحن!.

-وما الحل. وما هو التدبير؟.

ســكت (بارام). أشعل سيجارة وبدأ يرتشفها. فكر مليا. قلب المسألة في ذهنــه. وضح لديــه بأن الذئاب تتصرف تجاه مملكتــه، وكأن قوة خفية تحركها، لابل كأنها نفســها هي القــوة الخفية. كما توضح لديه ان الذئاب قد قررت أن تجعلها حربا شــعواء عليه وســتواصل الحرب حتى النهاية. لهذا توصل هو من جانبه الى قرار سريع. نظر الى ساعة يده. غير وضعية جلوسه بهدوء فصار وجها لوجه مع (نايش). وضع يدها في ديه وقال:

-عزيزتي (نايش)، اســتمعي الي. الساعة الآن تقارب الثانية. علينا أن نظل لاكثر من اربع ساعات ونحن على هذه الحال. اي الى أن يطلع الفجر،

وعندها نتخلص من هذا الكابوس. اتفهمين ما أقول؟!. اربع ســاعات ومن المحتمــل أن تهاجمنا الذئاب أربع مرات أخرى. اســتمعي الي واعرفي ماذا قررت، واحب ان أعرف رأيك في الامر؟.

عنــد ذاك صارت (ثايش) في وضــع اعتيادي. زايــل الخوف والرعب عينيها فردت عليه قائلة:

-سأفعل ما أنت تقرره.

نهض (بارام) وقال:

-مــادام الامر كذلــك، فهيا انهضي في الحال لنأتي بــكل ما عندنا من اثاث. عدا فــراش النوم وهذا المقدار من الحطب الموجود في الغرفة فقط، لنسد بها جانب الايوان الواقع خلف الساتر النايلوني. ونأتي بكل ما عندنا من حطب في الايوان وكل ما عندنا من انقاض في الغرفة الاخرى، ونسند به ذلك لنجعل منه جدارا بوجهها. ويبقى الشباكان والكوة. الشباك الذي في غرفتنا ســاغلقه بحيث لايتمكن الطير النفاذ منه. وأما الشــباك الذي في الغرفــة الاخرى فهو لا يســع لاكثر من جرو للدخــول منه. ومع ذلك فسأسده بشكل جيد. أما الكوة فهي بالاضافة الى انها مزججة فهي الآن قد تراكم عليها الثلج بما يقارب ارتفاع الركبة. أتفهمين ما أقول؟.

-أفهم جيدا. عندها فليدرن حول قلعتنا ويعوين حتى الصباح.

-أجل.. أجل. وليشحذن لنا أنيابهن.

-لايمكــن، والا فأنا أحب أن أنظر اليهــن من كوة صغيرة لاعرف كيف يشحذن أنيابهن!.

ســكت (بارام). كان يجتر قول (ثايش) في ذهنه. تراءى لعينيه منظر خطف (بازه) ولفه. تجهم وجهه. وعندما عاد الى الحديث قال:

-أنا اقوم بذلك. انا اشاهدهن. انني أعرف كيف آخذ منهن بثأر (بازه) هذه المرة.

لم يعجب (نايش) قوله هذا فتجهم وجهها وسألته:

-ماذا تنوي أن تفعل؟!.

-سأترك موضع يد لي فقط بحيث استطيع توجيه فوهة المسدس منه الى الخارج. يجب أن أقتل منهن بقدر ما عندي من رصاص.

-يـا بارام.. أرى من الافضل الكف عنهن. من الافضل احكام غلق بابي الغرفتين وتركهن الى أن يصبح الصباح.

-لا تخافي.. لسـن عفاريت وسـعالي لكي تهجم علينا وتسقط كل تلك الاشياء.

لاذ كلاهما بالصمت. تنبه (بارام) فجأة وقال:

-اسرعي ولنستعجل خشية أن يعدن بسرعة.

هكذا فعلا واسـتعدا. كانت (نايش) توصل الاشـياء الى قرب السـاتر النايلوني ويكدسـها (بارام) باحـكام وفق نظام خاص. وفي النتيجة صنعا منها جـداراً اصما وأبقيا فتحة صغيرة في مـكان مرتفع في جانب حائط الايـوان. عندها دخلا الغرفة وذهبا الى الشـباك وأحكما غلقه بما وضعاه امامه حتى اطمأنا اليه جيدا. كانا على وشـك الذهاب الى الغرفة الاخرى حين سـمعا من بعيد عواء قطيع الذئاب. توقفا ونظرا الى بعضها. سـارع بارام برسم ابتسامة على شفتيه وقال:

-فليعوين حتى تتمزق حناجرهن. سيلقين مصيرهن.

ثـم خطا بهدوء نحو الغرفة الاخرى وسـارت (نايـش) خلفه تحمل المصبـاح. كانت العنزات والحمـار الاكهب في غفلة عما حدث. سـوى انه عندمـا دخله هذان والمصباح معهما وأحدثا جلبة، رفعت رؤوسـها اليهما فحسب. نظرت اليهما قليلا ثم عادت الى وضعها السابق.

عندمـا انتهيا، عادا مطمئنين الى غرفتهما. اتكأ (بارام) ومد سـاقيه.

ذهبــت (ثايــش) الى جانب الطفلين. مســحت بيدها على راســيهما. كانا يغطــان في نومهما الهنئ. تركتهما على حالهمــا وعادت الى جانب (بارام) وجلست بقربه.

-لابد أن يكون الشاي الآن جاهزا.

تذكرته. نظرت الى المدفــأة. كان ماء (الكتلي) يغلي. ولكن (القوري) كان لايزال موضوعا على مبعدة من فتحة المدفأة قليلا. نهضت وذهبت نحوهما.

العفاريت:

لم يمض وقت طويل حتى تواجد قطيع الذئاب. كان يمكن الاحساس بوضوح باقترابه من البيت تمامــا ودورانه حوله. كان (بارام) مضطجعا وقد أسند كتفه على وسادة. قالت له (ثايش):

-كأنهن دخلن باحة الدار.

قال في رده عليها ضاحكا:

-يظهر انهن يعرفن ان (بارام) و (بازه) غير موجودين، فيطاردن كما يشــأن. ولكن ســوف يرين ما ســيحل بهن. فليتقدمن مسافة أخرى نحو الامام ويطمأنن. ليأتين امام الايوان عندها أذهب لمواجهتهن.

-انني أرى من الافضل أن نحكم ســد الباب ونتركهن يفعلن ما شــئن. بارام.. هؤلاء لايشــبهن الذئاب. لو كن ذئابا لكن يشــبعن عندما أكلن لحم (بــازه) وواحدة منهن، ولتركننا لحالنــا. أو لكانت الاطلاقات أخافتهن ولما بقين في هذه الناحية.

فكر (بارام) قليلا بقولها. وكأنه احس فيه شــيئا من الصحة، ســألها باندهاش:

-اذن ماذا هن؟!.

-يحتمل أن يكن عفاريت وغيلان تقمصن جلود ذئاب.

-اجادة أنت أم تمزحين؟!.

-جادة والله.

عندها ضحك من قولها. مع ذلك لم يدعها تأخذ الامر مأخذ المزاح فقال:

-لقد ظننتك قد فقدت الايمان بمثل هذه الاقوال. ولكن يبدو انك عدت الى تصديق ذلك ثانية.

ضحكت (ثايش) هي أيضا وقالت:

-ايه.. ولكني لا أدري ماذا أقول! أي نوع من الذئاب هذه؟!.

-لا تذهبي مذهبا خاطئاً. انها ذئاب اعتيادية. ولكنها جائعة تماما. ومن اجل اشباع بطونها تهاجم ولا تخشى من أي شيء. ثم ألا تفعل الذئاب التي تمشي على قدمين كذلك؟!.

-أعدت الى ما كانت عليه سابقا؟!. تفضل وانظر الى أي حال أوصلنا!. فلو لم تكن هائما بذلك الخيال لما كنا نبتلي بهذا الشكل!.

كان هذا الكلام بالنسبة لـ (بارام) شيئا مفاجئا. لم يكن يتوقع أن يسمع منها شيئا كهذا. لذا لم يدر بماذا يجيبها. غير ان (ثايش) شعرت من جانبها بسرعة بأن كلامها لم يكن في محله، خاصة في وقت صعب ومعقد كهذا. لذا أبدت أسفها بسرعة وقالت:

-لاتلمني يا عزيزي (بارام).. لو شئت الحيقية فانني قد اعتراني الخوف. لقد انخلع قلبي من أجل هذين الطفلين. قطيع من الذئاب الشرسة الجائعة في الجانب الآخر من غرفتي، تأتي وتذهب امام الايوان وتصقل انيابها لاطفالي، فكيف لا أخاف؟!.

بعد أقوالها تلك نسي (بارام) انتقادها له وراح يسرع في تطمينها

فقال:

-هـا انك ترين ان الغرفة والايوان قد أحكم سـدهما. وهذا أنا ومعي سـلاحي ومسـتعد لمواجهتها. يعني انك تعرفين لو كانت عشـرة قطعان فلا يمكنها ان تفعل شـيئا، وعليها البقاء حتى الصباح تدور حول البيت. فلماذا اذن توجسين خيفة؟.

-ادري. ادري. ولكن الامـر ليس بيدي. حتى لو كان بيننا حائط من فولاذ، لكان ذلك الخوف يتملكني أيضا.

-حسنا.. أفهم.. أأنت..

في تلك اللحظة سـمعا وقع سقوط قطعة من الاثاث. انتفضت (نايش) كالبرغوث وأوصلت نفسها بقفزة الى الطفلين، كأنما تملكتها خشية باطنية مـن ان الذئاب ستشـن هجوما مفاجئا الى داخل الغرفة رأسـا وهي تبغي طفليهـا. هكـذا احاطتهما بذراعيها وتعلقت عيناها بالباب. لم يتسـن لـ (بارام) رؤية منظرها ذاك. ابتلع كلامه. وما ان سمع الصوت حتى امتدت يده الى مسدسـه ونهض واقفا. لبس حـذاءه على عجل وقفز الى الخارج. وقبـل أن يتقدم القى نظرة من خلال الباب على قطع الاثاث وسـرعان ماظهـر انهـا تدفع من الجانب الآخر. لم يتأمل فيهـا أكثر من ذلك. هيأ مسدسـه وراح الى الموضع الذي تركه للرماية. أخذته الدهشة جدا عندما شاهد المنظر ذاك، لا بل سرت في قلبه رعدة شديدة. كان عدد الذئاب كبيرا الى الحد الذي لم يتمكن من عدها، حتى صار يشك في قابليته للرؤية. كان معظمها يغدو ويروح في باحة الدار. غير ان خمسـة او ستة منهن كن قد جثن امام الايوان. كن يضربنه بين حين وآخر بمناخيرهن.

في الحـال اتخذ قراره. قال في نفسـه: «من الافضـل قتل واحدة من اللواتـي في الباحة لا من اللواتي أمام الايـوان لكي يبتعد ضجيج وعجيج

اكله. ان هذا هو الافضل من أجل (ثايش) وطفليها».

صوب نحوهن وضغط على الزناد. عوى الذئب وكبا. ولكنه قام وانهزم جنبا الى جنب الاخريات. لم يبتعد كثيرا عن السياج فسقط. كان يراه وقد رفس عدة مرات ثم خمدت حركته. قرر في نفسه الانتظار ريثما تعود البقية اليه لتأكله وينتهز الفرصة ليرميهن بشكل جماعي. ولكن صوت بكاء (ثايش) الشديد، أدى به الى التخلي عن ذلك القرار والدخول الى الغرفة مسرعا. وجدها جالسة عند طفليها تبكي بحرقة. للوهلة الاولى، اضطرب وارتعد قلبه من رؤية المنظر فاقترب منها بارتباك وسألها:

-ماذا حدث؟.. ماذا بهما!؟.

وعندما تبين له ان الطفلين مازالا ينعمان بلذيذ نومهما، والمسألة عبارة عن خوف ورهبة في قرارة نفس (ثايش) فقط، تنفس عنهما بذلك البكاء، حاول تهدئتها. احتضنها وصار يطمئنها، وخاصة حينما حدثها كيف انه قتل واحدة اخرى منها وان الاخريات قد ولت الادبار. وما ان هدأها حتى قام وخرج على أمل تحقيق ما قرره. وحين نظر بلهفة الى مكان سقوط الذئب المصاب بغية انجاز ما قرره، استغرب. تراءى له انه لم يبق في مكانه. قال في البداية في نفسه: «يحتمل أن يكون قد انطمر في الثلج فلن يرى». ولكنه عندما استمر في النظر والتدقيق ولم يجد شيئا قال: «الثلوج تتساقط بكثافة. من المحتمل تراكمها عليه خلال هذه الفترة وتغطيتها له!» ثم عندما دقق في الامر بشكل أفضل قال: «لا.. يحتمل انه في الفترة التي ذهبت فيها الى الغرفة قد استجمع قواه وانهزم وسقط في مكان أبعد».

هكذا علل المسألة فيما بينه وبين نفسه حيث كان ما ذهب اليه أخيرا اكثر معقولية عنده. ولكن ظهور الذئاب في تلك اللحظة وسكوتهن قد حيره،

اذ علـى الاقل كان يجـب أن تكون الذئاب في ذلك الوقت منشـغلة في نهش جثة الذئب المقتول، حيث لم يكن ليصدق انه في هزيمته يكون قد نجا من براثنهــن. الحيرة قد أقلقت فكره لفترة من الزمن. قال في نفســه: غريب!. يــا ترى هل تكون حكاية (ثايش) صحيحة؟!. أيجوز أن تكون هذه عفاريت وغيلان؟! ثم أسرع قائلا: «لا.. يظهر انه يجب أن يكون في ذلك المكان وقد انغــرز في الثلج. لا.. ليــس الا ذاك». قرر الانتظار الى أن يصلن قرب مكانه وتتضح له المسألة تماما. لم يمر عليه وقت طويل حتى أحس انه لم يرتد معطفه وانه حاسر الرأس وقد تخدر من البرد، فولج الغرفة.

كانت (ثايش) مازالت قرب الاطفال جالسة بصمت. عند دخوله الغرفة رفعت هي رأسها فقط ونظرت اليه دون أن تنطق بشيء. لبس هو معطفه على عجل ولف كوفيته حول رأسه ورقبته ثم انسحب خارجا.

عندمــا وصل الى مكانه رأى الذئاب قادمة بشــكل مرتب بين الواحد والآخــر ثلاث أو اربع خطوات. وقد وصلت الى قرب المكان الذي فيه جثة الذئب المقتول. أخذته الدهشــة هذه المرة أيضا. صار في شك اذ ان مجيئها بهذا الشكل يوحي بأن الجثة لم تبق في مكانها. ارتبك فكره وحسه ثانية، وخاصة عندما لاحظ انها وصلت الى المكان وتجاوزته دون أن يحدث شيء. كم ضرب اخماسا بأسداس فلم يصل الى نتيجة. تضايق كثيرا. لم يدر ماذا يفعل وأي قرار يتخذ. كان يشعر وكأن عقله قد توقف عن العمل. وفجأة، كما لو انه قد قرر أســرا في قرارة نفســه ولكن لم يتضح له بعد أي شيء هو، رفع مسدسه ودون تسديد أطلق رصاصة. انفرط عقد الذئاب ثانية. تفرقت الى الوراء وانهزمت وغابت عن ناظريه. وكأنه رأى في ذلك فرصة يريــد بها أن يذهب ليأخذ قســطا من الراحة يفكــر فيها تفكيرا عميقا، استدار رأسا وانسحب الى الغرفة.

**الحبل:**

عندمـــا دخل الغرفة لم ينظر الى (ثايش) والاطفال. ولكي يدفئ نفســه ادار ظهــره الى المدفأة وهــو واقف. تركزت نظراته على بـــاب الغرفة. يبدو ان جميــع افكاره كانت محصـــورة في البحث عن حل عاجــل. وهكذا جاءت المحصلــة. ترك النظر الى باب الغرفة وأجال بصره بســرعة في داخلها. جلب انتباهه الحبل الذي تنشــر عليه الملابس. وكأنه وجد مفتاح الحل لطلســم صعــب مرعب. هجم عليه وفكه من وتدي الحائطــين المتقابلين في الغرفة. جمعه في قبضته وقفز الى داخل الايوان.

(ثايــش) التي كانت تنظر اليه بصمــت، عجبت من أمره. لم تتمالك نفســها فذهبت وراءه الى الخارج. أرادت ان تســأله عما يفعل فلم يمهلها. وكأنه يصدر اليها اوامر مستعجلة جدا قال:

-هيا اذهبي واجلبي المراة.. عجلي.

لم تسأله عما يفعل به. ذهبت مسرعة وجاءت بها وسلمتها بيده. ازداد عجبها عندما رأته وقد شرع يحفر وسط الباب بنصلها. سألته بلهفة:

-ماذا تفعل؟!.

في الرد عليها لم يزد على أن قال:

-ستعرفين بعدئذ. دعيني انتهي منه ومن ثم أحدثك عنه.

بعد وقت قليل عمل فيه ثقبا صغيرا ثم ادخل فيه أحد طرفي الحبل وقال:

-لنذهب الى الداخل.

هناك مد يده الى قطعة حطب صلدة وقال:

-انظــري.. ربطت طرف الحبل ذاك بقوة بالحلقة الاخيرة من حلقات بــاب ذلك الجانب. وســأعقد الطرف الآخر في وســط قطعة الحطب هذه وأحكمهــا على هذه الباب. عندها لــو اجتمعت كل ذئاب الدنيا وارادت ان

تنشــب مناخيرها بهذه الباب أو تلك لاسقاطها ارضا لما استطاعت. لانه اذا ما دفعن هذه فتلك تمســك بها وان دفعن تلك فهذه تمســك بها. اللهم الا اذا انقطع الحبــل وأنت تعلمين كم هذا الحبل قوي متين!. هل وضح لك ماذا فعلت؟.

تفتحت أســارير (نايش) كتفتح الــورد، وكأنها لم تكن تلك الـ(نايش) التي كانت قبل عدة لحظات خالية الوجه من اي بريق. قالت بابتســامة مشرقة:

-سلمت يداك.. رغم ان قلبي ينعصر كلما تخيلت انهن جئن الى داخل الايوان، يضربن مناخيرهن على الباب، مع ذلك ان هذا الذي فعلته يجعلني مطمئنة جدا.

نفحات ذلك الانشراح شملته ايضا، ففتحت اساريره هو ايضا وقال:

-هذه ستكون آخر حل لنا للحفاظ على انفسنا من هجومهن. اتعلمين انني أكاد أصدق ما قلته أن هذه ليست ذئابا بل عفاريت وغيلان.

-أترى؟.. اذن فانا لم اقل ذلك القول عبثا.

-ولكن لا تســجلي ذلك علي مالا. لقد قلت انني في سبيلي أن أصدق لا انني قد صدقت.

-ليكن، اسأل الله ان أكون على خطأ ولن يكونن كذلك.

-دعك من ذلك. اريد أن أعرف.. هل..

لم يكمل عبارته فقد ســمعا وقع سقوط بعض الاثاث. هيأ نفسه كرة اخرى. تناول مسدســه وقفز الى الخارج. أوصل نفســه بســرعة الى مكان المراقبــة. ولكنــه جفل وفز في الحال كمن ادخلــت ابرة تحت ظفره. كان المنظــر غريبا ومخيفا جدا. رأى الذئــاب كلها أمام باب الايوان، في الجانب الآخر من الســاتر النايلوني دون خوف أو جفول، وقد تجمعن وتشــابكن.

وبخاصة عندما رأى بعضهن يتعمدن أن يرفعن نحوه مناخيرهن ويصررن على انيابهن وكأنهن يردن القول له بصراحة:

-أين المفر؟! الليلة لن تنقذ روحك من مخالبنا بأي وجه!.

ضايقه ذلك الشعور تماما. كاد يركبه الهوس كما فعل في المرة السابقة ويطلق كل مافي شـــاجور مسدسه، ويفرغه فيهن. ولكنه تصبر ولم يفعل. بل سدد نحو واحد منهن، ذلك الذي كان يرفع منخره نحوه. ضغط على الزناد فترنح الذئب في مكانه وسقط.

كان مـــن جهته يتوقـــع ان تجتمع الذئاب على المصـــاب ويمزقنه اربا اربا ويأكلنه، في حين لم يحدث شـــيء من ذلك، بل سحقنه تحت أقدامهن وبكل بســـاطة واصلن الهجوم نحو داخل الايوان. كان على وشك أن يفقد عقله! قال مع نفسه: «لايمكن.. قطعا لايمكن. لايمكن أن يحدث مثل هذا قطعـــا». كاد يرفع صوته ويصرخ. انتبه الى نفســـه بســـرعة وقال فقط: «صدقت (ثايش). ليست ذئابا.. هذه ليست ذئابا».

منذ ذلك الحين صارت الذئاب بالنسبة اليه قطيع عفاريت وغيلان لا تهاب من شيء. أطلق رصاصة اخرى وأردى واحدا آخر صريعا. وصار ذاك كسابقه تحت الاقدام. غير انه لاحظ انهن بعد ذلك صرن كالمجانين، صرن كزوبعة ويدفعن الســـاتر النايلوني!. وأخيرا بـــدأت قطع الاثاث تتزحزح، والتي كانت في القسم الاعلى قد سقط بعضها. نمت في أعماقه بذرة خوف. تخيل انهن بين لحظة وأخرى يجعلن قطع الاثاث تنهار ويمزقن الســـاتر النايلونـــي ويهجمن الى داخل الايوان. حينذاك تفلت الامور ولا يســـتطيع ايصال نفسه الى داخل الغرفة ويحكمان سد الباب!

ومع ذلك ذهب به الفكر الى انه مع اسقاط قطع الاثاث واعادة تنضيدها ان يدخـــل معهن في صراع. ولكن اتضح له بســـرعة ان ذلك غير مجد ولا

يقوى على مقاومتهن.

بينما كان غارقا في هذه الخواطر اذ بـ (ثايش) من جهتها قد سـمعت وقع سـقوط الاثاث وقد كانت مطلة برأسـها الى الخـارج. عندما اتضح لها بعد القء نظرة سـريعة وقد كانت مطلة برأسـها الى الخارج. وعندما اتضح لها بعد القاء نظرة سـريعة ما الذي يحدث، فقفزت واوصلت نفسها اليه، امسـكت بذراعه وسحبته بسـرعة الى الداخل. وهو كأنه توصل الى ذات القناعة ليقرر ذات القرار، ارخى نفسـه لها وتركها لتسـحبه. وحال ولوجهما الباب اسرع هو وتناول قطعة الحطب عاقدا رأس الحبل جيدا في وسطها وثبتها باحكام على الباب. وبعد الاطمئنان اليه، ذهب كلاهما امام المدفأة، وصارا يدفئان نفسـيهما وهما وقوف. لم ينطق أي منهما بشـيء. كان كل منهما في الباطن يتحدث الى نفسه.

بعـد قليل ذهبت (ثايـش) الى جانب اطفالها وجلسـت صامتة. غير (بارام) وضعية وقفته. أدار ظهره للمدفأة واتجه بعينيه نحو الباب.

## صولة الذئاب:

«.. الوقـت!.. مرور الوقت أفضل علاج!. ان يبزغ الفجر فانهن يولين الادبـار ونتخلص منهن. ان متاعبنا هذه لن تنتهي اللهم الا بذاك والا فلا يوجـد علاج آخر بين أيدينـا. فكم هو الوقت الآن يا ترى؟!».رفع بصره عـن الباب ونظر في سـاعته. كان الوقت الرابعـة الا ربعا. وكأنه يريد أن يزف البشرى السارة الى (ثايش)، التفت اليها قائلا:

-الرابعة الا ربعا.. لم يبق الاى القليل.

كانت (ثايش) تهم ان تقول شـيئا الا أن ضجيـج انهيار الاثاث الجمها ومنعها من الحركة. و (بارام) هو الآخر الذي كان لايزال أمام المدفأة، انتبه

وأصاخ السـمع. وعندما ظهر له ان الذئاب تنشب المخالب والانياب بالساتر النايلونـي وتمزقه، لم يبق لديه شـك في انها بـين لحظة وأخرى تهجم وتدخل الايوان. والى جانب ذلك اليقين، سـيطر على تفكيره ومشـاعره شـك. الشـك ذاك جعله ينط كالبرغوث ودفعه ليسـرع الى اتجاه الباب. تفحص قطعة الحطب وعقد الحبل باسـتعجال مرتبك. عندما اطمأن الى متانة تلك العقد تماما تركها وعاد الى قرب المدفأة.

لـم يمض طويل وقـت حتى اندفعن الى داخل الايـوان. وعلى عكس المرات السـابقة حيث كن يهجمن بصمت، جعلنها جلبة وضوضاء ثم غرز المخالـب ودفـع كلا البابين. لاحظ ان تدبيره قد جاء في محله جدا. الباب ترتج وتهتز ولكن الحبل وقطعة الحطب تسندها بقوة. التفت الى (ثايش) لينبهها فوجدها قد انحنت على طفليها وهي ترتعد رعبا. وبالقدر الذي أزعجـه ذلك المنظـر فقد أثار انتباهه. ولما نظر الى الباب قال في نفسـه: «وماذا لو انقطـع الحبل وطرحن الباب ارضا على هذا الجانب؟!. ماذا لو هجمن الى داخل الغرفة؟! يعني..».

لـم يكمل العبارة التي دارت في ذهنه. ودون ان يرفع بصره عن الباب قال وكأنه يحدث نفسه:

-يـا (ثايـش).. من الافضل ان نحبكهـا. نحبك تلك أيضـا كما فعلنا بالشباك.

بعـد ذلك أجال بصره في الغرفة ودون أن ينتظر جوابا لكلمته، ذهب الى كـدس الحب وصار يرمي بقطعة أمام الباب. وعندما انتهى منها ذهب ووقـف أمامهـا. لا بالعين الباصـرة بل بعين البصـيرة كان يرى كيف أن قطيـع الذئاب يتزاحم داخـل الايوان. بل كيف يضغـط على هذا الباب وتلـك بالرؤوس والمناخير. كان يرى هذا المنظر بعين الفكر والاحسـاس،

مما جعل قلبه يرتجف رعبا ورهبة من جهة ويجعل من اسناد الباب من جهة اخرى ضرورة مستعجلة جدا.

ولكن ماذا يفعل وكيف يحبكهـا؟!. «قطع الحطب؟!. ترى ما جدواها وكيف يسـتعملها؟!». في تلك اللحظة التي نقلها الى أمام الباب لم يكن قد قرر شيئا بصددها. فكر قليلا فلم يصل الى نتيجة. «انها قصار لا تتثبت في جانبي الباب!. لا فائدة منها».

صـرف النظر عن ذلك. «ماذا بقي لدينا في الغرفة». أجال نظره. «لا شـيء. الا فرشـة والاغطية وبعض الاواني. أجل. الكتلي والقوري وأقداح الشاي!. حسنا ماذا أفعل بها؟!».

دفعـت الذئاب الباب دفعتين او ثلاثا فـكان مع كل دفعة يرتج قلبه. ارتجاج القلب هذا ولد الاضطراب في نفسـه: «اذا سـقطت الباب على هذا الجانب فانها ستهجم الى الداخل!. وعندما تهجم..».

ومع انـه لم يكمل كلامه، ولكن جسـمه كان يرتجف في تلك اللحظة كريشـة في مهب الريح، وكان رأسـه ووجهه يقدحان شررا. وكأنما أوحي اليه من الغيب، ذهب فكره الى قوته البدنية. «.. الباب من خشـب الجوز الذي لا تؤثر فيه المخالب والانياب».

لـم يتردد. وثب الى داخل الباب. ثبت اطرافه الاربعة في جهتي الجدار واسـند ظهره عليها. أحكم بذلك سـد الباب ولم تعد تتحرك. ومن بعد، حين ضربـت أولى اندفاعـة رؤوس ومناخير الذئاب ظهـره، أحس بأنه مسيطر ازاءها. فرح بذلك كثيرا فقال في نفسه:

«ماذا يهمني؟. ساقف على هذه الحال حتى الصباح ولا احرك ساكنا».

و (ثايش) التي كانت حتى تلك اللحظة حاشرة نفسها جنب طفليها وهي ترقبه باسـتمرار، جلب انتباهها الشـباك فجأة فقالت في نفسها: «ها هو

الباب غدا هكذا. وماذا عن الشباك؟!».

عندها رفعت صوتها وبصوت ملؤه الفزع قالت:

-بارام.. ماذا عن الشباك؟ واذا من هناك؟.

لم تستطع اتمام عبارتها وظلت عيناها مسمرتين على الشباك. كما ان (بارام) من جانبه وكأنه ينتبه فجأة الى خطر محدق جدا، تسمر عليه نظره وقال في نفسه: «حقا ما معنى انني لم انتبه اليه حتى الآن؟! صحيح جدا أدري ان الثلج قد سده من الجهة الاخرى وقد ساواه بالافريز، ولكن مازال هناك فراغ باق ما بين الحائط وكدس الثلج وهناك فوق جبهة مقدمة الايوان فتحة تسمح بالعبور الى الفراغ ومن ثم الى امام الشباك. أنا واثق من ذلك. من أجل الضوء أردت ترك قدام الشباك مفتوحا وأبدأ من هناك لكنما عدلت عنه. قلت من الافضل بقاؤه هكذا ليمنع البرد. على ذلك انهن يستطعن المجيء من هناك الى مقدمة الشباك. علي أن أتدبر الامر. ان الشباك بذلك الوضع لا يستطيع الصمود أمامهن. ما هو أفضل شيء أعمله؟!».

لم يكن يعرف ماذا يفعل!. أزاح عينيه عن الشباك ونظر الى (ثايش). وكانت هي لاتزال شاخصة ببصرها اليه. ذهب به الفكر ان يطلب اليها الذهاب الى الشباك وتفعل مثل ما فعله مع الباب. لكنه عدل عن ذلك بسرعة وقال في نفسه: «انه من زجاج وسيكسرنه. وان كسرن الزجاج، فان تمزيق الاثاث وسحبه الى الخارج سيكون سهلا عليهن!».

أخذ يجيل عينيه في داخل الغرفة بسرعة. كان يأمل ايجاد شيء مما بقي في الغرفة، أو يأمل حتى من الجدران والسقف أن ينجدنه ويعالجن له هذه المعضلة اللعينة. واذا بالمدفأة تجلب انتباهه فجأة وبخاصة اسطواناتها. لم يطل التفكير بها كثيرا، نادى:

-يا (ثايش).. انهضي بسرعة. اطفئي المدفأة.

اندهشت (ثايش) وقالت:

-لماذا؟!.

-انهضي انت.. فيما بعد. عجلي واخرجي منها قطع الحطب واطفئيها.

فعلت في الحال ما قيل لها.

-لاتنتظرينهـا تبرد. خـذي قطعة قماش وانزلي قطع الاسـطوانات واسكبي الماء عليها.

كانت الاسطوانات ثلاث قطع. كان (بارام) قد حسب حسابه لاطوالها. وقد قرر ما سيفعل بها. قال:

-تعالي مكاني. اتقدرين؟.

-أجل أقدر.

-لاتخـافي ولا تجفلي من خمشـهن. انك ستشـعرين وكأنهن ينشـبن مخالبهـن في ظهرك. ولكـن لا، ليس الامر كذلك. لا تخـافي واحتملي. ان الباب من خشب الجوز ولا يستطعن أن يفعلن به شيئا.. أجل؟.

-أجل!.

تبـادلا المكان. ذهب بـارام وتناول قطع الاسـطوانات خطفا الى جهة الشـباك. صدق حدسـه. أخرج قطع الاثاث بسـرعة من الشـباك وثبت الاسـطوانات عموديا فيه بالقوة. ألقى عليها نظرة فاحصة سريعة. ارتاح فؤاده اذ صارت مع اطار الشباك حاجزا قويا محكما. ثم عاد فحشر قطع الاثاث في الشـباك ثانية. وللتجربة، جلس على حافة طاق الشباك ودفعه بظهره. ثم توجه بكلامه الى (ثايش) قائلا:

-أرأيت؟!. هو ذا الشـباك ايضا. أبقي شـيء آخر؟!. اللهم الا اذا هدمن الجدار ذلك لان الغرفة ليس فيها الآن سوى الجدران!.

بعد تلك العبارة، رفع ظهره عن الشباك وذهب الى الباب. قال.

-دعيه لي.

وعندما أسند ظهره الى الباب قال بهدوء:

-اســـتمعي الي.. الآن افعلي ما سأقوله لك. اولا، اذهبي ودثري الاطفال جيدا. ثم هاتي لي كل ما في الغرفة من أفرشـــة عدا تلك التي ينام عليها الاطفال. ساكدسها أمام الباب وأجلس عليها. بعد ذلك تلفحي أنت باللحاف جيدا واذهبي وأجلسي مسندة ظهرك الى الشباك كما أفعل أنا.

شـــعرت (ثايش) باطمئنان كبير وســـرها ذلك كثيرا. نفذت توجيهاته فورا. وقبل ان تذهب لتســـند ظهرها الى الشـــباك، قربت عقب المدفأة من (بـــارام) على أمل أن يفتح بابهـــا ويتدفأ بما فيها من جمر. لم يدعها هو أن تفعل وقال:

-خذيها وضعيها بالقرب منك. ستكونين أكثر حاجة اليها مني.

تجادلا حول ذلك قليلا وفي النتيجة انتصر رأي (بارام).

## مناخير الذئاب:

مع ان طريقة جلوســـهما كانـــت تتعبهما وتؤلمهما ولكـــن ذلك الهدوء والاطمئنـــان اللذين كانا يشـــعران بهمـــا في القلب والنفـــس كان يجعلهما قادرين على الصمود أمامه. حتى ان (بارام) بالرغم من خض الباب خضا باستكرار خلف ظهره كان واضعا سيجارة بين شفتيه وهو يرتشف دخانها بكل اطمئنان ويتحدث بشـــكل طبيعي الى (ثايش) أيضا. كان يتحدث عن وضـــع الناس في القرية حينما قطعت عليـــه (ثايش) حديثه وندت منها صرخة:

-لقد جئن.. اهتدين لهذا المكان أيضا. جئن!.

ترك هو حديثه أيضا وقال:

-ماذا يفعلن؟. حدثيني.

-اشـــعر انهن يجئن ويذهبن أمام الشـــباك. وبين حين وآخر واحدة او اثنتان منهن يتقدمن ويضربنه بمناخيرهن ورؤوسهن.

-لاتبالي. هو ذا عين ما يفعلن بالباب!. لاتخافي. اتخافين؟!.

-لا.. لا أخاف. لا أخشى لا من الشباك ولا من الباب.

-اذن؟.

-لا أدري. أخاف من شيء لاأدري ماهو!.

-عزيزتـــي (ئايش).. لا تربكي نفســك. أعني لا تخيفي نفســك. انك تخيفين نفسك. انك واثقة انهن لا يستطعن فعل شيء ولا يمكنهن الظفر بنا. اذن لماذا تدعين الخوف يسيطر عليك؟!.

لــم يكن لــدى (ئايش) أي جــواب تجيبه به فــلاذت بالصمت. ولكي يزيدها اطمئنانا قال:

-قد أوصلنا الوقت الى حوالي الخامســة. لــم يبق أمامنا الكثير. ما ان يطلع الفجر حتى نتخلص. تشــجعي وقوي معنوياتك. ها انت ترين كيف سددنا جميع منافذ الغرفة عليهن. أيثقبن علينا الغرفة؟!.

قال لها تلك العبارات من صميم قلبه. وكان ذاك أمله الاكبر هو نفسه. الا انه فجأة ودون سبب واضح، قدح في ذهنه سؤال: «يا ترى ماذا لو طلع الفجر ولم يبرحننا؟!.. افترض!..».

كان في ســبيله ان يسترسل، لكنما سرت في احشــائه وخزة حادة آلمته بشــكل وكأنها آلام مغص معوي. حتــى ان (ئايش) من جانبها اذ كانت في تلك اللحظة تنظر اليه بشــيء من الســرور، قد قرأت في وجهه المضطرب وخزة الألم فصرخت:

-بارام.. ماذا بك؟!.

اعاد نفسه لوضعه الطبيعي بسرعة. تظاهر بالابتسام وقال:

-لاشيء.. أظن أن البرد قد أثر في. سرى مغص شديد في بطني.

رفعت (ثايش) ظهرها عن الشباك ونهضت واقفة، دون أن تدري ماذا ستفعل. اتجهت تخطو نحوه. لم يدعها تصل قربه، قال:

-مابي من شيء. فقط ناوليني علبتي السجائر والثقاب وعودي مسرعة الى مكانك.

حينما عادت الى مكانها وجلست، شعرت وكأن الجهة الاخرى من الشباك هادئة. انتظرت فترة ولم تفه بشيء. لم ترد الافصاح عن شيء الى أن تتأكد. ولما اطالت الانصات ولم يطرق سمعها أي صوت أو حركة، قالت بصوت ممزوج بالفرح والاستغراب:

-بارام.. لقد انقطعت حركتهن!. الجهة الاخرى من الشباك هادئة تماما.

-أنا أيضا.. جهتي كذلك.. غريب!.

هكذا أجابها (بارام) بحماس. وبعد أن أسرع ورفع يده اليسرى ونظر في ساعته، كان مستغربا من ذلك جدا. قال لنفسه: «الساعة الآن الخامسة وعدة دقائق. أيمكن أن يكون الفجر قد طلع؟!. لا أبدا!. لايمكن أبدا. انني وان كنت قد قلت لـ(ثايش) ولنفسي أيضا بأن الفجر يطلع في السادسة الا ان بزوغ الفجر في الحقيقة يكون في السادسة والربع».

-أتظن ان الفجر قد بزغ؟!.

بهذا السؤال جعلته (ثايش) ان ينتبه. دون الرد عليها، رفع ظهره عن الباب ونهض وأدار اليها وجهه. أراد ان تتوضح له المسألة بسرعة. أغمض عينه اليسرى ووضع عينه اليمنى على الثقب الذي يمر منه الحبل الى الداخل. أتضح له ان الظلمة مازالت شديدة. أحدث ذلك في نفسه شكا

كبيرا. عندها وكأن الذئاب تريد شن الهجوم لا من الباب والشباك فحسب بل من الجدران ومن تحت الارض ويدخلن الغرفة، هكذا جلس واسند ظهره باحكام الى الباب. قال بصوت ملؤه القلق:

-يا (ثايش) انها خدعة!. ليست الا خدعة. لا تصدقي ذلك الهدوء. احكمي اسناد ظهرك الى الشباك ولا تتخلي عنه بأي وجه. انني أدري..

أراد الاستمرار على حديثه ليثبت جيدا انها خدعة، ولكن عندما لاحظ ان (ثايش) سترتبك من كلامه ذاك، اسرع وكف لسانه وغير الحديث وقال:

-انني أعرف انه مازال ما يقارب الساعة من الوقت لطلوع الفجر. ولكن ربما قد ضجرن وذهبن. يجوز هذا وان شاء الله سيكون كذلك.

كانت (ثايش) تعيد في ذهنها أقواله السابقة. ومع ذلك قالت في ردها عليه:

-ان شاء الله.

عند ذاك ولكي يمحو آثار أقواله السابقة قال لها:

-ألم تتعبك وضعية جلوسك؟. اذا كنت ترينها غير مريحة، دعيني أجد لها علاجا.

-لا.. لا حاجة لذلك. انها جيدة. ولكن قدمي قد خدرتا.

-حركيهما قليلا. أوضعي ثقلك عليهما بالتناوب.

-الغرفة في سبيلها أن تبرد كثيرا.

-ان كنت تشعرين بالبرد، دعيني اعطيك معطفي لتلبسيه.

-لست أحمل هم لنفسي. انني احمل هم الاطفال.

-لا تحملي هم اولئك. انهم مدفأون جيدا وهم في عز نومهم. انني أخشى فقط أن يستيقظا.

-صدقت. لئن استيقظا فماذا نفعل؟.

-لا ادري. أرجو الله انْ لا يستيقظا.

صمت كلاهما لعدة لحظات. أشــعل (بارام) ســيجارة وبدأ بارتشــافها، ذهبت عن ذهنه موجة الخوف. كان يرتشــف دخان ســيجارته بهدوء تام وينفثها ببطء من بين شفتيه. و (ثايش) أيضا بالرغم من انها قررت أن لا ترفع ظهرها عن الشباك لحظة، الا انها بلغت من الهدوء حدا حدا بها الى التفكــير بنار المدفأة التي أمامها، فمدت يدها الى الملقط الذي فوق المدفأة. وعندما عرفت أن يدها لاتصل اليها ما لم ترفع ظهرها عن الشباك، رفعت عنه ظهرها بشكل اعتيادي وأخذت الملقط بيدها وحركت به النار.

كانت النــار في طريقها أن تصير رمادا. ومع ذلك لفحت وجهها موجة من الحر. عندها وضعت الملقط في مكان وأحكمت اسناد ظهرها الى الشباك. نظرت الى (بارام). رأته لازال يرتشف سيجارته بشغف.

## الخدعة:

لم يطــل الهدوء كثــيرا. وكما ذهب اليــه (بارام)، هكــذا كان، حيث انتشــرت الذئاب داخل الايوان وقبالة الشــباك. صــارت وكأنها قد جنت وأصيبت بالســعار. شرعت بدفع الباب والشباك برؤوسها ومناخيرها بكل حقد وشراسة، كأنما هي غير آبهة بأن تتمزق مناخيرها ورؤوسها.

موجــة من الخــوف والرعب العظيمين قد اعتراهمــا من هذا الهجوم وأصيبا بخفقان القلب. حتى ان (ثايش) صارت ترتعد بحيث كان جسمها يكاد يرتخي وتهوى على الارض.

شــعر (بارام) من جانبه ســريعا بأية حال هي فسارع لنجدتها. وجه اليها الحديث قائلا:

-(ثايش).. أنظري الي.. الي انظري.

في تلك اللحظة كان رأسها قد تدلى على صدرها وكانت ترتجف ارتجافا. واستطاعت بصعوبة رفع راسها لتنظر اليه.

-ثم انظــري الى طفليك أيضا!. أترينهما كيــف هما في عز نومهما؟.. أتدرين بفضل من؟.

كانت القوة المتبقية في قلبه ورباطة جأشه تجاه هجمة الرعب والرهبة تكفي ليس له فحسب بل لتجعله على دراية بوضع (ثايش) أيضا، وليعرف كيف يشجعها وينفث فيها من القوة ما يمكنها من الصمود. لم يقل غير ما قالــه. لقد كان ذلك القدر كافيا، لان تكون (ثايش) بكلامه ذاك وبرؤيته هو ومنظر أطفالها مثل من كان على شفا الموت واذا بقوة سحرية تمنحه قوة شخص سليم معافى فجأة، هكذا انتصبت وتهيأت وبأقصى ما تستطيع حشرت نفسها في الشباك حتى ان (بارام) صاح بها:

-كونـــي حذرة. ليس بهذا الاحكام. اني أريـــد منك فقطان ان تكوني على بينة من أمرك ولا تفقدي رباطة جأشك ولو للحظة. اريد أن تعرفي أن فقـــدان المعنويـــة قد تكون ســـببا في أن نغدو طعامـــا للذئاب. أنا وأنت وذينك الطفلين أيضا. ثم أحب أن تعرفي أيضا انني لي ظهر واحد وها هو ذا قد اســـندته الى الباب، في الوقت الـــذي نحن بحاجة الى ظهرين ثانيهما ظهرك. أتفهمين ماذا أعني؟!.

كانت (ثايش) قد أوتيت روحا جديدة. كانت حتى بدون تلك الاقوال قد أوحت لنفســـها بما لايقبل الشـــك بأنها في قلعة فولاذية لا تســـتطيع الذئاب مطلقا أن تظفر بها. لهذا قالت في ردها عليه:

-انتهى. لاتهتم ولا تخشى مني. اتحسب اني أدع مخالب وأنياب الذئاب تنشـــب في أجســـاد أطفالي؟! اللهم الا اذا ثقبن ظهري وصدري ومن هناك

اوصلن انفسهن الى داخل الغرفة.

عندها اطمأن هو من جهته لا لـ(ثايش) والشــباك فحسب بل ارتفعت معنوياته أيضا أكثر فأكثر فقال:

-انتهى. أنا أيضا انتهيت. لم يبق لدي هم ولا خوف.

ولكن في تلك اللحظة بالذات، ســقطت عدة كتل من الثلج من موضع فتحة اسطوانة المدفأة في السقف الى داخل الغرفة. حسب ذلك شيئا اعتياديا وقال في نفسه: «كان علينا وضع شيء فيه بعد اخراجنا الاسطوانة منه». قال ذلك فقط وأدار عينيه عنها.

في الوقت الذي كانت (ثايش) كمن يوحي اليها انه ليس شــيئا اعتياديا ظلــت عيناهــا عالقتين به. ولم يمر ســوى وقت قصــير حتى علت منها صرخة وقالت:

-بارام.. انظر!.

-عندما نظر الى الســقف وقع بصره على مخالــب ذئب وكأنه أدخلها في عش يريد امســاك فرخ طير بهــا. ألقى نظرة عجلى على (ثايش). ولما أطمأن الى انها على هدوئها ولم ترتبك من المنظر أبدا، هز لها رأســه هزة رضى ومد يده الى مسدسه وقال:

-لايهمك!. ان دخولهن من هناك صعب. اما اذا كن ساحرات ويستطعن جعل انفســهن نحيفات ويتدلين الى الاســفل فاني لبالمرصاد لهن لتهشيم رؤوسهن.

لم تطل محاولة الذئاب الجديدة تلك زمنا طويلا. ثلاث أو أربع مرات وبعدهــا لم تشــاهد مخالبهن تتــدلى من الفتحة. ولكن بعــد ذلك بفترة قصيرة، صرخت (ثايش) مرة أخرى:

-بارام.. هل سمعت؟

-لا.. من أي شيء؟!.

-كسرن زجاجة من الشباك.

-لم أسمع شيئا.

-وأنا لم أسـمع الا صوت انكسـارها. اذ لم اسـمع صوت وقوع قطعة منها.

-ذلـك افضـل. اذ عندما يضربن بهـا مناخيرهن سـتجرح أفواههن واشداقهن. أتشعرين بأن أفواههن تصل الى قطع الاثاث ويسحبنها؟!.

-لا.

-اذن لا تبالي. كسر الزجاج لايجديهن نفعا أيضا.

بعد قليل من الصمت سألته (ثايش):

-كم الساعة؟.

نظر الى ساعته بلهفة. تفتحت اساريره برؤيتها وقال:

-تقارب السادسة.

-تقارب.. يعني كم بقي للسادسة؟.

-أتريدين ان اقرأ لك دقائق الساعة وثوانيها أيضا؟. حسنا. الآن الساعة هي السادسة الا سبع دقائق.. جيد؟.

-جيد.

ومن أجل أن يزيدها سـرورا، اراد ان يقـول لها بعض العبارات، ولكن لم ير حاجة لذلك. سـوى انه رسم ابتسامة على شـفتيه. وبفرح غامر اشعل سـيجارة وشـرع بتدخينها. ثم مد سـاقيه دون ان يرخي ظهره عن الباب. جعل جسمه في وضع مريح. فعلت (ثايش) كما فعل هو وصارت في وضع اتكاء اعتيادي على الشباك.

**الفجر:**

فجـأة خيم صمـت غريب للمـرة الثانية على داخـل الايوان وخلف الشـباك. كانت تجربة المرة السـابقة مازالت حية لديهم. انتبها واصاخا السـمع فقط. حاولا ان يسـمعا ليس فقط اصواتهم وتحركاتهن بل حتى أصوات تنفسهن. غير أنهما لم يسمعا حتى هذه ايضا. قالت (ئايش):

-يبدو وكأنهن قد ذهبن!.

لم يكن (بارام) يعتقد ذلك. قال:

-لايمكن. صمتن فجأة!. لماذا هكذا فجأة؟!.

-أيخدعننا؟!.

-يحتمل.. كما في المرة السابقة.

-ها ان الساعة قد تجاوزت السادسة. الم تقل أنت..

-أجل.. ولكن أنا..

لم يكمل كلامـه، واذا بالذئاب وكأنهن قد تلقين جميعا ايعازا في ذات اللحظة، فعملنها يوم حشر. شرعن بالعواء والعويل بكل ما أوتين من قوة في حناجرهـن، لا بل بالصـراخ والزعيق الذي يصـم الآذان. والغريب في الامر انهن تخلين عن دفع الباب والشباك بمناخيرهن ورؤوسهن.

ذهب فكر (ئايش) الى الطفلين في الحال. قالت:

-بارام.. الطفلان. لو انهما اسـتيقظا الآن من هذا الزعيق فماذا أفعل أنا؟! انهما سوف يموتان فزعا.

لم تكد تنتهي من كلامها بعد واذا بهما قد نهضا سوية. لعدة لحظات ظـلا مندهشـين يصيخان السـمع. ولكـي تطمئنهما امهـا قالت بصوت حنون:

-ناما يا عزيزي.. ناما فمازال الوقت مبكرا!.

قالــت ذلك لكي لاينزعجا من صوت الزعيق. ولكنهمــا ومنذ اللحظات الاولى لاستيقاظهما فزعا وكأنهما لم يسمعا كلامها أصلا. اجهشا سوية ببكاء شديد جدا.

الاب والام كل مــن جانبــه راح يحاول تهدئتهمــا. كم حاولا معهما أن ينهضــا ويأتيا اليهما فلم يفد ذلك معهما. لــم يتحركا من مكانهما وكانا يصرخان في آن واحد.

فقدت الام الصبر. رفعت ظهرها عن الشــباك تريد الوقوف. فارتفعت صرخة من بارام قائلا:

-لاتفعلي.. اجلسي مكانك. انا أذهب اليهما. يمكن أن يشرعن باستعمال مناخيرهن.

أيقظتها الصرخة. عادت لتجلس وأحكمت ظهرها الى الشباك.

-سأذهب لأجيء بهما اليك.

-والباب؟.

-اعتمد على الحبل.

لم يتمهل.. ذهــب وخطفهما وخطف معهما بطانية. اوصلهما بلحظة الى امهما ووضعهما في حجرها. ثم ذهب حالا الى الباب ووضع ظهره عليها. وعندما جلس قال:

-دثريهما جيدا بالبطانية وحاولي أن تسدي آذانهما

فعلت ما قيل لها. ثم ضمتهما أن تسدي آذانهما.

فعلت ما قيل لها. ثم ضمتهما بشدة الى صدرها. لم يمض عليهما وقت طويل حتى سكتا ولزما الصمت في حضنها.

زعيــق الذئاب الــذي كان يصم الآذان، كما بدأ فجــاة هكذا صمت فجاة نظر كلاهما الى بعضهما باستغراب. ولفترة لا تتجاوز وقت تدخين سيجارة، اصاخا الســمع ولم تبدر منهما اية كلمة. كل مــا توضح لهما هو ان صمتا

وسـكونا قد خيما على داخل الايوان وخلف الشباك. ولم يكونا يسمعان اي صـوت او حركة تدل على بقائهن أو ذهابهن. حيرهمـا ذلك واذهلهما ولم يعرفـا كيف يعللانه. لهذا ايضا لـم يعرفا ماذا يقولان حوله. الى ان فقدت (ثايش) الصبر من جانبها فقالت:

-ترى، ماذا جرى؟!. ابقين ام ذهبن؟!.

-لا أدري.. انني أيضا لا أدرك!. غريب!.

-وما العمل؟.. ماذا نفعل؟!.

-لننتظر فترة اخرى.. لنر ماذا سيحدث.

-من المحتمل أن يكون الفجر قد طلع.

نظر (بارام) في ساعته. كانت تقارب السادسة والنصف. قرر ان ينهض على قدميه وينظر من فتحة الحبل الى داخل الايوان. في الحال لسع سؤاله السابق قلبه.. «ماذا لو لم يكن قد ذهبن؟!». هذه المرة أيضا تجهم وجهه وتغير لونه. ومرة أخرى انتبهت اليه (ثايش) فنادته:

-بارام.. لماذا ارتبكت هكذا؟!.. ماذا بك؟!.

ودون أن يجيبهـا نهض واقفا وقال في نفسـه أثناء ذلك: «لئن لم يكن قد ذهبن فهذه هي نهايتنا وانتهى!».

ثم ما ان وضع عينيه على الفتحة حتى غدا كمن كان هو وعياله أمام المشـنقة وزفت اليهم بشرى حياة جديدة، حيث استدار وبسرور منقطع النظير صاح:

-(ثايـش).. انه الصبح.. لـم تبق الذئاب.. انتهـى.. نجونا.. نجونا.. انتهى.

تنفست (ثايش) الصعداء من جانبها وتفتحت اساريرها كالورد. رفعت ظهرها عن الشـباك ونهضت على قدميها. أخذت اطفالها وذهبت وجلست

علـى فراشـهما. وضعتهما الى جانبها واتكأت على الحائط ومدت سـاقيها لتستريح.

في تلك اللحظة كان (بارام) قد فتح الباب ومد رأسه بحذر الى الخارج. ظـل على تلك الحال قليـلا ينظر ويدقق. وعندمـا اطمأن جيدا وخطا خطوة ليخرج نادته (ئايش) لا عن خوف بل كمن اعتاد الاسـتمرار على ذلك الكلام قائلة:

-حاذر على نفسك!.

عندما عاد الى الغرفة، ذهب وجلس الى جانبها. أخذ الاطفال في حضنه وقبلهما. عندها نظر الى امهما وابتسم لها. غير انها قالت بكل هدوء:

-الآن وقـد نجونا من ذلك الكابوس الرهيب. ولكن الامر يبقى منوطا بسؤال وجوابه.

قرب بارام رأسه وقبلها وقال:

-لاحاجة لطرح السـؤال. لملمي الملابس الضرورية للاطفال ولي ولك.. سنعود الى مجتمع الذئاب ذوات القدمين.

١٩٨٢/١/٤

# صولة القلب

## «بعض الملاحظات حول هذه القصة»

١-كانـــت الصياغــة الاولى لهذه القصة عـــام ١٩٥٧ حينما كنـــت جنديا في (الشعيبة).

٢-في بداية عام ١٩٦٥ أعطيت المســودة الى صديق محب للأدب لقراءتها، وهـــو من جانبه كتب على صفحـــة بيضاء في نهاية المســودة بتأريخ ١٥-١٩٦٥/١/١٦ بعض الاسطر حسب مذاقه الشخصي للقصة وبارك لي.

في رأيي لايبدو ان تلك المســودة هي نفس مسودة عام ١٩٥٧ لانها كتبت في دفـــتر مدرســـي ذي مئة صفحة في حين أتذكر جيـــدا بأنني هناك (في الشـــعيبة) غالبا ما كنت استخدم ورقا خفيفا (رايز) لتسهيل حل واخفاء كتاباتي. لذلك أتصور انني أعدت كتابتها في فترة ما خلال ســـنوات ١٩٥٨-١٩٦٤ واتلفت المسودة الاولى.

٣-في عـــام ١٩٧٠ كتبتها ثانية في دفتر صفحات فولســـكابية مع مقارنتها بالمسودة الســـابقة، دون أي تغيير في مضمون الاحداث والوقائع. وقد اجريت عليها بعض التعديلات وأسهبت فيها أكثر وقدمتها للرقابة مع مجموعة (حزمه من الآلام الغصبى) القصصية لنشرها وعلى صفحاتها ختم الرقابة. ولكن يبدو انني حين طبعت المجموعة المذكورة قد عدلت عن نشرها معها.

٤-في الايام الاخيرة اعتياديا راجعت كتاباتي التي لم انشرها لحد الآن، وقــد وقع بصري ثانية على المســودة، ثم بعد قليــل من التفكير قلت في نفسي:

يا ترى لماذا احجب النور عن هذا النتاج مدة ستة وعشرين عاما كاملة؟!
واخيرا اتخذت لها قرارا برؤيتها للنور وتبقى هي وحظها ونصيبها.

٥-لا اعرف عنوان القصة في مسودة عام ١٩٥٧ ولكنها في المسودة الثانية كان (صولة القلب). ثم في الثالثة عام ١٩٧٠ اصبح (ذكرى قديمة) بينما الآن اجعله (صولة القلب) من جديد.

٦-واخيرا كلما قلبت الامور حول اجراء التعديلات عليها مجددا توصلت الى انه من الافضل ان اتركها كما هي. ولكن حسب خبرتي الحالية اجريت عليها بعض التعديلات الطفيفة من ناحية الاملاء ونقاء اللغة.

ح٥ ع ٢٩-٣٠/٣/
١٩٨٣

كل امرئ يترسخ حدث فعال من احداث ماضي حياته في اعماق تفكيره بشكل خاص ويصير تذكارا خالدا ثابتا بحيث لو اتيحت له فرصة ما، لهاج وماج وتمثلت امام عينيه احداثه كشــريط سينمائي. هناك بعض الناس من يتبجحون قائلين بانهم يســتطيعون محو ذلــك الحدث من اذهانهم. ينسوه بحيث لن يعودوا يتذكرونه ابدا. فيما عندي ان اولئك اما ان تكون قلوبهــم وضمائرهم قدت من الفــولاذ او انه لم تخلق لهم قلوب وضمائر اصــلا، وهذا ما لايتفق الا مع البهائم لا مــع بني آدم!. واني وبقدر تعلق الامر بي لســت مــن تلك البهائم وقد تاكد لي اليوم بشــكل خاص بانني لست من اولئك.

في هــذا الصباح زوجت ابنة جار لنا لم تتجاوز الخامســة عشــرة من

رجل جاوز الســتين. لطمت الفتاة وجهها وحثت التراب على رأسها ونتفت شعر رأسها لفترة طويلة. لكن ذلك لم يجدها نفعا ولم يسعفها بشيء. بعد ذلك اســتنجدت بي. أجل بي ولا فخر فقد كنــت معروفا في زقاقنا أنني رجــل محترم جــدا وذو رأي وتدبير ومحبوب من الجميــع، ارتمت الفتاة المسكينة على يدي وقدمي. قالت وهي تستغيث استغاثة مؤلمة:

-ادركني يا خالي العزيز.. انقذني!. ليس لي على وجه البسيطة هذه سواك من استنجد به. ناشدتك الله ساعدني وانقذني.

فعلت كل ما كان بوسعي فعله وأكثر. بذلت جهدا كبيرا مع أهلها وأقاربها. سخرت كل ماكان في طاقتي وعندما لم يجد كل ذلك نفعا، لم أتمالك نفسي وثرت بوجوههم بالســباب والشتم. ويبدو اني قد تجاوزت حدي، لهذا هم ايضا تمردوا علي وشرعوا بالانتقاص مني. طيلة العشرين سنة التي عشتها في ذلك الزقاق، كان ذلك هو أول مرة أواجه بهذا الشكل.

عندما رأت الفتاة المسكينة ذلك انتهزت فرصة وجاءت باحترام عميق وقبلت يدي وقالت:

-خالــي العزيز انــك فعلت كل ما كان في اســتطاعتك. اغفر لي. فقد ســببت لك متاعــب جمة عبثا. أشــكرك. ولكني قد قــررت من جانبي الذهاب بكل سرور لاستقبال موتي.

عندما تركتني وذهبــت، كانت رابطة الجأش، هادئة جدا، ولم يظهر عليها أي دليل يدل على انها ذاهبة لاستقبال موتها حقيقة.

وبعد ذهابها بساعة واحدة فقط، علا الصراخ والبكاء من أهلها وأقاربها. الفتاة المسكينة كانت قد هدأتهم ريثما سنحت لها فرصة، وعندها كانت قد انسلت الى مكان منعزل وأفرغت على نفسها صفيحة نفط، ثم جاءت وسط الدار وأشــعلت في نفسها النار، وعندما ســارعوا لنجدتها واطفائها كانت قد

صيرت من جسدها لعريسها ذي الستين سنة من العمر كرة من الفحم.

ان تلك الكارثة التي جرت لابنة جارنا اليوم والتي جرتني عرضيا الى دوامتها ايضا، هيأت الفرصة لحادثة في أيام شبابي بعد خفوت دام خمسا وثلاثين سنة ان تخض أعماق نفسي وقلبي لتفور وتجيش.

انا لست كاتبا، وعلى مدى الخمسين سنة من عمري، لم يخطر ببالي قطعا ان انشغل بعمل فارغ كهذا. ولكن ها ان رغبة جياشة جدا تدفع بي أن اسطر على الورق تلك الحادثة التي مرت بي. على اني لست طامعا الآن أن افعل ذلك ليقرأها هذا وذاك يوما ما، لا ابد ان بل ربما من أجل ان أطفئ رغبة في فقط.

-١-

شهر ونصف مذ خلت دار بجوارنا. جاء الكثيرون في تلك الفترة لمشاهدتها لغرض السكن فيها، ولكن بعضهم لم ترق له، والبعض الآخر ما كانوا يتفقون مع صاحب الدار على الايجار. انا لم اكن اهتم بالعائلة التي ستحل فيها كما كان والداي يفعلان. كان طموحي الوحيد أن يكون للعائلة ولد شاب مثلي يشغل مكان صديقي المخلص السابق الذي رحل أهله عن الدار الى مدينة اخرى وابتعدنا عن بعضنا. ولهذا ألمني كثيرا عندما استؤجرت الدار ولم أنل مناي. ولكن أمي على العكس مني كانت مسرورة جدا بذلك. اذ اخبرتني بانها عائلة تتكون من امرأة ورجل وطفلين وهي كما يبدو عائلة محترمة ذات حسب ونسب. مع ذلك قلت في نفسي «لما لم يكن لديها من يكون صديقا لي فان وجودهم وعدم وجودهم عندي سواء».

في تلك الليلة أعادت والدتي ذات الشيء على سمع أبي فأبدى كلاهما الرضا عن ذلك. سمعت أبي يقول لها:

-كنت أخشــى كثــيرا الابتلاء بعائلة كبيرة ذات مشــاكل. ولكن الله قد استجاب لما كنا نـريد.

وقالت امي رادة عليه:

-اننــي مثلك ايضــا كنت احمل ذلك الهم طيلة الشــهر والنصف التي مرت. ولكن لله الحمد، ها ان قلبي قد زأيله الهم ذاك.

وحسب العادة الجارية من الآباء والاجداد، دعوناهم الى طعام العشاء في مســاء اليوم التالي. في تلك الليلة لم أر وأتعرف سوى على الخال (عهوول) اذ ان امرأتــه وطفليه كانوا في الداخل لــدى والدتي. ولكن من هيئة هذا ســريعا ما رســمت لامرأته صورة في خيالي «لايمكن أن تكون في أقل من خمســين او خمس واربعين ســنة». في حين بعدها مباشرة جال في ذهني سؤال: «اذن ماذا يعني أن ليس لهما سوى طفلين صغيرين؟!». هذا السؤال دفــع في الى القاء نظرة أدق علــى الخال (عهوول)، فقد ظهر لي انه ان لم يكن عمره أكثر من ســتين فهو ليــس بأقل منها، رغم ان علامات الفتوة والنشاط كانت لاتزال بادية في محياه وجسمه ولا يبدو عليه ان الشيخوخة والارهاق سيسرعان اليه. ولكن لم تكن في رأسه وذقنه حتى شعرة واحدة سوداء. عشرات التجاعيد كانت تملأ سيماءه وحول رقبته وعنقه.

جفناه كانا منطبقين على بعضهما وعيناه سائرتان نحو الانطفاء، لم يكن مدخنا ولكن ســعالا مبحوحا كان يشتد عليه ويضيق عليه أنفاسه. «اي انــه الآن كان يجب أن يكون لديه أبناء وبنات كبار الســن، دعك عن الاحفاد من بنين وبنات. أيمكن أن يكون قد تزوج قبل ذلك امرأة اخرى وماتت أو طلقت وخلف منها اطفالا اعتزلوا عنه؟!». حللت الامر في نفسي على تلك الصورة دون أن أصل الى نتيجة ما.

قضى أبي والخــال (عهوول) الوقت حتى ســاعة متأخرة بالاحاديث

المتنوعة. امتع الاحاديث عندهما والتي قضيا بها وقتا طويلا، كانت سرد ذكريات أيام شـــبابهما والتي من خلالها جاءا على ذكر الكثير من الاحداث التأريخيـــة التي مرت بالمدينة والمنطقة. وما كان منها ذا علاقة بهما كانا يطيلان الحديث عنه، مما جعلني طيلة تلك الجلسة استمع فقط دون أن اجد ما أتفوه به شخصيا.

كنت على أمل بأن الخال (عهوول) سيتحدث ضمن أحاديثه عن بعض خفايا حياته الخاصة، عن سر الطفلين الصغيرين مثلا، ولكن دون جدوى. لم يتطرق طيلة حديثه مع أبي لا من قريب ولا من بعيد الى الحديث عن زواجه المتأخر هذا ولم يقل شيئا.

كنت على يقين من أن أبي كان يدور في ذهنه نفس السؤال الذي يدور في مخيلتي. كان واضحا عليه ذلك ويأمل مثلي أن يوضح الخال (عهوول) ذلك من خلال أحاديثه، ولكن لم يفعل. عندها، أبي كمن فقد صبره، أدار الحديث دون أية مقدمات حول زواجه فقال:

-في أيام شبابنا عندما كان الولد يصل سن البلوغ، كان أقاربه يسرعون بوضع طوق المرأة والاطفال في عنقه ويحكمون رباطه.

لم يكمل أبي حديثه وسكت. أدركت سريعا مقصده، ولماذا فتح باب ذلك الحديث ولماذا قطعه وسكت. كان واضحا انه يريد جر الخال (عهوول) الى حبائل الاسـئلة والردود وجعل صاحبه مدينا له بحق السؤال منه! لكنما الخال (عهوول) باســتثناء هزة رأس لم ينبس ببنت شفة. عندها اضطر والدي أن يتم حديثه فقال:

-عـدا هذا الولـد الذي هو ولـدي الوحيد، عندي ثـلاث بنات كلهن متزوجات، وكبراهن الآن لها طفل في سن السادسة أو السابعة.

ولكن الخال (عهوول) لم يزد هذه المرة أيضا عن قوله:

-أطال الله اعمارهم ويأخذ بأيديهم.

أبي، كمن أفقدته تلك الاجابة الصبر، واجهه بسؤال ماكر:

-فيما اعتقد ان لك اطفالا كبارا وهم ليسوا الآن معك!.

نظـر الخال (عهوول) الى أبي بضجر وتلكأ قليلا عن الاجابة. ثم قال بتجلج.

-أبدا.. ليس لي الا هذان الاثنان.

لم ينفك أبي عنه فساله سؤالا آخر قائلا:

-يبدو انك تزوجت في وقت متأخر.

عندها وكأنه اراد قطع دابر توجيه اسئلة اخرى على أبي، أجاب بشيء من الاطالة قائلا:

-أجل.. أجل.. ســت سنوات فقط منذ أن تزوجت. في الحقيقة لم تكن لي الرغبــة في الزواج كليا. ولكن في النهاية صارت هذه المرأة من نصيبي. وكمن يبحث عن عبارة مؤثرة تنهي الموضوع، صمت قليلا ثم قال:

-القسمة.. ما كتبه الله على الجبين لابد أن تراه العين.

وكأي امــرئ يؤمن بالله بصدق، قال تلك العبــارة من أعماقه. بعدها أسرع لتغيير دفة الحديث، وسد السبيل الى أسئلة أخرى على أبي..

* * *

في اليوم التالي عندما عدت من المدرســة الى البيت، رأيت امرأة صبية عنــد أمي، جلب انتباهي انهــا عندما دخلت الغرفة وضعت الخمار عجلى على رأســها ولفته حول رقبتها وكورت نفسها. ونظرا لما رأيته منها عدت القهقرى خارجا لاصعد الى غرفتي. ومع انسحابي سمعت أمي تقول لها:

-يا بنية، لا تتصوريه هكذا.. انه مازال طفلا. فلم الخجل منه؟!

لاول مــرة كنــت ارى تلك الفتــاة عند أمي. قلت لنفســي: «ترى من

تكــون؟!. انها ليســت من اولئك الاقارب الذين أعرفهــم، ولا من الجيران. اذن مــن تكون؟. أتظن انها ابنــة الخال (عــهوول)؟. ان الخال (عهوول) قال بنفســه ان ليس له سوى طفلين صغيرين. اذا كان الامر كذلك فليس مستبعدا ان تكون احدى قريباتهم، من أقاربه هو أو امراته. ولكن لماذا لم تتحدث أمي عنها البارحة؟!».

لم يمض وقت طويل حتى ذهبت. وما ان خرجت من باب دارنا حتى طرق ســمعي صوت فتح واغلاق باب بيت الخال (عهوول) أيضا. لهذا لم يبــق عندي شــك في ان المرأة مــن بيت الخال (عهوول)، ســواء كانت من أقاربهم أو اي شيء آخر. لهذا ضحكت بسري على عقل أمي وقلت: «يبدو انها كانت تعتقــد ما ان تقول: معهم فتاة صبية جميلة حتى أصاب على الفور بسهام الحب وأهيم في الجبال!».

عللت الامر بهذه الصورة وبقصد المزاح معها قلت:

-الشهادة لله، ان بيت الخال (عهوول) عندهم فتاة حلوة أيضا.

غير ان مزاحي انقلب وبالا علي، فقهقهت ضاحكة وقالت:

-انها مرة.. اياك!. ان تلك الفتاة الجميلة هي امرأة خالك (عهوول)!.

لجمــت في البداية وأخذتني الدهشــة. ثم القيت على وجه أمي نظرة مليئة بالتعبير كمن لايصدق قولها، سالتها مندهشا:

-احقا تقولين أم تمزحين؟!.

قالت وهي مازالت تضحك:

-لا أكذب عليك.

بعدها قطعت سورة ضحكتها ولكنها قالت بأسلوب مازح:

-لــاذا، هل انتويت امرا مــا في قلبك؟! اضطربت من نوعية ســؤالها فأجبت قائلا:

-أنا؟.. لا.. لا ابدا. أية نية؟!.

ثم افقت من دهشتي بسرعة وقلت:

لم تزد امي على ذلك شـيئا وأنهت الامـر. ولكن لم يمر وقت طويل حتى مر بخاطري سؤال آخر اقلقني:

-يا ترى ان تلك القسـمة التي جمعتهما هكذا سوية، هل جعلت منهما متآلفين كذلك ايضا؟!.

-٢-

نسـاء زقاقنا كلهن كـن يحلفن براس امي ويحترمنهـا، ولم يأت ذلك اعتباطا، بل كان نتيجة لحسـن افعالها وتصرفاتها وسـيرتها الحميدة، اذ انها طيلة الخمس عشـرة سنة التي عشـناها في الزقاق لم يحدث قط ان اختلفت مع واحدة منهن او اغاضت واحدة. أضف الى ذلك اذا ما حدث ما يكدر الصفو بينهن سـارعت الى التوسط بينهم واصلاح ذات البين بلسان حلو، كما انها كانت مستعدة دائما لعيادة مرضاهن واسراع الى مساعدتهن عندمـا تحل باحداهن كارثة أو مشـكلة ما. وردا للجميل الذي تسـديه والدتـي لهن كن يبجلنهـا ويحترمنها كثيرا. ولهذا كن يزرنها باسـتمرار ويعقدن مجالسـهن عندهـا ويفضين لها بما لديهن مـن أخبار وقصص. وسرعان ما دخلت (گولچين خان) امرأة الخال (عەوول) جارتنا الجديدة في زمرة نسـاء الزقاق. وقد شعرت أنا شخصيا منذ البداية أن أمي صارت تألف (گولچين خان) اكثر من سـائر نسـاء الزقاق وتميل اليها وكثيرا ما كنت اسمعها عندما يأتي ذكرها والخال (عەوول) تقول لأبي:

-انني حتى الآن لم أر امرأة حسـنة السلوك والسيرة ونابهة مثلها. انها ملاك نزلت من السماء.

ولكن، ترى ما سـبب هذا المديح لها من قبل أمي؟! لم يكن يتضح لي ذلك، سـوى ما كنت أقوله لنفسـي: «اما أن أمي تعطف على حالها. أو انها جعلت امي تميل اليها بأريحيتها وحسن كلامها!».

انني حتى ذلك الحين، عندما كنت أدخل البيت أرى واحدة أو اثنتين او أكثـر من نسـاء الحارة وبناتها في كل الاوقات عنـد أمي في لبيت، دون أن يخطـر ببالـي قط ولو لمجـرد حب الاسـتطلاع ان اتفحصهن أو ألقي نظـرة عليهن، بل ما ان احس بوجودهن وأنا عند باب البيت حتى كنت أصعد رأسـا الى غرفتي التي كانت تؤلف مع الشـرفة التي أمامها الطابق الثاني لبيتنا. في حين بالنسبة لـ(گولچين خان) فكأنما قورة سحرية كانت تدفعنـي في كل المرات التي كنت أحس انهـا عندامي لألتفت اليها أو ألقي عليها نظـرة متفحصة عجلى.. نظرة متفحصـة عجلى فقط، ثم اذهب نحـو غرفتي على ما اعتدت عليه. ولكن الاعجب من ذلك هو انني هناك في غرفتي لم اكن كما كنت في السـابق اسـرع الى كتبي ودفاتري لاشـغل نفسـي بالقراءة والكتابة ريثما يخلو المكان عند أمي، بل لكأنما تلك القوة السـحرية كانت لحظة بعد لحظة تسـري في باطني وتنحو نحو الانفجار، تفقدني الصبر وتفعل بي فعلا عمري!.

شباك غرفتي كان يطل على صحن دارنا وكذلك على صحن دار (گولچين خان)، وعندما كنت أصل الى غرفتي كنت أشـغل نفسـي في البداية بكتبي ودفاتري، ولكن لم يكن ليمضي الا وقت قليل حتى كانت القوة السـحرية تثيرني وتضغط علي. وأخيرا كنت أترك كتبي ودفاتري وتأخذني الحيرة. ثم فجأة كنت أقف على قدمي، وبقفزة واحدة اوصل نفسـي امام الشباك. كنت اتسـمر هناك حتى تغادر امي. وطيلة الوقت الذي تقطع به المسـافة بـين صحن دارنـا ودارها والى أن تدخل في احدى غـرف دارها، كنت أظل

امعــن النظر فيهــا!. لا بل اذا ظلت باقية في صحــن دارهم، كنت انا ايضا لا أبرح الشــباك وأظل انظر اليها!. واخيرا عندما كانت تغيب عن ناظري وتتعطل القوة السحرية عن العمل وتتخلص مشاعري من وثاقها، حينذاك كانت تنتصب امامي مجموعة من الاســئلة القاســية الصعبة المؤلمة. كنت اقول لنفســي: «من اجل اي شــيء هذا ولماذا؟. لاي غاية وســبب؟!. ما لي ولـ(گولچين خــان) وماذا أريد منها؟!» ومن ثم عندما أحاول الاجابة عن اســئلتي لم أكن أحصل على جــواب حقيقي وصحيح، وما كنت أدري ماذا اريــد، كل مــا كنت أعرفه أن هذه الرغبة في النظــر اليها تزداد يوما بعد يوم شدة وحدة.

★ ★ ★

بعد فترة قصيرة، ما يقرب من الشهر والنصف فقط، أحسست انا ايضا بــأن طفليها الصغيرين صارا وكأنهما ملاكان بهيان جميلان قد هبطا من الســماء. الفتي لهما كانت أكثر بكثير من الفة أمي لامهما وأشــد جيشانا. عندما كنت احتضنهما وكانا يبتسمان لي ابتسامتهما الملائكية ويضحكان، كنت اشــعر بسعادة وســرور عميقين جدا، كان أحدهما في الثالثة والآخر في الخامســة. وكانا جميلين ممتلئي الجســم خفيفي الظل، كان يبدو في عيونهمــا كم هما أيضا يميلان الي ويحبانني. فاذا لم تأت بهما امهما الي كانا هما يأتيان عندي ضاحكين. وفي بعض الاحيان كنت أذهب اليهما لآتي بهما وبمجرد أن أناديهما من باب الدار كانا يأتيان.

صحيــح ان الطفلين كانا ذكيين مرحين جــدا، ولكن هل يا ترى كان ذلــك وحده ســببا في الفتي لهمــا؟! في الظاهر نعم.. وهكــذا كنت أوحي لأمــي ولـ(گولچين خان). ولكن في قرارة نفســي كنت واثقا من ان هناك ســببا أشــد تأثيرا، من أجل الرغبة في التمعن فيها والنظر اليها!. والا فان

لاختـــي كلتيهما اطفال، لهـــذه ثلاثة اطفال، وللاخـــرى طفلان وكل من اولئك الاطفال في غاية الجمال والظرافة والمرح، في حين لم أكن لهم سوى خال اعتيادي وحبي لهم لم يكن بدرجة حبي والفتي لهذين الطفلين.

وللحقيقة، انني قد شخصت في وقت مبكر في أعماقي بواعث السر هذا. ولهذا كنت كثيرا ما أضغط على نفسي. وخاصة في الليالي التي يجافي النوم عينـــي وأظل اتقلب في الفراش لوقت متأخر من الليل، أن أجيب عن ذلك السؤال بلا لف ولا دوران ان يا ترى لماذا أشغل فكري بـ(گولچين خان) ولأي شيء جعلت أحاسيسي ومشاعري هكذا في شغل شاغل بها؟! لكنما لم أجب نفســي في أية مرة بصدق وصراحة. باســـتمرار كنـــت ألف وادور وأحاول خدع نفســي. ومن أجل هذه الغاية كنت امحص الامر على اشـــكال. كنت أقول: لست مقتنعا ان القسمة يجب ان تجعل من عجوز كالخال (عهوول) شريك الحياة لامرأة شابة كـ(گولچين خان). وعلى هذا فلست مقتنعا ايضا أن (گولچين خان) الآن ســـعيدة وعن حياتها راضية. بل لا يخامرني شك في انها تعيســـة جدا يملأ قلبها الهم والالم. فما دام الامر كذلك اذن فاني قد اشـــغلت بها فكري واتطلع اليها كيما أعرف ما اذا كانت تلك التعاســـة والهمـــوم والآلام بادية عليها ام لا!. أو مـــا اذا كان يبدو على محياها عدم الرضا ام لا! بعدها كنت أجيب نفسي بنفسي وأقول:

«نعـــم.. الهم والحزن والحســـرات تبدو عليها ويقـــرأ ذلك في محياها بوضوح. ولكنها مخادعة.. بابتســـامة مفتعلة دائمة على شفتيها، تخفيها عن الناس وتوحي لهم بأنها مرتاحة البال سعيدة».

حينما كنت أصل لهذه النتيجة، كنت اقول في نفسي: ان (گولچين خان) مجبرة، مظلومة، بحاجة الى عطف، بحاجة الى سلوى ومساعدة للتخفيف من عبء ذلك الظلم والجور الذي تئن تحته. انني أشفق عليها. ان قلبي ليتفطر عليها!.

هكذا وبكل بساطة كنت احدث نفسي عن الامر وانحو به نحو العطف عليها ومن ثمة كنت أقول لنفسي: يجب أن احدثها.. يجب ان أدخل معها في أحاديــث لعلي اســتطيع تخفيف شــيء من آلامها وعذابهــا. آه كم أود التحدث معها.

وأخيرا وقبل أن يســتولي علي النوم واستكين، كنت اقطع على نفسي عهدا بأن أحاول غدا التكلم معها.

كنت اقضي الليالي على هذه الصورة. حتى ساعة متأخرة كنت اتقلب في دوامــة الموضوع وينشــغل فكري به حتى يأخــذه الارهاق، عندها كان النوم يغلبني على ان أنفذ قراري غدا. ولكن عندما يصبح الصبح وأغدو وجها لوجه امام تنفيذ القرار، كنت تراني وكأني أسلك دربا لانجاز مهمة هو (درب الخير والشــر)!. أو بالاحرى أن أقــول: طريق النزاهة او طريق الفضيحــة!. كنت أعرف أن الخال (عهوول) يخــرج في الصباح الباكر من البيت، يذهب للمسجد اولا ثم الى دكانه. لهذا كنت اقول:

أثناء خروجي من البيت الى المدرسة، بحجة الاطفال الج البيت وأحدثها. ولكن عندما كنت أقدم على التنفيذ، كنت أقف طويلا أمام باب دارنا، اقلب الامر وأقول لنفســي: ان ذهابي في هذا الصباح الباكر ذريعة واهية. بعدها كنت أتخذ ســبيلي الى المدرســة. وفي الطريق كان فكري يظل منشــغلاً في الموضــوع. كنت أقول: عند الظهر لما أعود، ان كانت عند أمي، ســأرحب بها بحرارة ثم انثني الى غرفتي. يظل ذلك قراري طيلة ذلك اليوم المدرسي. في حــين عندما كنت أعود ورغم مصادفتي لوجودها عند أمي كثيرا الا انني كالعادة كنت آخذ سبيلي الى غرفتي رأسا. وهناك كنت لا أزال اقول:

الآن وبحجة ما ســأنزل قاصدا أمي وأنفذ قراري، لكن الوقت كان يمر وتــترك هي أمي وتذهــب الى بيتها دون أن اتحرك مــن مكاني. ثم كنت

اقول: ماذا سيحدث فيما لو انني اومئ لها من هنا من الشباك واجلب انتباهها؟. ولكن سرعان ما كنت أتراجع عن ذلك واقول: ان ذلك عمل قبيح جدا وغير لائق لا يمكن أن يبدر مني قط.

بهذه الصورة كانت الليالي تأتي وتروح حتى ينقطع صوت ابي وامي. ومن جهة اخرى يخمد الضوء من غرفة (گولچين خان) والخال (عهوول) والظلام والصمت ينشران جناحيهما على كل الزقاق. ولكنني وأنا المعروف عني لدى أمي ولدى كل سكان الزقاق انني منكب على كتبي ودفاتري ومنشغل بالسعي، في حين كنت استلقي على ظهري واقلب الامر للمرة الالف قاضما معه دماغي حتى يوقعني في دوامة من التقلب والتلبط ثم قرار الاستمرار الى مالا نهاية والاستسلام في النهاية الى القوة السحرية، للنوم.

★ ★ ★

على اية حال، في النهاية حققت امنيتي وتحدثت اليها.. أجل تحدثت الى (گولچين خان)!. كيف؟. في الظاهر، عن طريق الاطفال فحسب كما بدا لي، وهي فيما عندها كانت قد شخصت ذات السبب.

انا وفق ما كنت معتادا عليه، ذهبت اليهما لاضمهما الى صدري وآتي بهما الى بيتنا. ولكن بدلا منهما، وجدت نفسي وجها لوجه مع امهما عندما فتحت لي شقا صغيرا من الباب وبصوت ناعم مرتجف ولربما انا الوحيد الذي يدرك معناه وسره في جميع هذه الارض، قالت:

-انهما نائمان.. لو شئت ايقظتهما؟.

كانت هذه هي المرة الاولى التي نلتقي فيها وجها لوجه عن قرب وتقع عيناي في عينيها. في تلك اللحظات كنت اتمنى ملء فؤادي أن أتطلع اليها بعمق وان لا أرفع بصري عن محياها. ولكن التمني شيء وتحقيقه شيء آخر. لهذا سرعان ما ابعدت عنها بصري وقلت:

-لا.. لا. دعيهما ينامان.

أدرت وجهي لانسحب الى الوراء، ولكنها واصلت الحديث وقالت:

-عندما يستيقظان سآتي بهما اليك.

قلت ردا عليها:

-حسنا.

بعدئذ تركتها ودخلت البيت وولجت غرفتي. هناك عتبت على نفسي عتابا شـــديدا، أن لماذا أضعت تلك الفرصة من يدي وأسرعت الى التراجع!. كنت أقول في ســري: انني كنت احترق شوقا لفرصة كهذه، ولكنها عندما ســنحت بكل تلك السهولة واليسر أضعتها بكثير من الشطط. كم أنا جبان ورعديد!.

ثم لم يبق لي الا الانتظار. ها انها بين لحظة واخرى تأتي بالطفلين. وكنت أشــغل نفسي باســتمرار اما عند امي أو في غرفتي أو في باحة الدار وعلــى الاخص في مجاز الــدار، على أمل فيما لو جــاءت ان التقيها هناك بعيــدا عن عيون أمي، عســى أن احدثها بكلمتين. طــال انتظاري كثيرا، ولكنهــا حضرت في النهايــة. في تلك اللحظة كنت في زاوية من صحن الدار إشــاغل نفسي بســندانة ورد. رفعت رأسي بلهفة شــديدة ونظرت اليها. تراءى لي ان فوق شفتيها بسمة ذات مغزى وهي تبعثها لي بشكل خاص. في الحال فجرت رعشــة مرقت كالبرق في أعماقي وأربكتني. وكأني بها قد أحست بذلك فأسرعت لاطفاء تلك البسمة من شفتيها. واسمعتني صوتها الرخيم الذي يشبه نغما شجيا اذ قالت:

-ها انني جئت بهما.

لم أقل شيئا. سوى اني ذهبت لاستقبالهما. فتعمدت هي القول:

-لم ينهضا لحالهما بل ايقظتهما!.

كنـــت أرغب وأريد من اعماق قلبي الرد على قولها بعبارة ذات مغزى، ولكن لســاني قد انعقد على قول أي شـــيء. أخذت أنــا الطفلين بالحضن وتوجهت هي أيضا صوب غرفة امي.

-٣-

منذ ذلك الوقت بدأت اشياء كثيرة في (گولچين) بالتغير. ظواهر كثيرة ســابقة اختفت وظواهــر جديدة بدأت بالظهور. احسســت بأنها لم تعد تحتاط مني كالســابق ولا تتحاشــاني. قبلا عندما كنت أصادفها في بيتنا تســرع بلف نفســها بخمارها وتدير لي ظهرها. لكنها منـــذ ذلك الوقت، صارت لا تكلف نفســها ذلك وتظل جالســة كما هي. عدا عن انها صارت شــيئا فشيئا اذا ما كانت مدبرة تحاول أن تقبل علي بوجهها. وأنا بدوري عندما كنت أرى منها ذلك صرت مندفعا أحاول الخروج من قوقعة الخجل والتحاشــي. فعندما كانت تأتي الى بيتنا كنــت أرحب بها. واذا ما أتيحت لي فرصة مــا في أي مكان أجدها فيه لوحدها، أرحب بها بحرارة وأحاول اطالة الحديث معها.

لم يمر وقت طويل حتى ذهبنا الى أبعد من ذلك. كلانا القينا الخجل جانبا بحيث كنا نتحدث بشــكل اعتيادي جدا ودونما خجل، بل في كثير مــن الاحيان اذا ماوردت عبارة لطيفة كنــا نقهقه ضاحكين. وقد حدث ذات مــرة ان جئــت صدفة ودخلــت البيت على عجــل وكانت هي تروم الخــروج في تلك الاثناء. ورغم محاولة كل منــا الابتعاد عن الآخر، لكننا اضطررنا الاصطدام ببعضنــا!. الحقيقة لانني ارتبكت وخجلت جدا. اما هي وان كانت في البداية قد تملكتها الدهشة قليلا، ولكنها وعلى حين غرة أخذت تقهقه بشدة وقالت وهي تغمز وتلمز:

-ايه.. يا لك من ماكر!.

خجلت من قولها ذاك كثير وازددت ارتباكا ودون أن أشـــاطرها الضحك أو أرد عليها أســـرعت في قطع الدهليـــز وصحن الدار وانتهيت الى غرفتي. وسمعت امي اثناء ذلك تقول:

-ماذا بك!.. هل أنت مطارد؟.

عندمـــا وصلت الى غرفتي وهـــدأتُ قليلا، قلبت الامور على اشـــكالها فلـــم اصل الى نتيجة. تـــرى هل امي تعلم ببواطن الامور هذه ام لا؟. ثمة مـــن جانب آخر، لاحظت ان افعالا كثيرا تبدر منها ســـرا، الامر الذي كان يحيرني. شـــعرت انها اذا ما أوتيت فرصة تركـــز نظراتها علي من طرف خفـــي وتتأمل في، ومن ثم اذا ما تأملتها انا وتلاقت عيوننا كانت ترتبك وتســـرع في غض طرفها عني، بعدها تأخذها نوبة عميقة من الألم وتعلو وجههـــا غمامة من الحـــزن. لم أهتم للامر بادئ ذي بـــدء واعتبرت ذلك صدفة وكنت أقول لنفســـي: «افرض ان عدة اشـــخاص يجلسون في غرفة مـــا، فاذا لم ينظروا الى بعضهم ترى ماذا يفعلون اذن؟ ايجوز ان يخفضوا رؤوســـهم جميعا، او ينظروا الى الســـقف ويتحدثوا الى بعضهم وهم على تلك الصورة؟!». نعم.. في البداية هكذا كنت افســـر الامر. ولكن ســـرعان مـــا اتضح لي ان ليس كل النظرات متشـــابهة وان الانســـان قد خلقت له مشـــاعر يســـتطيع بها التمييز بين تلك الامور الدقيقـــة. نعم.. نظراتها كانـــت تختلف كليا عن نظرات امي وان تلك الحـــيرة المليئة بالعذاب نوع خاص آخر ولها مغزاها.

عندما كنت أحلل الامور على هذه الشـــاكلة، كنت أصل الى نتيجة، ان هناك سرا لا استطيع ادراكه.! سر ذو طرفين، مخفي منه في اعماق نفسي قـــدر ما هـــو مخفي منه في أعمـــاق (گولچين خان). كنـــت أقضي الليالي

متقلبا في الفراش حتى الصباح سـعيا وراء الكشـف عن ذلك السـر دون الوصول الى نهاية المطاف.

* * *

مع الأيـام أخذت زياراتها لأمي تزداد باسـتمرار الى درجة قد يحدث ان تأتـي اليها ثلاث او اربع مرات في اليوم. لم يكن ذلك في الظاهر شـيئا غريبا. لم يبق لدى امي من أطفالها غيري، وكانت تقضي اليوم بطوله في البيـت وحيدة، وقد يصدف أن تزورهـا اخواتي وأطفالهن في فترات. لهذا كانت سـعيدة جدا أن تكون لها دوما أنيسـة مثل (گولچين خان) تجالسها وتقضـي معها اوقاتها. وكثيرا ما كنت اسـمعها تحدث أبي عن سـرورها وتشـكر الله وتحمده على تهيئته لها أنيسـا.. أجل الظاهر هو ذاك. ولكن بالنسـبة لي كان شـيئا آخر. بالنسبة لي كان هناك في الامر سر. «فلو لم يكن هناك سـر في الامر اذن ما معنى انها مع دخولي البيت اراها حاضرة فورا عند امي». كنت احلل الامر مع نفسـي بهذا الشكل وشعرت ان السر الذي أطلت البحث عنه يكمن هاهنا. ولكني لم أكن أصدق قلبي. أو بعبارة أخـرى لم أشـأ تصديقه والاعـتراف به، الى ان صرحـت بذلك أمي وهي تفتعل الهزل ضاحكة عندما قالت:

-سيبلغ بها الامر ان تأتي عندنا ليلا وتنام في غرفتك أيضا!.

هي قالت عبارتها تلك ببسـاطة ودون قصد منها، وكأنها تعتقد انني لا أحسـب لها أي حساب واعتبرها من باب الهزل فقط. ولكني من جانبي قد صدقت وبقيت مبهوتا. أنا لم أكن اعتقد انها دقيقة الملاحظة ويقظة لهذا الحد. ولهذا كان كلامها بالنسبة لي قدر ما كان غير متوقع ومفاجئ كان حقيقيا وصريحا في اعلامي بأنها الى أي حد مطلعة على أعمال وافعال

(گولچين خان) جميعها تجاهي. وبالمقابل فانها لابد أن تكون مطلعة على مايبدر مني تجاهها. وعلى أية حال حاولت ان لا ارتبك ومن أعماق قلبي أجبتها بالقول:

-لا سمح الله يا امي. لايليق بي شيء كهذا قط. أنا الذي رضعت حليبك أنت كيف أجيز لنفسي أن آتي امرا كهذا؟!.

وعندما سمعت هي مني ذاك الجواب، ندمت كثيرا وقالت ضاحكة:

-كم أنت سريع التصديق!. انني امزح معك.

أنا كنت واثقا بأنها تمزح معي. ولكن ماذا عن نفسي؟. ترى هل كنت صادقا في اجابتي تلك؟. الحق يقال، لم أكن واثقا من نفسي وكنت في ريب منها، رغم ان جوابي ذاك كان من اعماق قلبي!.

-٤-

في ذلك اليـوم الذي جاءت الي في غرفتي، كانـت قد تجملت وتزينت وكأنهـا عـروس تهيأت لليلـة الزفاف. كانـت ترتدي ثوبـا ابيض بلون الحليـب، وتحته ثوب داخلـي حريري أحمر كان كلـون الدم، ثم صدارا أزرق اللـون ذا ورود كبيرة وقد زررت الزر الاخير منه بقوة بحيث قسـم جسـدها من الوسط الى قسـمين. الحديث في سـرك، انني ومنذ اللحظة الاولى جلب انتباهي قسـمه الاعلى فخطفت فوقه بصري. في أحاديثي مع رفاقي وخاصة اولئك الذين هم اكبر مني سنا كنت قد سمعت الكثير عن الوجنات الحمر والعيون السـود والنظرات البهية وسمعت الكثير ايضا عن الجيد الرائق والصدر المرمري والنهد النافر والقد الأهيف، وكذلك شـيئا يسيرا عما تحت الخصر. في حين انني الآن أرى كل تلك الاشياء بأم عيني ومن قريب جدا. أجل.. في ذلك اليوم الذي جاءت الي لاول مرة في غرفتي،

هكذا جاءت وهكذا عن قرب أرتني نفسها وكأنها ايقظتني من غفوة طال امدها سبعة أيام بلياليها. على مدى عدة لحظات نقلتني من مرحلة عمر الى مرحلة اخرى!. صيرتني من طفل رجلا! تلك الاشياء التي كنت اسمع بها من قبل شفاها، وكانت عندي عبارة عن أقوال بلا معان ولم أكن أفهم مغزاها وانما كنت ارددها كالببغاء، الآن ها هي عن قرب وعن قرب شديد اجدها وأحس بها. لا بل تمر في جسدي رعشة لذيذة جدا وتسكرني بشكل غريب، رغم اني لا أعرف لماذا وكيف يحدث هذا!.

لم أكن منتبها لنفسي ودون أن اشعر بحالي، كنت أجيل الطرف بلهفة فيها من قمة رأسها الى اخمص قدميها وأدقق النظر فيها من فوق الى تحت ومـــن تحت الى فوق، الامر الذي لـــم أدر كم مرة أعدت ذلك وكررته وكم طال أمد ذلك!. لكنها من جانبها أفزعتني ونبهتني حين قالت بابتســامة ذات مغزى:

-كفى!.. لقد كلت عيناك!. لماذا تنظر الي هكذا؟!. أجنبية أنا!.

بعدها شـــعرت ان الدم قد اندفع الى رأســي ووجهي وأحسست بحرارة، انحبس لساني من الخجل وانقفل فمي. لم أكن أدري بماذا أجيب، سوى ان تمكنت من أن أقول لها:

-اين كحيلان وكذيلان؟!.

هكذا كنت أدعو طفليها. قالت:

-تحت.. عند أمك.

أنا سكت، وان كنت أبحث عن موضوع أجعل منه محورا للحديث بيننا الا انها سألتني فجأة.

-ليتني كنت أعرف لماذا أنت تحب ذينك الطفلين هكذا؟.

في ردي عليها قلت:

-لانهما جميلان وخفيفا الظل.

ولكنها قالت وعلى شفتيها ابتسامة ملؤها الدلال:

-كأمهما؟!.

بعدها تسمر نظرها على وجهي والبسمة مازالت مستمرة على شفتيها. كانت اللهفة بادية عليها لسماع جواب ما. لكنني لم أجبها بشيء. لانني في الحقيقة لم أكن أعرف بماذا أجيبها، نعم أم لا؟!. لم أكن أعرف. وهكذا ظلت تنتظر الاجابة. فلما لم تجد مني جوابا راحت تشغل نفسها بكتبي.

ثم أجالت نظرها على جدان الغرفة حيث كانت عدة صور معلقة عليها، معظمها مناظر طبيعية وبضمنها صورة لامرأة كنت قد استللتها من مجلة ملونة. عندما وقعت عيناها عليها اقتربت منها وتطلعت فيها لفترة وهي تردد قائلة:

-الشهادة لله، انها جميلة.

ثم التفتت الي فجأة وقالت:

-بالله عليك، اينا أجمل، أنا أم تلك؟!.

احرجتني ثانية. هذه المرة ضغطت على أعصابي وأجبرت نفسي لاقول بلهفة:

-انت!.

أحسست ان اجابتي أمدتها بنوبة فرح، كأنما زفت اليها أحلى بشرى في حياتها. تفرست في لحظة ثم رسمت ابتسامة أبهى على شفتيها. وردت على اجابتي قالت:

-مادام الامر كذلك، ضع صورتي بدلا من تلك.

في تلك اللحظة سمعنا صوت جارتنا نسرين في الطابق الارضي وهي

تتحدث مع أمي. نسرين كانت أصغر فتاة من بين فتيات زقاقنا. هي كانت أصغر مني بسنتين. كانت هي واحدة من اللواتي يكثرن التردد على أمي، بل كانت تساعدها كثيرا في الاعمال البيتية. ومع ذلك لم يكن لي معها سوى المجاملة العابرة.

وحال سماع (گولچين خان) صوتها، انطفأ بهاء وجهها رأسا وعلتها الكآبة. قالت وكأنها تحدث نفسها بصوت واطئ:

-تتردد عليكم نسرين كثيرا!.

لم أدرك على أي وتر تضرب، أجبتها بسذاجة:

-تحب أمي كثيرا.

الا انها قالت بلمز:

-امك ام انت؟.

قالت ذلك فقط وبعدها خرجت من غرفتي على عجل وتركتني.

★ ★ ★

لم يغمض لي جفن تلك الليلة حتى وقت متأخر، وكنت اتقلب في الفراش. كان فكري وأحساسي قد تعلق بجملة مواضع لم أكن استطيع الخلاص منها بأي حال. مرات ومرات راجعت أقوال (گولچين خان) لذلك اليوم وأعدتها في نفسي: «ليتني كنت أعرف لماذا تحب ذينك الطفلين هكذا؟. كأمهما؟. أينا أجمل؟. علق لي صورة. أمك أم أنت؟».

حللت كلمتها الاخيرة هذه، ترى كيف تفسرها هي؟. لاشك انها تفسرها على ان نسرين تحبني، وان ترددها ذاك هو من أجلي. والاعجب من ذلك هو ان ما يبدر من نسرين لا يعجبها!. طراز حديثها والهموم المرتسمة على محياها تنبئ عن ذلك. ولكن لماذا؟. أتحسب ان (گولچين خان) قد

هامت بي حبا للدرجة التي تعتبر نسـرين غريمة لها؟. أجل.. لاشك انه لكذلك. فلئن كنت أنا حتى هذا اليوم أقول شـيئا من هذا النوع أحيانا في نفسي، لكنني كنت مترددا فيه. فان أقوالها اليوم لم تبق لدي أي شك. هل انني غبي للدرجة التي لا أشعر معها ماذا تعني بما قالته اليوم وأي قصد تبتغي من ورائه؟! واضح.. واضح جدا انها تحبني وهي هائمة بي.

عندما وصلت الى هذه النتيجة، شعرت أن نسيما سحريا عجيبا يداعب قلبي ونفسـي ويطير بي كطير الى السـماء. «تحبنـي وهائمة بي!». أعدت عبارتي بلذة ثانية وثالثة ورددتها مع نفسي مرارا وتكرارا. عندما أرخيت العنـان للخيال: (گولچين خان) هي التي تحرشـت، تماما كما فعلت اليوم. تقترب مني بغنج ودلال وبابتسـامة آسـرة.. تدنو مني أكثر فأكثر الى أن تقـف أمامي وجها لوجه. تعانقني. تضع فمها على فمي. تقبلني. وبدوري أمد اليها يدي وأشـبكهما حول قدها والصقها بصـدري. أقبلها. نظل على تلك الحال لمدة طويلة ثم نبتعد عن بعضنا!». كان خيالي ضمن ذلك المدى فحسب وعندما كنت أصحو ثم اتحول الى وضعية اخرى في الفراش.

كنت في أوج خيال عذب كهذا عندما سرت رعدة حادة في احشائي وعصرت قلبي!. «اوليسـت (گولچين خان) امرأة متزوجة؟. أوليس لها زوج وطفلان ايضا؟». احزنني ذلك تماما وتحول الى الم نفسي قاتل، وخاصة عندما تذكرت سـريعا حديث أبـي والخال (عهوول) منذ مدة ليـال خلت، حيث انني من جانبي كنت أسجله على صفحة جديدة نقية في دماغي بقلب صاف وشعور نقي، وكان قراري هو أن أعمل به كزاهد ولا أحيد عنه.

كان حديثهما عن المرء ذي السلوك الشائن الفاسق. كل منهما من جانبه كان يكيل الضربات للفاسق ويصبان عليه سيولا من اللعنات والشتائم. وفي عقيدتهما ان مثل اولئك الناس ليسوا جرائيم لانفسهم فحسب، بل هم يقضمون حياة

العشـــرات أيضا ويجعلونها جحيما. كذلك كانا يعتقدان ان جريرة الفسوق لا تغسل بأي ماء، وأن اي جزاء لا يتناسب والثأر منه. بهذه الصورة كانا يتحدثان عـــن الموضوع وكانا يصدران عليه أحكامهما بلهفة حتى بلغ الامر في النهاية بالخال (عهوول) ان تنهد تنهدة خفيفة خيل الي انه بترها وقال:

-ميرزا.. ان الفاسق لايمكن ان ينجو من العاقبة. فلئن قضى سنوات طوال في أحضان الفسق والفجور الناعمة بأنس واطمئنان، ولئن تمكن لسنوات طوال أن يغمض عينيه عن ذنوبه الكبيرة ويتغاضى عنها، ففي النتيجة لابد ان يلقى جزاءه جزاء فجوره ذاك. عندها يعض بنان الندم طيلة حياته ويلجأ الى الله، وسجود التوبة ينهك قواه. عند ذلك يشرب حتى الممات عذاب ماضيه القذر المسموم وذلك الفجور.

اثرت تلك الليلة في هذه الاقوال تأثيرا عميقا وصارت لي حفنة أخرى من النصائح والحكم، أضيفت الى تلكم الحكم والنصائح التي كانت تلقى باستمرار على مسامعي من قبل امي وأبي وتركز في ذهني منذ الطفولة بأمل حمايتي وابعادي عن السيئات فتعلقت في مخي. لهذا عندما تذكرت محاورة تلك الليلة وتذكرت اقوال الخال (عهوول) وضعت فيما بيني وبين نفســـي نصب عيني مقارنة مخيفة جدا وقلت: يا ترى اليس عقد ارتباط من ذاك القبيل هو الذي أجنب نفسي منه في الظاهر ولكن في أعماق قلبي ونفسي أرغب فيه، وها اني أشغل به نفسي، ليال طويلة واعصر له دماغي، اليس هو ذلك الفجور والسلوك الشائن الذي كانا يبحثان فيه ويكيلان له اللعنات والشتائم؟.

ترددت لوقت طويل قبل أن أســـتطيع الاجابة عن ذلك الســـؤال الصعب المعقد. وفي الحقيقة كان تــــرددي نتيجة لعدم جرأتي على الاجابة عنه، لذا كنت اتحاشاه. اذ انه عندما كان زمام ذلك الهوى والرغبة التي في سويداء قلبي يفلت من يدي تضعف عندي الرغبة في أن أقول (أجل). ولكن عندما كنت أضع

نصب عيني أن كيف سننكشــف ونفتضح، وكيف سينتشر الموضوع كالنار في الهشيم في الزقاق والحارة والمدينة، وكيف ان الخال (عەوول) وأمي وأبي كل من جانبه يجن جنونه، ثم يصبون علي جام غضبهم وشتائمهم واقوالهم البذيئة، ومن المحتمل أن يطردني أبي من البيت وعندها أكون مضغة في افواه الاخوة والاصدقــاء والمعارف، عندما كنت أضع كل ذلك نصب عيني يتملكني خوف وفزع وعذاب حاد كحد السكين يقطع احشائي اربا اربا. بعد ذلك كنت أقول من الاعماق: «أجل. أجل. فسق. سلوك قبيح. انها اعمال الحيوان لا الانسان».

في ذلــك الوقت الذي وصلت فيه الى هذه النتيجة، كنت مســتلقيا قبالة نافــذة غرفتي. لاحظت ان الفجر قد طلع. نهضـــت على قدمي وذهبت الى النافــذة. صرت وجها لوجه مع جبل (گۆيـــژه) حيث الافق يبدو في الجانب الآخر منه مائلا نحو البياض. وفي تلك اللحظة أيضا طرق سمعي صوت الاذان من المســجد القريب منا. ودون أن أشــعر، منح ذلك فكري وشــعوري هدوءا وسكينة سحرية!.

بعد ذلك عندما عدت الى فراشي واستلقيت، سرعان ما غفوت ودخلت في احضان نوم عميق لذيذ.

-٥-

ظلام الليل لم يكن قد انقشع بعد، ولم تكن تسمع اية همسة أو صوت في أي زقاق من أزقة المدينة، عندما اســتنفر زقاقنا في وقت مبكر وسرت فيه جلبة وضوضاء.

اعتاد ســكان زقاقنا جميعــا على الذهاب كل عــام في نزهة جماعية في منتصــف الربيــع، فيصبح اليــوم ذاك حفلا بهيجا بحيــث تبقى لذة ذكرياته طيلة الســنة التالية. نزهة ينتظــر حلولها طوال عام كامل، اي

نزهة ستكون!. قل ماشئت ولا تخف!.

تلك السـنة شأنها السنوات السـابقة صار أهل زقاقنا صغارا وكبارا في ذلك الوقت المبكر في حركة. كل عائلة في عجلة من أمرها وتحزم أمتعتها. ففي مدة لا تتجاوز نصف السـاعة كانوا جميعا على استعداد، ولم يمض وقت طويل حتى لفنا الدرب نحو المتنزه. كانت السـعادة تتقطر من كل شـيء وتنحدر في أعماق القلوب. ها هي الشـمس المشـرقة التي أطلت من ثلمة الجبل توا تنشـر أشـعتها في كل الجهات. وتلك هي الجبال الباسقات التي كان الثلج الفضي يتلألأ من فوق قممها تحت أشعة الشمس. والينابيع وجداول المياه المنحدرة من السـفوح ألق شلالها يتنافس مع أشعة الشمس البهية. الاشجار والنباتات والاعشاب الخضر. قطع الرياض المزدانة بمختلف الالوان في عرض السـهول والحقول. اضافة الى كل هذا، نسـيم عليل هادئ كان قد غدا انفاسا عطرة للطبيعة الرائعة القاتنة. نعم.. كل شيء تتقطر منه السـعادة والسرور وتتحدر الى سـويداء القلوب، وبخاصة تلك القلوب التي كانت ذاهبة لتقضي يوما من العمر بسـعادة وأمان في أحضان ناعمة رخصة حنونة لتلك الطبيعة الجميلة.

لم تكن الطبيعة وحدها هي التي تنشـر السـعادة وتدخلها في سويداء قلوب المتنزهين، بل اولئك الذين هم بملابسهم الزاهية بألوانها وتحركاتهم وصدى ضحكاتهم، والعيون السـود والوجنات البهية والشـفاه القرمزية، وكل حركة وهمسـة ايضا كانت تظهر أقصى السعادة وتمزج امواج المسرة بتلك الطبيعة الجميلة. انه كان اليوم الوحيد في السنة الذي لم تكن تجد فيـه العبوس والهم على محيا اي من اولئـك. الجميع حتى وان كان من أجل ذلك اليوم فقط، كانوا يدعون جانبا هموم وآلام حياتهم ويتوجهون بلهفة كبيرة نحو المتنزه على أمل ان يصلوا اليه بأسـرع وقت كي يعقدوا

مجالس الانس والطرب وحلقات الرقص.

قلبي أيضا شـأنه شـأن القلوب الاخرى كان قد ركب جناح السـعادة. كان ينشـرح برؤية تلـك الطبيعة الجميلة ويواكب افراح ومسـرات تلك القلـوب التي تحيط به، يضحك وتعلو صحكاته جنباً الى جنب ضحكاتهم وقهقهاتهـم لانه طرح جانبا كأولئك تماما ذلـك العبء القليل من هموم الست عشرة سنة من عمره ونساه.

مع ذلك لم يؤات الحظ قلبي أن ينهي النهار بسـعادة، بل سـرعان ما صار وجها لوجه مع ذلك العبء القليل من الهم، بكثير من العنف والحدة المؤثرة وعلى بعد عدة أشبار فقط.

توقفنا في الطريق بجوار نبع ومرج بهيج وجميل جدا. وبناء على طلب الجميع ترجلنا من السيارة من أجل استراحة قصيرة. وقد رغب البعض القيام بجولة من الرقص، وقضوا فترة قصيرة دون مشـاركة النساء. ثم صعدنا الى السـيارة لكي نكمل المسـيرة نحو المتنزه. ولكن ماذا رأيت؟! السيدة (گولچين خان)!. أجل (گولچين خان) وقد جاءت وجلست رأسا بجانبي. جلست بدرجة من الاطمئنان في المكان، وكأن ما من قوة يمكنها ازاحتها منه. انا من ناحيتي كنـت لا ازال مصرا على قراري الذي اتخذته الليلة الماضية. لهذا ما ان رأيتها حتى حاولت ايجاد حل سـريع لهذه المشلكة لانقاذ نفسي منها. حاولت بكل تفان واخلاص، ولكن دون جدوى. كل كان قد اتخذ مكانا لنفسه حسب رغبته ولم يكن من المعقول أن اصرخ وأقول: أيها الناس سارعوا لنجدتي. انني لا اريد الجلوس بهذا المكان!. لا أريد أن تجلس هذه السيدة بجانبي هكذا وتضع فخذها لصق فخذي!. أيها الناس بالله عليكم سارعوا لنجدتي!.

شـرعت السـيارة بالتحرك وبدأت الارتجاجات والهزات. ولكني احسست سريعا ان السيارة تهز (گولچين خان) اكثر من اي احد، وتؤرجح جسدها يمنة

ويسرة بشدة وفي اكثر الاحيان تدفعها نحوي!. في تلك اللحظات كان القرار في فكري واحساسي لايزال بكامل ثباته. كنت لا ازال اطرق على دماغي بشدة واقول: انه فجور وفسق، اجل فسق وفجور. لهذا بالقدر الذي كانت تنثني نحوي وتلصق كتفهاو فخدها وصفحة وجهها بكتفي وفخدي وصفحة وجهي، كنت اتجنبها وانثني نحو الجهة الاخرى لابعد جسدي عن جسدها.

شعرت انها احيانا قد توصلت الى قناعة بأنها تضرب في حديد بارد. لذا كانت تهفت وتركن الى الهدوء!. ولكن لم يكن يمر وقت طويل حتى كانت تعاود الاندفاع بلهفة وشوق اكثر وتعيد الكرة، الامر الذي جعلني شيئا فشيئا ان أرجع لنفسي لامسك بخناق مشاعري وأحاسيسي لانحو عليها باللائمة واتهمها بالقسوة وبخاصة عندما كان منظر (باجي ثامين) و (بههى خان) و (نازدار خانم) يتراءى لعيني وأرى كل واحدة منهن يجلس بجانبها زوج شاب جميل وعلى شفاههم جميعا البسمات والضحكات.. منظرهم ذاك كان يدفع بي لايقاظ عواطفي واثارة الهموم والتألم الباطني.

في المتنزه من بين كل الرجال في الزقاق فقط أبي والخال (عموول) لم يكونا مشتركين في النزهة اذ كانا يحسبان بأن زمن النزهة بالنسبة لعمريهما قد ولى. لهذا لم يكن من النساء المتزوجات سوى امي و (گولچين خان) ممن لم يكن معن ازواجهن. وواضح انه بالنسبة لها لو ان زوجها كان بجنبها، لكان ذلك مدعاة لاثارة الشعور بالعطف والحزن والاسى في قلب واحد مثلي بشكل اسوأ!.

في الطريق عدا وقت الرجات والاهتزازات حيث كانت تشد فخذها الى فخذي وتسحبها بسرعة كما لو كانت متعمدة في ذلك، لم يحدث شيء آخر يستشف منه امرا ما. ولكن من ناحية اخرى كنت اراها تلقي بين آونة واخرى دون شعور منها نظرة سريعة على امي، كي تستعلم ما اذا كانت تراقبنا أم لا!.

* * *

حالما وصلنا الى المكان الذي اخترناه ودون اية استراحة، عقد مجلس الطرب وبدأ الرقص على اشده. كانت النساء هن المبادرات وكأنهن يردن اطلاق كل ما في قلوبهن ونفوسهن من شوق ولهفة مكبوتة دفعة واحدة في ذلك اليوم. هكذا شرعن بالرقص وتعالت ضحكاتهن جميعا وهن يرقصن. وكان من الواضح انهن سعيدات وفي غاية الانشراح. لهذا لم يمر وقت طويل حتى تحولوا الى رقصة (ڕەشبەڵەك)، النساء والرجال كتفا الى كتف ويدا بيد يتمايلون. لقد اثر بي ذلك المنظر فاندفعت مثلهم الى حلبة الرقص ولكني لم اتمكن ان افعل كما فعل الاولاد الآخرون لانتخب اجمل فتاة وأمسك بيدها. حاولت كثيرا فلم استطع، ولذا أمسكت يد أمي بيدي اليمنى ورجل آخر صار الى جانبي الايسر وانغمرت بحماس في الرقص.

وبعد وقت قصير ادخل احدهم نفسه من الخلف من جهتي اليسرى. عندما التفت لاراه، سرت رعشة كالبرق في كامل جسدي، ومع ذلك ودون شعور مني القيت نظرة لجهة امي. لم يبد على وجهها اي شيء يدل على انها منتبهة للحدث المهم الذي حدث في جانبي الايسر. اعتياديا ادرت وجهي الى الحدث المهم.. كانت (گوڵچين خان) وارتكازا منها على نظام رقصة الـ (ڕەشبەڵەك) قد أخذت مكانا لنفسها واضعة يدها في يدي وملصقة كتفها بكتفي. كانت تنظر الي من طرف عينها وهي تبتسم ابتسامة السعادة والانشارح وبلمحة عجلى غمزت لي بعينها اليمنى، ومن ثم رمت نفسها باطمئنان في حومة الرقصة بحماس.

انا واثناء ما كنت ارقص، اخذتني حيرة عميقة، فكل الذي كان بيننا، كان يجري حتى ذلك الوقت عن بعد. النظر الى بعضنا، الحديث العابر، وأحيانا خيالات في الفراش. ولكن ها ان الامر الآن قد وصل حد الاحتكاك بالجسد والمسك بالايدي والالتصاق بالاكتاف!. على اية حال، ولكوني كنت

انتظر بين آونة واخرى أن يبدر منها شيء ما، أحسست سريعا إنها تعصر يدي برفق شـــديد وتلصق ذراعها بذراعي وتمســـح كتفهـــا بكتفي. واني وان كنـــت في ضيق وانزعاج من عملهـــا ذاك في الظاهر، الا اني فيما بيني وبين نفســـي كنت أرغب في ذلك وأريد ارخـــاء العنان لها. هي كررت ذلك عدة مرات. ولما لم اســـتطع انا ارخـــاء العنان للرغبة التي في فؤادي، فانها من جانبها عصرت كفي لآخر مرة بشدة وانزعاج والصقت كتفها بكتفي وذراعها بذراعي وقرصتني قرصة نســـائية مؤلمـــة في فخذي، ثم نفضت يدها مـــن يدي وتركت حلبة الرقص. وكذلك أنـــا أيضا فقد ارتبكت من عملها ذاك كثيرا فأسرعت بترك حلبة الرقص وتراجعت. دون شعور مني بمـــا افعل، بحثت عنها فوجدتها منزويـــة في مكان وقد احتضنت طفليها حزينة منطوية على نفسها.

منظر تلك الجلســـة الكئيبة المحزنة، أشـــعل النـــار في جوانجي واثار فيّ شـــعورا بالاثم. رأيت في نفسي الخشـــونة وعدم الرحمة. لهذا ولكوني كنت أريد أظهار نفسي بمظهر المذنب جراء ما قمت به، اقنعت نفسي بأن ما قمت به كان عملا غير صحيح وغير لائق. وعندما ســـاءلت نفســـي: «حسنا ماذا افعل الآن؟! أأذهب لاطلب الصفح منها وأصالحها؟!» لاحظت ان قوة سحرية في داخلي تدفعني ان اقول في الاجابة: «أجل اذهب.. أجل.. اذهب!»

مـــا ان وصلت الى هذه النتيجة، لم أتردد وذهبت اليها واقتربت منها.. لم استطع الافصاح عما في اعماقي وخاطري، فراوغت وقلت:

-لماذا انتحيت جانبا وابتعدت؟!.

لم تزد على ان رفعت رأسها ونظرت الي نظرة ملؤها العتاب والانزعاج، ودون ان تجيبني، احنت رأســـها بذلة وأشغلت نفسها بطفليها. سلوكها هذا دفعني الى التملق لها وزادني رغبة في مصالحتها، فقلت ثانية:

-انك ما جئت لتعزية.. لماذا لا تذهبين لتشاركي في الرقص؟!.

كان كلامي في الظاهر لترضيتها. ولكن في الحقيقة كنت أريد ان اقول: «اذهبي وشـاركي في الرقص فانني في هذه المرة سـأجبر خاطرك». ولكنها وكأني فجرت في قلبها حقدا اسود لايمكن معه لهذه الكلمات ان تخمده، رفعت الي راسها هذه المرة وقالت بصوت باهت ملؤه الالم وحشرجة ملؤها الحسرة والبكاء:

-لا يليق الرقص بي.. نصيبي من الحياة يجب أن يكون الهم والعذاب فقط!.

اخذتني موجة من الهم والحزن من قولها ذاك. كانت كلماتها كقطرات رصاص مذابة تسكب في احشائي. في تلك اللحظة حقدت على نفسي كثرا. ندمت كثيرا أيضا. قلت في نفسـي: «لو انها عصرت يدي قدر ما شـاءت، لو انها دعكت كتفهـا بكتفي وذارعها بذراعي حتى تنقطعا، اي ضير كان سيلحق بي؟!». وفي سـورة موجة ندمي لم أكتف بذلك، بل قلت لنفسي: «لماذا يجب وضع سـد امـام الحب؟! لماذا يجب تقييده بسلاسـل وتوضع امامه مثل تلك الانواع من العراقيل؟!. السـلوك الحسـن والسـئ. العمل الطيـب والخبيث. الطهر والفجور.. من أوجد هذه الكلمات الفارغة؟! من ذا الـذي وضع تلك الحدود الفولاذية؟! فرضا ان (گولچين خان) تحبني.. اهذا فسـق وفجور، وانني وأنا أدوس بالقـدم على حبها، أيكون فضيلة؟!. عجيب! لماذا هو هكذا ولماذا يجب أن يكون كذلك؟!».

بعدها لم اسـتطع الوقوف امامها اكثر والتكلم معها، انسحبت عنها الى الوراء واخفيت نفسـي عن انظارها. انا من جانبي ظللت اطرح مثل تلك الاسـئلة على نفسي شاغلا فكري بها وبالاجابة عنها الى ان انتهت النزهة وعدنا الى البيت. اما هي فانني لم اشاهدها طيلة ذلك النهار ترقص.. لم أشـاهدها تتجول في تلك الطبيعة الجميلة كالآخرين. وبالقدر الذي كنت فيه مطلعا لم اسمعها تنطق بكلمة ايضا.

-٦-

بعد النزهة بيومين فقط، قالت لي امي في سياق حديثها:

-متى يحين ذلك اليوم الذي افرح فيه بعدما تنهي دراستك لازف لك فتاة جميلة لطيفة كنسرين؟!.

كانت هذه هي المرة الاولى التي اسمع منها هذا الكلام بهذه الصراحة. صحيح انها قبل ذلك كانت تمازحني بثمل تلك الاقوال، ولكنها في هذه المرة كما تخيلتها، قالت ذلك من أعماق قلبها بعيدا عن المزاح، عدا انها شخصت لي الفتاة الجميلة اللطيفة!. ماذا يعني ذلك؟. سرعان ما طرحت هذا السؤال على نفسي. ولكني طرحت جانبا سؤالي وردا على سؤالها قلت:

-اولا، مازال الوقت بعيدا لانهاء دراستي. ثانيا بالنسبة للفتاة اللطيفة، لاتزال لم تطرق خيالي ولم افكر بها. غير انها اطلقتها ضحكة قوية وقربت اصبعها من فمي وقالت:

-(گزه).. لازال ابني لم تنبت له اسنان!. كم عمرك؟. اتدري؟. أجبتها بشكل اعتيادي:

-أجل.. ست عشرة سنة.

قالت بلمز:

-ست عشرة سنة واربعة اشهر. قديما كان آباؤنا وأجدادنا في مثل هذا العمر يتزوجون ويصبحون ذوي عوائل وأطفال. ثم صمتت وتمعنت في قليلا، ثم قالت:

-أود أن تصدقني القول.. الا يذهب بك الخيال الى النساء؟!. أو فلنقل ألم يذهب بك الخيال نحو نسرين وفكرت بها قط؟!.؟

أيقنت ان هذا البحث والاسئلة والاجوبة لم تكن دون سبب.. شعرت من أين ولأي غاية ترمي. انها تريد معرفة ما اذا كانت (شيطانة خاتون) قد

تــراءت لــي أم لا!.. وكيف كان ذلك وبأي صورة؟!. كنت أعرف ان ذلك منها نابع من المحبة والود العميقين تجاهي، اذ انني ابنها الوحيد وتريد معرفة كل شــيء عني وان لا تغفل عن شيء مني. لهذا كنت أرغب من الاعماق أن أجيبهــا بصدق وأقول: «أجل. تراءت لي (شــيطانة خاتون) وطبقا لصورة (گولچين خان) لا لصورة (نسرين)!. وأفكر في تلك لا في نسرين».

ولكن لانني كنت في ذات الوقت قد أوجســت ريبة وشــكا من انها هي أيضا ومن أعماق قلبها وان كان بشــكل يسير، تذهب ذات المذهب وتنتظر هذه الاجابة لاغيرها، لهذا قررت التغابي فقلت:

-لا أفهم شيئا مما تقولين.. لست أدري ماذا تقصدين؟!.

عندها وفي الحال كأنها قد صارت في شكل مما ذهبت هي اليه ارتأت أن من الافضل لها الانســحاب، فأسرعت لتضع الموضوع في قالب آخر وشرعت تمزح معي وتضحك وكأنني مازلت طفلا رضيعا. وضعت رأسي بين كفيها وشرعت بتقبيل وجهي ثم قالت ثانية بصوت يقطر حنانا:

-يا ولدي العزيز.. لا تتصور ذلك عيبا. انني أمك وأنت ولدي الوحيد، ليس لي ســواك. اني مضطرة ان أصونك كما أصون حدقة عيني وأجعل من روحي فداء لسعادتك. وكل ساعة تكون فيها سعيدا في الحياة تمنحني عمرا مليئا بالسعادة.

صمتــت صمتا عميقا. صمــت عابد صنم في محــراب صنمه متفكرا متأملا. بعد ذلك وجهت لي الحديث قائلة:

-حســنا، انني لم أقل شــيئا ســيئا.. كل ما أريد هو أن اقول.. اقول. أحسست انها مترددة في ازهار ما تريد قوله، فشجعتها وقلت:

-يا أمي العزيزة.. قولي.. تفضلي قولي. ان قلبي عندك.

وأحسست أيضا بأنها نحت بحديثها منحى آخر وقالت:

-ترى هل انت لم تشعر حتى الآن بشيء ما من نسرين؟.
قلت:
-مثل ماذا؟!.
-كأن تكون كثيرة التردد علي، تتقرب الي وتساعدني ايضا في اعمالي البيتية كثيرا؟.
-اجل.. اعرف ذلك. ماذا ايضا؟.
-كثيرا ما تسألني عن احوالك، وعندما لاتكون أنت في البيت تنظف غرفتك وتوضبها. للحقيقة هي التي تقوم على شؤون غرفتك.
انا سكت واندهشت. واصلت هي الحديث قائلة:
-نسرين تحبك كيرا ويبدو انها تحبني أيضا بسببك. عائلتها من العوائل النبيلة، نعرفهم من عدة سنين ونعرف كم هم طيبون. والانسان النبيل يميل الى القربى من الانسان النبيل ايضا.
كانت كلماتها مؤثرة للغاية. ولم أشعر بالفخ الذي وقعت فيه حين قلت:
-انها مازالت طفلة.
ضحكت وقالت:
-طفلة؟!.. أي طفلة؟!. هي تصغرك بسنتين فقط!
عندها لم أستطع أن اقول شيئا آخر. وهي لم تطل الحديث وغيرته.

* * *

كلمات أمي هذه كشفت لي بأنها تحاول كثيرا وضع نسرين في طريقي في وقت مبكر. قبل ذلك كنت قد شعرت بأن علاقاتهما لم تكن بسبب الجيرة فقط. حدثتني أمي عن نفسها وكيف انها كانت لاتزال في سن الخامسة عشرة عندما خطبوها لأبي الذي كان هو الآخر في الخامسة

عشرة من عمره. ثم انها حال ادراكها سن البلوغ زفت لزوجها. لهذا خيل الي انها تأخذني ونسرين في ذات الطريق. «ولكن ترى لماذا وبالاخص في هذه الايام تتعجل القيام بهذا العمل الخيري؟!. فهل يا ترى قد شمت رائحة شيء ما وعلى علم بما يحدث بيني وبين (گولچين خان)، الامر الذي يدفعها للتعجيل؟!. أجل.. يبدو انها على علم وتريد اصطياد عصفورين بحجر واحد».

عندما كنت أمعن التفكير بكلماتها وأمحصها مع نفسي، أصل الى قناعة بأنها على علم وتريد حمايتي من شباك (گولچين خان) عن طريق نسرين، ولكن بما ان هذه النتيجة كانت تزعجني كنت أسرع في التراجع عنها وأقول لنفسي: «لماذا أرعب نفسي دونما سبب؟. متى تفوهت هي بكلمات يشم منها هذه الرائحة؟!. انما هي لا يهمها سوى نسرين لتجعل منها عروسة لي ولا شيء غير ذلك». كنت أطمئن نفسي بمثل تلك الاقوال وأهدؤها، وترتسم على شفتي ابتسامة استهزاء بعقل والدتي الساذج أيضا، ثم أتناسى الموضوع، ولكن لفترة قصيرة.

تلك كانت الحال من هذه الجهة، ومن الجهة الاخرى كانت (گولچين خان) قد أعرضت عني كثيرا. فبعد يوم النزهة بيوم واحد لم تلح لي بأية صورة، لا عند أمي، لا في الزقاق، لا أمام باب دارهم، حتى ولا في صحن دارهم أو الايوان حيث كنت أرقبها من شباك غرفتي، فلم أرها أبدا. ولكن عند حلول العصر شعرت ان أمي ذهبت اليها. زايلني الصبر وأنا في غرفتي، فصرت أتطلع الى صحن الدار والايوان باستمرار. قضيت مدة ساعة كاملة واقفا على قدمي، كان ذلك دأبي الى ان لاحظت أمي وهي خارجة من باب غرفة نومهم عائدة الى البيت. ولكني عجبت أشد العجب اذ لم أر (گولچين خان) تخرج معها لتودعها. أيقنت لابد ان تكون

مريضة طريحة الفراش. عاودني الشعور بالذنب الذي أحسسته بالامس بشدة وغمرني الهم والحزن. لم أطق صبرا، فنزلت قاصدا أمي. شاغلت نفسي طويلا بالذهاب والاياب، على أمل سماع نبأ منها ولكنها لم تتفوه بشيء قط. غير انه عندما اتجهت للسلم كي أصعد الى غرفتي، وجهت الي حديثها بقلة اهتمام:

-اتدري أن (گولچين خان) مريضة طريحة الفراش؟!.

تسمرت على السلم دون شعور مني، والتفت اليها على عجل وسألتها:

-لماذا؟!. ماذا بها؟!.

ودون أن تغير من لهجتها ردت علي قائلة:

-قد نفحها البرد.. نفحها البرد البارحة في النزهة.

وسألتها ثانية دون شعور مني أيضا:

-وكيف هي الآن؟.

رفعت الي رأسها هذه المرة والقت علي نظرة عجلى ولكنها قالت دون اكتراث:

-صداع حاد وحمى شديدة.

لم أطل الحديث عند ذلك وكأني شعرت في أعماقي بأنني تجاوزت الحد. أدرت لها ظهري وصعدت الى غرفتي. وهناك عندما فكرت في الامر، عرفت أن قد سبق السيف العذل، فلقد أظهرت لأمي الكثير من مشاعري تجاه المرض الذي الم بـ(گولچين خان).

على كل حال لم يطل مرضها اذ تماثلت للشفاء في اليوم التالي وبدات بمواصلة زيارتها لأمي كالمعتاد، ولكن لأمي فقط!. في حين كنت أراها على غرار الايام الاولى لمجيئهم، تتجاهلني تماما وتظهر كأنها لم تعد تأبه بوجودي، فلا زيارة لغرفتي، ولا حديث معي، حتى ولا نظرة تلقيها علي،

سـوى انها وكأن الامر مجـرد اضطرار كانت ترحب بـي أمام انظار امي ترحيبا باردا ولا شيء غير ذلك!.

في تلك الايام التي كنت أحدث نفسي فيها عن موضوع الحالة الجديدة، لم أستطع حسم الامر مع مشاعري نحوها تماما، فلم أدر هل التغيير الذي طرأ على (گولچين خان) يسرني ام لا؟!. او هل انا علي أيضا أن اسلك مثل سـلوكها ذاك أم لا؟!. في الايـام التي كنت أنظر بعـين الخوف والرهبة الى المستقبل المظلم لذاك الارتباط الذي بيننا، كان الوضع ذاك يسرني وكنت أقـرر أن افعل مثل ما فعلت هي. ولكن من جانب آخر عندما كنت أنظر للموضـوع بمنظار الحب والرغبة والخيال اللذيذ، فالامر على العكس من ذلك، فكنت احس بكآبة وحزن وحينذاك كنت أميل الى ان أتحرش أنا بها. ولانني مهما حاولت لم أكن اسـتطيع الاقدام على أية خطوة مجدية، فان الامر كان يبقى كما هو، اي بقاء التجافي من جانب (گولچين خان) وتجرع العذاب والالم من جانبي أنا. وعلاوة على ذلك كله، انتاب قلبي خوف من أمـي مذ حدثتني بتلك الاحاديث، لذا صار لزاما علي أن أكون حذرا منها وألاحظهـا بدقة. ومع ذلك كان بلا جدوى، حيث ان تغير (گولچين خان) ذاك وفي ذات الوقت انغماسـي في الهموم لم يكن من السهل أن ينطلي على امرئ دقيق الملاحظة كأمي. ذات يوم واجهتني بصراحة تامة قائلة:

-أراك في هذه الايام جزعا كثير الهموم!. هل أنت مريض لاسمح الله؟!

اسرعت في الرد عليها فقلت:

-لا أبـدا. انـني اجتهد كثـيرا. لم يبق لنا الا شـهر ونصف للامتحان النهائي وأريد أن أتهيأ له بشكل جيد.

ولكنها لم يكن يبدو عليها انها تصدق دعواي!. ومع ذلك قالت:

-لاتجهد نفسك كثيرا.. فاذا ما مرضت فسوف لاتخسر اللحية فقط بل

الشــارب أيضا. بعدها صمتت قليلا، والظاهر كان عندها الكثير من الكلام أيضــا. ولكنها تـريد قبل الافصاح عنه ان تزنه. لهذا بدأت الحديث بهدوء تام ودون النظر الي وقالت:

علاقتك مع (گولچين خان) ليست جيدة كما كانت في السابق!.

قالت عبارتها تلك بشــكل بســيط وســاذج جدا. ولكني تلقيتها وكأنها مطرقة طرقت في صماخ أذني. كانت عبارتها تنبئ عن أشياء كثيرة وتضرب على وتر. قلت في نفسي: «أظن ان تجافيها قد جعل الامر أكثر جلاء».

في تلــك اللحظــة ومن أجل هــذا حنقت على (گولچــين خان) كثيرا. كما قلت في نفســي: «الذنب ذنبها». عندهــا وأنا في حدة الغضب والحقد المستعرين في باطني قلت بشيء من الانزعاج:

-أنا لا أفهم لماذا تحدثينني عن (گولچين خان) بهذه الكثرة؟!.

لــم أدر انني قد أوقعت نفســي في خطأ كبير بهذه الاجابة. رفعت الي رأسها بدهشة كبيرة من ناحيتها ونظرت الي برهة ثم قالت:

-متى حدثتك عن (گولچين خان)؟!. وذاك الذي قلته الآن ســؤال غير ذي أهمية، سواء قلته أم لم أقله!.

كــدت أعض بناني من الندم والأســى. لقد صدقــت أمي. فقط اختلط الامر علي. انا هكذا خيل الي بأن كل ما سبق ان حدثتني به كان فقط عن (گولچــين خان). كنت قد أحطت قلبي بهالة من الخوف والرهبة بحيث ما ان تذكر اســم (گولچين خان)، أو حتى لو تحدثت عن الزواج أو اية امرأة، صرت أتصور انها تريد أن تمد اصبعها في عيني لتقول: «حذار».

بقيت مدهوشــا. لم اســتطع التفوه بكلمة ما فسكت. كما اني ارتبكت كثــيرا واضطربت. لهذا فهي على عادتها طوقت رأســي بذراعيها وأخذت تقبلني بلهفة الى أن قالت وهي تضحك ضحكة ناعمة:

-في الفـترة الاخيرة قد صـرت رقيق الطبع!. تغضـب وتثور ثائرتك بسرعة.

عنمـا أصبحت لوحدي، صرت أراجع ما قيل وما حدث، مرة واثنتين وثلاث أعدت الامر وصقلته، وفي كل مرة كنت أصل الى نتيجة واحدة وهي انني ارتكبت خطأ جسيما وأعطيت على نفسي مستمسكا كبيرا.

* * *

في تلك الايام بالذات انطلقت نسرين من عقالها وبدأت بالنشاط بشكل عجيب!. وقد عرفت بسـهولة أن أمي تشجعها وتدفعها وتمهد لها الطريق. كنت جالسا في غرفتي في الطابق العلوي مشغولا بالسعي عندما جاءت على غرار مجيء (گولچين خـان) وصرنا للمرة الاولى وجها لوجه مع بعضنا. كانـت مرتبكة جدا. كان الـدم قد هجم وجهها خجلا. كانت ترتجف ولم يسـعفها فمها على النطـق. وقفت خارج الباب للحظـات على تلك الحال حيرى دون حراك، حتى شدت أخيرا أزرها وقالت بكلمات متقطعة:

-جئت لانظف لك غرفتك.

هكذا جاءت وتلك كانت حالتها. ولكني أنا الذي لم أكن لاهتم بمجيئها ذاك ولم يعنني بشـيء، كنت باردا تجاهها ولم تحرك في قلبي أية عاطفة واحساس، لذلك قلت لها بهزء:

-أأخرج كيما تنظفيها؟.

انما قلت عبارتي تلك بهذا الشكل ظنا مني بأن جوابه بالنسبة لها سواء كان بـ (نعم) أو (لا) يكون أمرا صعبا جدا ومحرجا. ولكني دهشت كثيرا اذ بالرغم من وضعها الصعب ذاك الا انها وجدت اجابة ذكية لنفسها وقالت:

-كما تشاء!.

لاشـك ان ذلك لم يكن ليختلف عن اجابتها بالنفي، ومع ذلك أنقذت

نفسها من اجابة صريحة بكلمة (لا) الامر الذي لايمكن انتظار التفوه به من اية فتاة.

والحقيقة أنا في تلك اللحظات لم أكن مصرا على الهرب منها. لماذا اهرب؟. ماذا تكون مني!. فتاة حلوة ممتلئة جاءت بقدميها الي. ماذا في الامر!. حديث لطيف، ابتسامة حلوة، نظرة محببة، ماذا في الامر!. أجل.. هكذا ببساطة مهدت السبيل لنفسي وفتحت هذا الباب على مصراعيه. صرت انظر اليها بولع شديد من قمة راسها الى اخمص قدميها، وجهها، قدها، طولها، وكأنني أراها لاول مرة. بدت لي وكأنها فتاة رقيقة جدا، جميلة، محببة، ظريفة. كنت اردد مع نفسي باستمرار: «اين كانت تخفي الجمال هذا كله عني حتى الآن؟!. كيف غاب عني كل هذا الحسن؟!».

سرت في رغبة جامحة للتحدث اليها. عصرت دماغي كي أجد ما احدثها به، فوجدت عبارة مناسبة افتتحت بها كلامي فقلت.

-ما سبب عدم دخولك المدرسة؟!.

وكانت هي قد هدأت، فأجابت بشكل اعتيادي:

-كنت أرغب في ذلك كثيرا.. ابي لم يدعني. كان يقول: لا يجوز ان تذهب الفتاة للمدرسة. لان ذلك حرام.

-لو كنت في مكانك، لكنت أذهب رغما عنه.

-كيف يجوز ذلك.. اتعني لو انك كنت في مكاني لكنت تعصي أباك؟!

-أجل.. لان ذلك من الامور الحسنة.

-انك ولد. مثل ذلك قد يجوز للولد. ولكنه لا يجوز للبنت!.

صمت قليلا ثم اردفت:

-أأستطيع تعلم القراءة الآن؟.

في ردي عليها، هززت رأسي وقلت:

-لقــد فات الاوان.. لم يبق لك مجال للدراســة في المدرســة. ولكن اذا ان قصــدك تعلم القــراءة والكتابة، فانك تســتطيعين ذلك في أي وقت رغبين.

ظهرت على وجهها فرحة وقالت بسرعة:

-بشرط وجود من يعلمني.

هذا هو ظاهر قولها، ولكن كان واضحا انها تقول في سرها، «بشرط أن اكون عندك لتعلمني».

اضفت وقلت:

-ان شئت فان هذا الشخص موجود حتما.

فاسرعت لتلقي بابتسامة عريضة بوجهي وتقول:

-انني ارغب من كل قلبي أن تعلمني أنت.

ترددت في الاجابة. ماذا أقول.. أجل أم لا!: بعد ذلك قلت:

-ليس الآن.. انك تعلمين ان الامتحان النهائي قد اقترب وعلي أن أسعى، ولكني مستعد لذلك في الصيف.

كان قــد انقضى وقت طويل على انتهائهــا من تنظيف الغرفة. ولكن حينمــا وصلت لهــذه النتيجة، وكأنما كل شــيء قد انتهــى ولم يبق ما يســتدعي بقاءها، تركتني ونزلت. وسمعت في الحال قهقهات ضحكاتها مع امي، فأحسست بأنها ضحكة الانتصار تلعلع من أفواههما لتصل الى أذني.

عندما ذهبت نســرين، صعــدت أمي الى غرفتي وقالت وهي تبتســم ابتسامة ذات مغزى:

-تقول نسرين انك وعدتها أن تعلمها القراءة والكتابة، احقا ما تقول؟!.

قلت:

-أجل صحيح. لقد صدقت.. ولكن ليس الآن.. في الصيف.

بعدها سألتها مباشرة:

-أحسنا أفعل؟!.

في ردها علي قالت:

-ليس فقط حسنا تفعل، انما تفعل احسانا أيضا.

-٧-

طال تجافي (گولچين خان)، بـل وصلت الى قناعة بانها تجاوزت حالة التجافي أيضـا، وانها رجعت الى الوضع الذي كانت عليه يوم مجيئهم لاول مـرة. كلما صادفتها كانت تبدو لناظري كتمثـال جامد لا أقرأ في وجهها اية أحاسـيس ومشاعر، ولم تبدر منها أية علامة تلقي ولو بصيصا على الموضوع الذي يخصنا. زد على ذلك ان زياراتها لأمي قد قلت لدرجة كبيرة بحيـث لم تعد تزورها الا كل ثلاثة أيـام أو أربعة مرة واحدة وذلك لمدة قصيرة لا تتجاوز الربع سـاعة. ولكن تصرفا واحدا كانت لاتزال مستمرة عليه كالسـابق بالنسـبة لي، وهو السلام والسـؤال عن الصحة والاحوال بشـكل عابر ثـم توليني ظهرها وتبتعد عني. هـذا في الوقت الذي كنت أحس فيه وبشـكل واضح ان ذلك السلام والسـؤال العابر كان يجري أمام أنظار أمي فحسب والا عندما تراني لوحدي فلن تفعل ذلك أبدا.

في البداية كنت مندهشا يعز علي ارتدادها وبهذه الصورة. كنت أحدث نفسـي قائلا: «يا ترى أهي جادة أم انها خطة خاصة واسـتعدادا لصولة اخرى؟ أو يا ترى، ألا تفعل ذلك من باب الدلال وايقاد النار في أحشائي؟!» ومن ثم كنت أقول مجيبا نفسـي: «نعم.. لاشـك في انها خطة خاصة. ان هذه دسيسـة. ان هذا تدلـل وغنج واضح. اذن فهي ليسـت جادة.. أجل ليست جادة».

نعم، هــذا ما كنت أذهب اليه في البداية وهكذا كنت أفســر الموضوع. ولكن عندما طال الامر، اصبحت في شــك تدريجيا. كنت أســائل نفســي: «ولكــن لماذا؟! لماذا لاتكــون جادة، ولماذا لا يحتمل انهــا عادت الى صوابها واتضح لها انها تلعب بالنار؟!» عندئذ بلغ بي الامر ان كلما أدرت الموضوع في هــذا الاتجاه انتابتني رغبة جامحة وتولد في قلبي ميل لا حدود له في أن لا تكــون (گولْچين خان) جادة، وان يكون ذلك من باب التدلل والغنج وهدوء يسبق عاصفة أخرى، وان تحدث في أقرب وقت.

لكنما مرت أيام وايام ولم تعط (گولْچين خان) أي مستمسك يدل على ان الامــور تجري وفقا لرغباتــي وميولي. بل على العكس كلما مر الوقت كانــت تضعف في تيار تلك الرغبة وذلك الميــل وتزيدني يقينا بأن الامر لم يعد مجرد تجافٍ، وانما قد عادت الى وضعها السابق، وضع الايام الاولى لمجيئهم وكأن شيئا لم يحدث ولم تقع واقعة.

اســتغرقت هذه الدسيسة أكثر من ثلاثة أسابيع، كنت أثناها مستمرا علــى حرق أعصابي، وكان ثمة ســؤال ينغرز كالابرة في مشــاعري دائما ويطرق رأســي كمطرقــة.. ماذا أريد من (گولْچين خــان)؟! عندما كنت أقارن نفسي مع ما كنت عليه قبل الاشهر الثلاثة والنصف الماضية فقط، كنت أرى نفسي بهيئة أخرى، هيئة مغايرة جدا عما كانت عليه حينئذ. لكأنمــا قد عجنت وصنع مني شــخص جديد. كنت أحــاول كثيرا وضع اصبعي على ذلك التباين واشــخص الهيئة الجديدة لي، وفي كل مرة كانت محاولاتي تقودني الى سؤال: ماذا أبغي من (گولْچين خان)؟!.

أنا واثق من انني لو لم أخف عن نفســي الجواب الحقيقي عن ســؤالي لكنت ســريعا ما أتوصل الى النتيجــة والاختلاف وأتبين هيئتي الجديدة. ولكــن (گولْچين خــان) بارتدادها ذاك واســتمرارها علــى التجافي وعدم

الاهتمــام، كانت تجعل باســتمرار اجابتي الحقيقية عن الســؤال الذي في سويداء قلبي بلا محتوى. كانت تخمد باستمرار تلك الافكار التي في رأسي والتي أحســب انني قادر على أن أجد ذلك الفرق وتلك الهيئة الجديدة في خضم فورة احساسيسها ومشاعرها وأخيرا على خشبة مسرح جسدها.

هكذا وبعد هموم وعذابات نفســية حادة، اضطــررت ان أرضخ لتلك النتيجــة التي تؤكــد ان (گولچين خان) عادت لوضعها الســابق، وان كان حــدث لم يكن الا وهج ولهــب انطفأ ولم يبق له أثرا. بعدها وجد الصبر والراحة الى قلبي ســبيلهما رويدا رويدا وأزاحا عنها ضباب الماضي، الى أن غدوت أقول في نفسي: «هذا أفضل، اذ ان الموضوع قد استحال بهذا الشكل وانتهى لهذه الغاية، والتي أنقذتني من الوقوع في الخطيئة وسوء السمعة، وبقيــت على نقائي وعفتي. أوما كفى انني لم أنزلق الى ذلك المســتنقع!. اومــا كفى!. علي أن أكون كثير الامتنــان لـ(گولچين خان) اذ انها تداركت نفسها وتداركتني ولم تدعنا نقع في الخطيئة».



في ذات الوقت كانت نســرين مســتمرة على نهجها. فيما سبق عندما كان همها مســاعدة امــي فقط، كانت توظب غرفتــي في الاوقات التي لم أكن فيها متواجدا هناك. ولكن منذ ذلك اليوم الذي جاءت فيه لاول مرة وأنا هناك، لم تعد تكلف نفســها انجاز تلــك المهمة قط ما لم أكن هناك. ذلك اليوم كان هو اليوم الذي مهدت لها السبيل فيه للتحدث الي والا فان فمهــا كان كمن أصيــب بالبكم قبل ذلك. غير انها بعــد ذلك كانت ما ان تطأ قديمها غرفتي حتى كان لســانها ينطلق بشكل نعوذ بالله منه. كانت أحاديثهــا جميعا لاترابــط بينها ولا يجمعها جامــع. في البداية وبخاصة عندما لم اكن قد وصلت مع (گولچين خان) لتلك النتيجة، لم أكن اشجعها

ولم ارخ لها العنان، رغم اني لم أكن أتجنبها ولم آت ما يجعلها تنفر مني!. بل أستطيع القول بأني كنت لحدما أميل لها، عدا عن ان تجاقي (گولچين خان) في تلك الايام كان دافعا لي وكأن ذلك قد أحدث فراغا في حياتي ونسرين هي التي تملؤه!. كان غريبا جدا!. عندما كنت أمعن النظر في حالتي هذه كنت أسخر من نفسي فأحدثها قائلا: «آه.. أبلغ الامر بي حدا أنني لا أطيق صبرا دون امرأة؟! أفأن لم تكن تلك فهذه؟!».

ولكني و (گولچين خان) حين وصلنا الى ما وصلنا اليه، بات توجهي الى نسرين واستسلامي لها شيئا اعتياديا واتخذ له مكانا في تفكيري واحساسي. وهي من جانبها كذلك قد تفتحت عيناها وصارت لها الخبرة بحيث تستطيع وتعرف كيف تستفيد من هذه الفرصة المتاحة لها. حتى غدت تظهر لي من خلال أحاديثها شيئا من مشاعر الحب وتحاول اثارة غرائزي الجنسية أما بتدللها او باظهارها مفاتن جسدها. هذا عدا عن انها كانت تحاول أن تقاتل في ساحة أخرى وتحقق نصرا هناك أيضا. ففي احدى المرات ومن خلال الحديث شنت هجوما صريحا على (گولچين خان) وقالت:

-انني أستثقلها!.

وللحقيقة رغم اني قد أتخذت لنفسي قرارا بأن لا اهتم بـ(گولچين خان) مستقبلا، غير ان تلك العبارة كان لها وقع سئ جدا في قرارة نفسي. مع ذلك تمالكت نفسي وسألتها:

-لماذا؟.

ترددت قليلا قبل الاجابة عن سؤالي ثم قالت:

-لانها تحمل لي حقدا دونما سبب!.

-كيف؟.

أجابت بشكل اعتيادي:

-يظهــر ذلك من تجافيها وعدم تحدثهــا معي، ولا تجلس في أي مكان اكون فيه، او تتركه وتذهب.

حيرتنــي تلك العبــارات واعادتني ثانية لخضــم التفكير بـ (گولچين خان) وتصرفاتها. وبرز في راســي ســؤال خطير بسرعة فائقة «ترى ماذا تعني تصرفاتها نحو نسرين؟». ســألت نفسي ذلك السؤال بلهفة عفوية. الا انه وكأنني لا أرغب او انه صعب علي او من الافضل أن يكون الســؤال مخنوقا، لم أبذل أي جهد مع نفسي للاجابة عنه، فضلا عن انني وجهت كلامي حالا الى نسرين وقلت:

-هكذا تحســبينها أنت.. لا أعتقد انها كذلك. ان (گولچين خان) امرأة طيبة القلب ولا تحقد على أحد.

عند ذلك وكأنها تريد أن تظهر الندم على اطلاقها ذلك القول وتعمل على محو آثاره، قالت:

-انني لم أســئ اليها أية اســاءة، وليست لي معها أية عداوة. كما اني لا أحقد عليها أيضا.

بعد ذلك لم اقل شيئا آخر. وهي من جهتها كأن صمتي هذا أصبح لها فرصة مناسبة، غيرت مجرى الحديث بسرعة.

* * *

عندما أيقنت أمي من انني ونسرين قد تفتحت سرائرنا لبعضنا وأخذت علاقتنا تسير نحو الاتساع والقوة، أعادت الحكاية للمرة الثانية وقالت:

-اراك على انسجام مع نسرين!.

فأجبتها بشيء من الغمز واللمز:

-أولا يسرك؟.

قالت وكأنها فهمت مقصدي جيدا:

-ان رضاي من رضاك!.

بعدها سـكتت قليلا، كان يبدو انها انتوت أن تقول قولا صريحا ودون مواربة، ولكنها لا تعرف كيف تعبر عنه!. مع ذلك قالت أخيرا:

-كيف تبدو نسرين أمام عينيك؟!. أريد أن أقول: ما رأيك فيها!.

تعمدت أن أتغابى عن سؤالها فقلت:

-انها جارة جيدة.. تحب أمـي كثيرا. وحبا بأمي تأتي أحيانا لتوظب غرفتي وتنظفها. لهذا فهي عندي فتاة طيبة وعلي أن أشكرها كثيرا!

أطلقتها ضحكة رنانة.. ضحكت على اجابتي الساذجة هذه وقالت وهي على ضحكتها الرنانة تلك:

-ليس ذلك هو ما أعنيه.

لم أغير مسلكي. سألتها بذات السذاجة:

-اذن ما هو مقصدك؟!.

سـلوكها السـاذج بعد سـؤالي هذا حيرني!. لم تكن تلك هي أمي قط، ولـم أكن أتوقع منها ذلك أبدا!. تقدمت نحوي وأخذت وجهي بين كفيها. وبأقصى حنانها الامومي، وبابتسـامة بهيـة جدا، قبلت جبيني ومن ثم وجنتي اليمنى فاليسرى وبغاية الابتهاج قالت:

-ان مـا أقصده هو هل هي في نظرك جميلة أم قبيحة؟! ذكية ونبيهة أم كسـولة وغبية؟!. ذات حصافة ودرايـة أم.. وهكذا. أقصد الامور هذه. امورا كهذه!.

في الحقيقة هنا لم اتمكن من أن اتمالك نفسي فاطلقتها ضحكة، ضحكة على أحاديثنا العجيبة هذه. وفي اثنائها قلت:

-مـا دام الامر كذلك، أجل.. انها جميلـة. ذكية ونبيهة. ذات حصافة

ودراية..

ثم أضفت على ذلك عبارة مني فقلت:

-ولها باع في المرك والغنج!.

تحمست أمي لعبارتي هذه أكثر ورددت قائلة:

-كلهن هكذا.. كلهن هكذا!.

بعــد ذلك لفنا الصمت كلينا لمدة قصيرة، الى أن اســتطردت هي بغته وقالت فورا:

-حسنا. ما قولك لو اني ذهبت لاخطبها لك؟!.

الحديث في ســرك، اني ومنذ اللحظة الاولى لحديثنا قد خامرني الشك مــن انها تهدف لامر كهذا. ولكني لم أكــن انتظر منها أن تفاتحني بمثل تلك الصراحة. صحيح انني في تلك الايام كنت في سبيلي للانعطاف نحوها، ولكنني كنت في مثل تلك الامور مازلت حديث عهد بالطيران. لذلك وبعد شيء من التفكير قلت:

-أمــاه.. انك قبل مــدة تحدثت الي بأمر من هــذا القبيل، وقد قلت لك بأنني لازلت طالبا مســتمرا على الدراسة، ومازالت امامي مدة طويلة لانتهي منها.. أنت..

لم تدعني اكمل كلامي فقالت على عجل:

-انني قلت أخطبها، ولم أقل أزفها. اننا الآن نطلب يدها ونشبكها لحين اتمام دراستك.

-أتعرفين كم بقي لي كي أكمل دراستي؟.

-أعرف.

-اذن لماذا هذا الربط لكل تلك السنوات؟!.

-وما الضرر من ذلك؟!.

-لربما ندم أحد منا في هذه المدة.

-ليس لها قط أن يبدر منها شيء كهذا. وأنت ايضا.. قاطعتها قائلا:

-وأنا ايضا لايمكنني ذلك.. أليس كذلك؟

دون شعور مني، كنت في حالة غضب رافعا صوتي عليها. لهذا فهي من جانبها قد نهضت على قدميها بعد عبارتي تلك وقالت وهي تخطو نحو الباب:

-كما تشاء يا ولدي.. كما تشاء.

ولكن قبل أن تضع قدمها خارجا، توقفت وكأن الانفعال بلغ بها حدا كبيرا وضايقها كثيرا. قالت بذلة ممزوجة بالغمز واللمز:

-أمس بلغت نساء الزقاق وكذلك (گولچين خان) بأننا اليوم نذهب لخطبة نسرين لحضرتك!. ها اني افتريت على نفسي أيضا!.

عندها تركتني ونزلت وبقيت مشغول البال بأقوالها وعلى الاخص ذكرها اسم (گولچين خان). ولكن ولانني كنت واثقا من نفسي بأن الذي كان قد حدث بيني وبين (گولچين خان)، لم يبق له أثر في قلبي وانتهى، لم اتوقف كثيرا عند كلمة امي تلك وابعدتها بسرعة من ذهني.

★ ★ ★

-٨-

في اليوم التالي، وقرب العصر قالت أمي:

-سأذهب لزيارة اختك (ثاسكول). فاذا ما خرجت، اترك المفتاح عند ام نسرين. ودون ان أرفع بصري عن الكتاب الذي بين يدي قلت:

-طيب.

عندها لم يمر وقت طويل حتى طرق سمعي صوت فتح وغلق باب

الدار. ولكن بعد أمد قصير لايعدو تدخين سـيجارة، طرق سـمعي صوت فتح الباب وغلقها ثانية. حسبت ان امي قد نسيت شيئا ما فعادت لأخذه، هكذا تصورت. لهذا لم أهتم لذلك واسـتمررت على قراءتي حتى شـعرت بوقع اقدام شـخص يصعد السلم متجها الى غرفتي. اصخت السمع وسريعا ما حدسـت ان ذلك الوقع وتلك الخطوات وطريقة صعود السـلم، ليست لأمي. لهذا رفعت رأسي ونظرت الى الباب. ذهب حدسي في تلك اللحظة الى نسـرين. ولكن من رأيت؟. (گولچين خان)!. أجل.. (گولچين خان) اذ قد جاءت بلا أية حركة أو كلام، وأسندت كتفها على الباب ووقفت، وكأنها في تلك اللحظات فاقدة زمام نفسـها تماما، سمرت نظراتها على وجهي دون أن تأتـي بأية حركة، تغمرها حيرة عميقة. وأنا بدوري أصابت قلبي من تلك الرؤية المفاجئة رعـدة قوية كأنها صعقة كهربائية هزتني من قمة رأسـي الى أخمص قدمي وجعلتني ارتجف، ومعها دوت في اذني أقوال أمي في اليوم السابق كآلاف الاجراس مما زاد في اضطرابي أكثر.

ظلـت على تلك الحال مدة طويلة بلا حـراك أو كلام، وأنا على ذلك الاضطراب والدهشـة دون أن تبدر من اي منا بـادرة لانهاء ذلك الصمت والسـكوت!. وأخيرا ضغطت على نفسي وكسرت طوق الصمت وحاولت أن أبدو بشوشا تجاهها وقلت:

-لـم يمر وقت طويـل على ذهاب أمـي. انها ذهبـت الى بيت اختي (ئاسكول).

غير انها لم تنبس بحرف، ولم يرمش لها جفن ولم تأت بحركة ايضا! ولو لم أتبين تلألؤ قطرتي دمع في مقلتيها، ولو لم يجلب انتباهي نشـيج بكاء مكبوت في صدرها، ولو لم أشـعر بعذاب مضن مرتسـم على عارضها الذابـل، لربما كان منظر تلك الوقفة وبذلك الشـكل يوقع في قلبي رعبا

ورهبة، ولتصورت انني أجد نفسي في مواجهة كائن ضارب بلا رحمة!
ولكن مع ذلك، كان المنظر لايزال يحيرني. لذا قلت في هذه المرة:

-ماذا تريدين!. تفضلي.

في هذه المرة ايضا بالكلام، لم تنطق بشيء البتة. ولكن بالفعل، هجمت علي فجأة، وبشكل جنوني جدا. هجمت علي واحتضنتني وضمتني الى نفسها وكأنها تريد ان تجعل من جسدينا جسدا واحدا. أي جزء من وجهي وراسي كان يقع في متناولها تطبق عليه بشفتيها بكل ما أوتيت من قوة، تقبله وتمتصه الى الحد الذي استطيع القول انها كانت تؤلمني. وخلال تلك الصولة والهجوم، كانت تئن وتتأوه بشكل محزن، ويرتعش جسدها كله كمن اصيبت بالصرع. وبالصوت واللسان والكلام كانت كأنها تريد أن تقول شيئا ما وتنطق بأمر، ولكن لم اكن اسمع سوى همهمة لا يفهم منها شيء. من فورة البكاء المكبوت في صدرها، كانت الكلمات تختنق في حلقها.

في الحقيقة، بقيت في حيرة من هجومها المفاجئ هذا!. كنت قبل ذلك كثيرا ما أتخيل في الفراش شيئا من هذا القبيل. نصول على بعضنا. يحتضن أحدنا الآخر.. نضطجع كلانا متعانقين، ثم يقبل أحدنا الآخر ويعتصره.. أجل. لا أكذب على نفسي. كثيرا ما كان الخيال يذهب بي الى ذلك.. ولكن بهذا القدر من الصولة والهجوم؟!. وبشدة وحدة جنونية كهذه؟!. وهكذا فجأة وبدون مقدمات؟!. لا.. ابدا لا.. لم يكن يخطر ببالي وما كنت اتصوره بهذا الشكل ابدا!.

في الحقيقة، ارتعدت وارتعبت من هجومها المفاجئ المفزع للحد الذي كنت فيه، وكأني في حومة معركة مطوق فيها من جهاتي الاربع، ولا اعرف كيف واين المفر!. اجل، صحيح انني كنت قبل ذلك ولمرات ومرات في الخيال وأنا في الفراش، كنت اتمنى وبلهفة شديدة هذه اللحظة التي انا

فيها، ولكن الامنية التي تحققت الآن صارت كحد سـكين تقطع أحشائي. صارت لي ابرا ومخايط تنغرز في صفحة قلبي. صارت لي تنينا ذا سـبعة رؤوس يمطرني بوابل نيران من سبعة اركان.

تجاه هذا الوضع العجيب الصعب الذي وقعت فيه اتجهت كل مشاعري وأحاسيسي وتفكيري نحو التمرد على أمنيتي القديمة ومن ثمة زمجرت بوجه صولة (گولچين خان). ولهذا سـحبت نفسـي مـن قبضتها بضغب وقلت لها بعصبية:

-ما هذا.. أجننت؟!.

ظلت هي من جهتها ولعدة لحظات مشـدوهة بسـبب من فعلتي تلك وعبارتي هذه وركزت نظراتها في وجهي. الى أن ضجت فجأة ببكاء شـديد يقطـع نياط القلب مصحوبا بشـهقات محزنة. حيث ركعت على ركبتيها في مكانها ووضعت رأسها في حجرها وواصلت بكاءها المر ذاك، ولم أدر ماذا أفعـل وماذا أقول. ثم رفعت رأسـها ثانية وبصوت ملـؤه الغضب والحقد والغيظ قالت:

-أجل جننت.. أجل صرت مجنونة ومسعورة أيضا!.

قالت ذلك فقط ثم خفضت رأسـها وواصلت بكاءها ونشيجها المر الذي يمـزق القلـب. عندها وبجانـب ذاك المنظر لم يبـق في قلبي أي غضب واهتياج وهدأت ثورة مشـاعري وأحاسيسي وتفكيري وخمدت تماما. ثم هـي من جهتها لما رأتني هامدا صامتا علـى هذه الصورة انتهزتها فرصة تحدث نفسها أولا تقول:

-ايـا رباه.. يا رباه.. لماذا يجب أن يكون نصيبي في هذه الحياة، العذاب والالم وتجرع والاسى فقط. لماذا كتب علي أن لا أذوق طعم العيش الهنيء. لماذا جعلت محرومة بهذا الشكل.. ماذا جنيت.. ماذا؟.

بعد ذلك رفعت رأسـها ثانية، وفي هذه المرة سـمرت عينيها في عيني. تفحصتني لفترة، حتى قالت أخيرا بصوت مفعم بالتوتر:

-لا ألومـك.. انك لاتعلم أية آلام اتجرع في حياتـي.. بأية محنة وألم أمضـي ليلي ونهاري!. انك لا تدري في أي جحيم أعيش وأي كابوس يجثم على صدري!.

ثم عادت لتضع رأسـها في حجرها وتطلق العنان للبكاء والنشـيج. وفي هذه المرة أيضا راحت تحدث نفسها قائلة:

-لاول مرة في حياتي بزغ لي شـعاع السعادة ودخلت قلبي نفحة فرح، ولع أمل في أفق حياتي وقلت: ها أني أذوق طعم السعادة والهناء.

هنا أمسـكت عن البكاء وشنشنة النشـيج ونظرت الي بشيء من الحنق وقالت:

-انت كنت.. ذلك الشعاع، تلك النفحة، ذلك الامل، انت كنت!! غير انك!..

لـم تكمـل عبارتها.. كما لـو ان قلبها لم يطاوعها لاكمالهـا، ابتلعتها وأجالت نظرها في وجهي. وطوال ذلك الوقت كنت قد تسـمرت في مكاني وعينـاي محملقتان في وجهها. هكذا كنـت في مظهري الخارجي والا ففي قلبي والباطن كنت في حالة غليان. فعلت بي عباراتها فعلا سحريا وأثارت فيّ أنواعا من الاحاسـيس والمشاعر. شفقة، اهتمام، مساعدة، مواساة، ومع كل ذلك الرغبة والاشـتياق ايضـا!. احل.. الرغبة والاشـتياق والامنية القديمة!. ها انها لم تبق على شيء، قالت كل شيء بصراحة ووضوح. وما دام الامر كذلك اذن لم يبق علي الا أن اقول «نعم» وينتهي كل شيء.. لم لا اقولها؟!. أجل أقولها!.

كنـت مسـتغرقا في هذا التفكير وقد غفلت عنهـا، ولم انتبه الا وهي قدجاءت الى جنبي وكانت في سبيلها الى معانقتي. ارتج قلبي وسرت رعدة

في كيانــي كله، ولكني لم أتحرك من مكاني ولم اقل شــيئا. التصقت بي تماما وتوسدت كتفي وقالت بصوت ملؤه الحنان الملائكي هامسة:

-يــا روحي وقلبي.. يا حشاشــتي.. الامر ليس بيدي. لا اســتطيع ان اتمالك زمام نفســي. اعبدك. لا أســتطيع أن أبعــدك عن تفكيري وأتخلى عنــك. لم أذق للحب طعما لحد الآن. هذه هي المرة الاولى وانت الشــخص الاول. شــكرا لــك يــا رب. حمدا لــك اذ لم أمت حتى ذقــت طعم الحب والغرام.

عندها لم تبق لي القدرة على التعبير بأي وجه، ولم تبق في جســدي القــدرة على التمرد. لم انفر منها ولم أســحب نفســي مــن قبضتها. لم اغضــب ولم أحــاول أن ابعدها عني بل على العكس تماما. اســتكنت لها ولم افه بشــيء، وكلما مر الوقت ازددت استســلاما. وفي ذات الوقت كنت اشــعر أن خدرا لذيذا جدا يســري في جســدي ويزداد انتشــارا. اضف الى ذلك انها كلما ازدادت مني اقترابا وشــددت من التصاق جســدها بجسدي ووضعت شــفتيها على شــفتي، كلما ازداد الخدر اللذيذ انتشــارا في دمي ولحمي وعظامي ويزيدني اســترخاء. حينئذ ودون أن اشعر بنفسي بدأت يداي بالتحرك. امتدت الى خصرها وتشابكتا حول قدها وصارت محاولات التداني والالتصاق ثنائية الجانبين.

لا ادري كــم دامت غيبوبتنا الــلا غيبوبة. ولكن كل ما أعرفه انه قد علت فجأة في أعماقي صرخة مدوية هزتني وأخرجتني من دنيا الغيبوبة تلك، والقتا بي في دنيا ملؤهــا الصراخ والضجيج. كانت الصرخات تتوالى وتنادي:

-الخطيئة.. الخال (عهوول).. الخطيئة. الخال (عهوول)!.

ومــع ذلك ايضا فــان (گولچين خان) بادرت بفــك يدها عني وبدات

تنظـر الي باندهاش. وعندمـا نظرت اليها، وجدت سـؤالا صعبا غريبا يرتسـم على وجهها وتطلب الي بمرارة ان أجيبها عنه. عرفت بسرعة ان تلك الصرخة التي في أعماقي قد طغت على لساني ايضا!. لهذا فقد وجهت اليها كلامي قائلا:

-أجـل.. ان ذاك هـو الذي يقضـم دماغي ويحف علـي طريق الحب بالاشـواك! ذاك هـو الذي يهـب علي في كل مرة كزوبعـة ليطفئ جذوة حبـي من قلبي!. ماذا أقول.. انني مثلـك ليس الامر بيدي. مادمت أنت بهذا الشـكل فاني أيضا على هذا الشـكل. لا أدري ماذا أفعل.. لا أدري.. لا أدري!.

احمـر وجههـا واضطربت لكأنها خجلـت من أقوالي تلـك. ولما لذت بالصمـت بعد ذلك وصوبت نظراتي نحو نظراتها انتظارا للجواب، احنت راسها وغرقت في تفكير عميق. وعندما أمعنت النظر فيها جيدا، لاحظت وكأن لهيب نار يفرقع قلبها وأحشاءها، انها تقضم شفتيها وتنشب أظافرها في جسـدها. ولما رفعت راسها رأيت الدمع قد ترقرق في مآقيها. تمعنت فيّ لمدة طويلة، الى ان قالت بصوت مليء بالحسرة والالم:

-نعـم.. نعـم.. صدقت. انـا هكذا، وانـت كذلك ايضا. نعـم.. الخال (عهوول) يقضم دماغك ويسد عليك طريق حبك لي بالاشواك، وكعاصفة يطفئ من قلبك لهيب ووهج حبك لي!. ولكن..

كالمـتردد، تلكأت قليلا وقضمت شـفتيها للحظات وكظمت غيظها. ثم وكأنها قد اتخذت قرارها النهائي بأن تظهر مكنونات قلبها شرعت بالكلام وقالت:

-أنت الشـخص الوحيد الذي اكشف له هذا السر المليء بالبلايا والظلم والآلام والمحـن في حياتـي. مازلت لم احدث به اي انسـان عداك أنت ولن

أحـــدث به أحدا أبدا. أجل لا أحد يعرف به ســواي وذاك الخال (عهوول) الـــذي أنت حريص عليه جدا وتحمل له هما، والذي تحســب انك تقترف الخطيئـــة مـــن جهته ولهذا تقضـــم دماغك من أجله!. كمـــا أود ايضا أن تطمئن، واقســـم لك بكل ما تعتقد به انني لا أنوي ولو بشـــكل يســـير أن أخدعـــك أو أحرفك عن الطريق. كما اني لا أقصد أن أثير في قلبك الحقد والكراهية تجاهه.

ان ذاك الخال (عهوول) هو الشـــوكة المغـــروزة تحت أظافري وقد ملأ حياتي لحظة بلحظة بالعذاب والآلام. لاتتصور بأنني اضمر له حقدا على ذلك لانه شـــيخ طاعن في السن وأنا في أوج شبابي. لا.. لو كان الامر كذلك فقط لكان اعتياديا أن أواصل الحياة معه. ولكن ثق ان الذي سأحدثك به صحيح وواقع تماما، وان ما ســأحدثك به هو القليل والكثير منه ســـأظل أخفيه في ثنايا قلبي..

كنت حينذاك طفلة، وذاك الخال (عهوول) الورع كان قد وطد علاقته بأمي. لم يكن ابي في السن الذي يموت فيه. كان في شرخ شبابه. أمي وذاك الخـــال (عهوول) هما اللذان قتلاه. مات بعد بدء علاقتهما بســـنتين! كان عمري حينذاك في حدود ســـت، سبع سنوات. كنت أشعر فيما بيني وبين نفسي بما يجري بينهما. ولكني كنت طفلة لاحول لي ولا قوة. لا استطيع أن أحكي لك كل شـــيء بشـــكل مســـتفيض. بعد موت أبي كان ذلك دأبهما لمدة تســـع سنوات طوال، وقد كنت أدرك تماما سلوكهما هذا. ولكن ما كان بامكاني ســـوى أن أتجرع الآلام وأتعذب جراء ذلك. ولم يشـــأ ان يتزوجها لكي تأخذ المسألة شكلا آخر. لم أكن أعرف لماذا؟!.

بعد تسع سنوات مرضت امي وبلغت التراقي. في تلك الليلة التي ماتت فيهـــا، نادتني الى قربها وحاولت معي لمـــدة طويلة ان تقنعني بأنني بعد

موتها لا مفر لي الا الزواج من الخال (عەوول). أجل.. في ذلك الحين، كنت مثلـــك ادعوه الخـــال (عەوول)!. وقد انبأتني بأنها قـــد اتفقت معه ايضا بهذا الشكل. ثم الى أن اسلمت الروح كانت لاتنفك تقول: «كي لا تتشردي وتكوني بلا معين، لا مفر من أن يكون هو نصيبك!». وقد كانت مصيبتي الكبرى في أنني لم يكن لي أحد أو قريب سواء من جهة أبي أو أمي استنجد به لينقذني.

بعد ذلك وبعد وفاة أمي مباشـــرة باسبوعين أو ثلاثة، عقد قرانه علي وكان عمري بين الخامســـة عشـــرة والسادسة عشـــرة. وها انني ومنذ سبع ســـنوات طوال أنام في أحضان هذا الافعوان واصبح وأمسي معه!. سبع سنين بين أنياب ذلك الذئب وحبيســـة مخالبه!. في حـــين انك أيضا تحمل هما اذ تقترف خطيئة تجاهه.

كنت قبل ذلك قد ســـمعت أحاديث عن مثل هذه المســـائل والاحداث، امـــا في حكاية ما كانت حكتها لي أمي أو في قصة قرأتها، وكنت أتصور ان تلـــك مجرد قصص خيالية بعيدة عن الواقع. ولكن ها ان (گوڵچين خان) تحدثني عـــن حادثة هي من ذلك القبيل وقد جرت عليها أيضا!. كيف.. ترى أيمكن أن يحـــدث مثل هذا؟!. ثم ان الخال (عەوول) كان هو يتهجم على الفاجرين ويلعنهـــم؟! فما دام الامر كذلك فان اقواله تلك كلها كذب ورياء وخداع كان يخفي بها فسقه وفجوره!.

لم يكن الامر بمشـــيئتي. فعندما سمعت تلك الاحاديث من (گوڵچين خان) وحســـب تحليلي أنا، تملكتني كراهية وحقد شـــديدين تجاه الخال (عەوول) فصار بالنســـبة لي أيضا افعوانا، صار ذئبا يرتدي ثياب انسان. وجنبا الى جنب ذلك الحقد والكراهية، تحركت عاطفة وشفقة شديدتين في نفسي تجاه (گوڵچين خان) مهدت الطريق ثانية لتهيج الاشتهاء والرغبة

وتزيــل عن طريقها العراقيل. ومنذ تلك اللحظات، صرت في الوضع الذي انا اقوم فيه بالهجوم. ان أطوقها بذراعي وأجذبها الي، واعتصرها واشـــرع بتقبيلهـــا! ولكن لا! لم تجر الامور كما أردت هذه المرة ايضا!. في هذه المرة أيضا هي وكأنها أحســت بشـــكل جيد وعرفت انها هي اللحظة الحاســمة، اعادت هجومها!. هجومها هذه المرة كان هادئا. ولكن هجومي كان جنونيا. هجومي فعل فعلا جعلنا ننسى نفسينا ونغيب عن الوجود!

* * *

-واخيرا، فعلتها يا (گولچين خان)؟!.. اخيرا فعلتها؟!.

كان صــوت أمي كطلقة قدحت في اذني وأوقدت لهبة في فؤادي. عنـدما انفصلنـــا عن بعضنا على عجل ونهضنا علـــى أقدامنا وصوبنا اعيننا نحو باب الغرفـــة، كانت كجلاد مرعب جدا، واضعة يديها حول خصرها مالئة فراغ البـــاب بكامله. رايتها تعض شـــفتيها بكراهيـــة وغضب وتصر على اســـنانها. ووجدت أن عينيها تقدحان شـــررا تصوبه نحونا. سمعتها تصب الرصاص المصهور في اذني قائلة:

-لقـــد كنت أعلم يا (گولچين خان) انك تدبرين هذا. كنت أعرف ولم اكن عمياء او حمقاء او بلهاء.

لم تنطق (گولچين خان) بكلمة ما، سوى انها اجهشت بالبكاء المر ومرقت من امام أمي مسرعة الى الخارج. عندئذ توجهت أمي نحوي وصبت علي وابلا مما كان في جعبتها من شتائم وكلام ناب، وهي تتقدم نحوي ولم يبق الا ان تغرز اصابعها في عيني وقالت:

-كم مرة أومأت لك أن تبتعد عن هذه المرأة الفاقدة للحياء والناموس. كنـــت على ثقة كبـــيرة بك. كنت أقول انه ولد قـــد رضع من حليبي ولا

يمكـــن ان تبـــدر منه بادرة كهذه!. غير انه كانـــت هذه نتيجتك يا عديم الشرف. يا أيها الملعون النجس.. يا عديم الحياء!.

كل كلمة من كلماتها كانت كأبرة تغرز في قلبي، كسفود محمي تكوي به كبدي. ومع ذلك تملكتني نوبة عميقة من الخجل المؤلم جعلتني أنهار أمامها ولم أقم بحركة ما أو انطق بكلمة ما. ولم أكن أعرف ماذا أفعل وماذا أقول.

في النتيجة، اســـتجمعت قواي وركضت كالمجنون هائما الى الخارج. نزلت من درجات السلم راكضا وقطعت باحة الدار قفزا. وهكذا الى ان وصلت نهاية زقاقنا، كان صوتها يبلغ سمعي اذ تقول:

-لا تعد لهذا البيت يا عديم الشـــرف.. أنت نجس.. لســـت ابني.. لســـت ابني!.

-٩-

كنت أمشـــي دون وعي وانتباه وكأني واقـــع تحت كابوس حلم مرعب. تجولت في الســـهول والتلال المحيطة بالمدينة ان أسدل الليل ستاره على كل شـــيء وقطع دابر الوميض من نور الشمس. صوت انصفاق الباب وأحاديث (گولچين خان) وبكاؤها وخضوعها ونشـــيجها، ومنظر أمي المفزع وكلماتها التي تحز في النفس وصراخها المرعب بعد اللحظات التي غادرت فيها البيت، كل ذلـــك كان كخرير نهر يجري في واد وعر وكهدير رعد متواصل رجعت صداه يدوي في اذني باستمرار ويتفجر في ذهني وفكري. حتى انه في بعض الاحيان يضغط علي بحيث كنت من فرط ذلك ادعك اذني وألقي بنفســـي على الارض وكأني أريد أن أغرز رأسي في التربة. كنت أقضي مدة على تلك الحال أتقلب وأتمرغ حتى بلغ بي الامر ان استرخي في مكاني وأفقد الحركة، عند ذاك كمن يغمى عليه، استكين وأخمد في مكاني.

عندما حل الظلام، بالاضافة الى تلك الآلام النفسـية القاتلة، فالخوف مـن الظلمة ورهبتها والسـكون المحيط بي ضيقا علـي الخناق وزادا من اضطرابـي اضطرابـا. كنت لاول مـرة في حياتي أجد نفسـي منفردا في الظلام ووحشة السكون هكذا. لذا لم استطع الصبر اكثر من ذلك واتخذت سبيلي الى داخل المدينة. ثم في المدينة تجولت في الشوارع والازقة الخالية حتى موهن من الليل. وقـد مررت بالكثير من بيوت الاقارب وتجاوزتها، وصادفنـي في طريقـي الكثير من بيـوت الطلبة من رفاقـي. وكثيرا ما راودتني فكرة أن أطرق باب أحدهم والجأ اليه، ولكن عندما كنت أفكر في تلك الاسـئلة والاستفسارات التي يطرحونها علي، كانت تسري في جسدي قشعريرة وتأخذني رهبة، حتى يصل بي الامر ان اتجنب التقرب من تلك الانواع من البيوت خشية ان التقي بأحدهم فجأة واقع في المصيدة.

على كل حال، في منتصف الليل لم تبق لي حتى الفرصة لادور في الشوارع والازقة بحرية. حتى غدا بي الامر ان يوقفني الحراس ليسألوني باستغراب مالـذي جرى لي كيما أكون خارج البيت في منتصف الليل!. في بداية الامر كنت آتي لكل منهم بعذر اتخلص به. ولكن اولئك الذين التقيتهم ثانية كان فمي ينقفل تجاههم ولا أجد جوابا أجيبهم به. لقد كانوا من حسن الحظ يعرفون من شـكلي وهيئتي وما يرتسـم على وجهي من هم وحزن، انني يجب اما ان أكون مطرودا من البيت أو انني هجرت البيت غيظا وشـردت، لهـذا كانوا كثيرا مـا يحاولون باخلاص التخفيف عنـي ونصحي بأنه من الافضـل لي أن أعود للبيت. وبـدوري كنت من اجل التخلص منهم أعدهم بالعودة الى البيت وأسرع بالابتعاد عن تلك المنطقة.

هنا لم يبق لي أي مخرج، قررت بأية حال ان ألجأ الى بيت أحد رفاقي. اخترت واحدا ليس لذويه اي تعارف مع عائلتي. عندما توجهت اليه كنت

قد فكرت أيضا فيما لو سئلت بأي عذر سأعتذر. لذا حالما وجه الي السؤال بدهشة:

-ماذا جرى.. ماذا دهاك؟.

قلا فورا وكأنني أقرأ له شيئا مكتوبا عن ظهر قلب:

-انك تعلم ان امي وأبي قد أضجراني. لا يدعاني اتحرك داخل جلدي ولا يمنحانـــي فرصة أن أذهب لاي مكان. فمـــا ان أغيب عن أعينهما عدة ســاعات حتى يقلبا الدنيا بحثا عني، لقد نغصا حياتي. ها انك ترى وقد قـــررت أن أكيد لهما مكيدة وأخفي نفســـي عنهما ليلة أو ليلتين عســاي استطيع كسر ذلك الطوق وتحرير نفسي منه.

لم يطل صديقي معي الحديث ولم يســأل أي ســؤال آخر، بل شد من ازري بحرارة وقال:

-بذمتي حســـنا فعلت. أخي ان ذلك الطوق هـــو في عنقي ايضا. عهدا علي أن أسلك مسلك هذا في فرصة ما!.

★ ★ ★

قضيـــت تلك الليلة والليلة التي تلتها في بيـــت ذلك الصديق. ولكن في الليلة الثالثة، كنا على وشك النوم عندما طرقت باب الدار. عرفت صوت امي بسرعة وقد كانت تردد بلهفة كبيرة قائلة:

-أين هو.. فديتكم اين هو؟!. اروني اياه.. أين هو؟!.

وما ان وقعت عيناها علي حتى هجمت علي بشـــكل وشرعت بتقبيلي وعناقي وكأنني ابتعدت عنها منذ سنين طويلة وليس ليلتين فحسب. انا من جانبي انتابتني موجة من الخجل ولم اجرؤ على النظر اليها حياء.

جلســـت لفترة قصيرة مع ام صديقي وبدأن يتشـــاكين لبعضهن حول

مهـام الامومة، حتى عرجن الى الحديث عنـي. حتى ذلك الحين كنت في حيرة مـن أن أمي كيف اسـتطاعت ان تعرف مكاني!. ولكني سـمعت أم صديقي تقول لأمي:

-اعذريني اذا ما تأخرت عن اخبارك. ان ابني الشيطان قد خدعتني وأخفى عني أنه قد ترك البيت غيظا. ولكن في هذا المساء عندما استدرجته للاباحة بالسر قلت لأبيه: اذهب ولا ترجع ما لم تجد بيتهم وتأتي بأمه معك.

بعد كلامها ذاك، رمقتني أمي بنظرة ذات مغزى وقالت وهي تبتسم:

-اجل.. حضرته ترك البيت غاضبا لاننا قلنا له لا تخرج ليلا!.

في تلك اللحظة انفجر في أعماق نفسي كالينبوع شعور حب اكثر عمقا من السـابق تجاه أمي وهزني. ووددت لو انني ارتميت في أحضانها كما لو كنت قد عدت طفلا رضيعا لاجد الطمأنينة في حضنها ذاك!.

عندما عدنا الى البيت، كان البيت يموج! اخواتي وازواجهن وعدد من الاقـارب الاقربين كانوا قد أحاطوا بأبي. هممت أن أتوجه اليهم، ولكني لم أستطع ذلك خجلا. افترقت عن أمي وصعدت رأسا الى غرفتي.

كانـت الاصوات التي أسـمعها تصلنـي كالضجيج ولم أكـن أفهم منها شيئا. الى أن شعرت ان الضجيج بدا يهدأ شيئا فشيئا وينحو نحو الصمت. وعندما سـاد الصمت تماما، شـعرت ان احدا ما يصعد على السلم نحوي. عرفت بسـرعة انها وقع أقدام أبي. أخذت ضربات قلبي تشـتد وتملكني خوف من أن أتعرض لسيل من الشتائم والكلمات النابية منه. لم أدر ماذا أفعل وكيف وأين أخفي نفسي. ولكن عندما وضع قدمه في غرفتي، وبعد قليل من الصمت والتأمل، قال بشـكل اعتيـادي كمن يريد ان يوحي الي انه لم يكن ولم يحدث شيء:

-هل كنت تدرس في هذين اليومين؟!

في ردي عليه رميت (لاء) ملؤها الندم والمسكنة بصعوبة من فمي. ولم يطل هو الامر أيضا وعاد أدراجه. غير انه قال في أثناء ذلك:

-لا أحب أن تهمل دروسك.

صنيع أبـــي ذاك معي أثلج قلبي، واراح فكـــري المتعب، وهدأ من روع مشـــاعري المهـــزوزة الى حد انني بعد مدة قصـــيرة، رحت في احضان نوم عميق غفلت فيه عن نفسي وعن عذاب ذلك الحدث الرهيب.

بعـــد ذلك بمدة وبعدما لم تبـــق للموضوع تلك الاهمية وصار قديما، حدثني أمي على عادتها عن تتمة الحدث فقالت:

-في تلك الامســـية حالما عاد أبوك حدثته عـــن الواقعة من أولها. وهو بعد غضـــب وتهديد وزجر وتقريع فظيع لي، ذهـــب الى الخال (عهوول) وجاء به الى بيتنا وحدثه عن الموضوع بهذه الصورة: زعم انك قد تعلقت بـ(گولچين خان) وقد ســـببت لها مضايقـــات. وزعم كذلك بأننا من أجل هذا قد عذبناك وأخزيناك كثيرا ولهذا قد تركت البيت غيظا وهمت على وجهـــك. ثم أوضح له انه من الافضل ان ينتقلوا الى حارة أخرى، ويضعوا حلا لتلك المشكلة على هذه الصورة. وقد ظهر بأن الخال (عهوول) سرعان ما شـــعر بما وراء الاكمة. وفي اليوم الثانـــي انتقل ودون أن يدري أحد الى أيـــن وفي أية حارة!. ولكنما وقـــت انتقالهم فان الله وحده يعلم ماذا فعلت تلـــك المـــرأة!. والى أن حملوا آخر قطعة من اثاثهـــم، كانت تضع رجلا في البيت وأخرى في الزقاق!. انها لم تعرف ان جنابك قد تركت الدار غاضبا وتمردت. كانت مســـتمرة على انتظار رؤيتك قبل ترك الزقاق نهائيا. في الحقيقة، في تلك اللحظة التي اتخذت ســـبيلها للذهاب يائسة، كنت أعطف عليها غاية العطف وأشـــفق عليها. كنت جالسة في المجاز وقد تغافلت عنها ولـــم أشـــأ أن أودعها اذ دخلت علي هـــي وقبلت يدي وهي تنشـــج باكية

وقالت:

-لقد آلمت قلبك.. ابرئي ذمتي!.

عند ذاك لم استطع ان أتمالك نفسي وقبلتها من وجنتيها وودعتها، زد على ذلك ان عيني قد ترقرقتا بالدمع وبكيت لحالها!. ثم كنت قد لاحظتها انها ولآخر مرة قد اجالت بصرها في البيت!. كنت أعرف وأنا واثقة من انها كانت تبحث عنك. لم تدر ان جنابك لست في البيت وقد هربت. فلما ظلت تجيل بصرها ولم ترك، خرجت بذلة، كسـيرة القلب. سمعتها تودع الجيران الآخريـن بيتا بيتا. ولكن عندما اندفعـت وذهبت الى باب البيت كانت هي قد اختفت عن الانظار!.

مسرحية

# الضحك وفق القانون

## ترجمة: محمد البدري

### المشهد الأول

في وســط المسرح يتراءى تابوت قديم جدا لأحد الملوك القدامى. رجل عالم مع اثنين من مســاعديه واقفون. وحين ترفع الستارة يتقدم العالم ويوجه كلامه للمتفرجين في القاعة.

العالم- سادتي.. قبل كل شيء أود اقدم لكم نفسي ومساعديّ الاثنين.. انني رغــم كوني مؤرخا. فانا منقب آثــار.. وان كنتم تريدون الحقيقة فــان درايتي وخبرتي في التاريخ هي التــي وضعتني في حالتي هذه.. لقد اســتغرقت تجربتي هذه اكثر من عشــرين ســنة.. فانــا انبش بمخالبي واناملي في الاتربــة والخرائب حيث المناطق الخربة المهجورة.. فمنذ ذلك الوقــت وانا اتلهف لرؤية جرة مكســورة او قطعة نحاس صدئة او تمثال متثلم الرأس والأذن او اي شــيء اخر من شــأنه قيادتي الى التعرف على

السـلوك او نمط حياة الاباء والاجداد.. الواقع.. لقد تمكنت من اكتشـاف كثـير من الامور بهـذه الطريقـة.. وتكونت لدي خبرة لا بـأس بها عن التاريخ اكثر مما كنت اعرفه عن طريق اي مؤرخ اكاديمي..

ولكن.. يا سـادتي- الشـيء الذي عثرت عليه قبـل ايام مضت تحت انقاض خربة قديمة وفي عمق عشرين قدما ونتيجة عناء مضن مع هذين الرجلـين.. هنا لابـد ان اعرفكم بهما واقول.. انهما اثنان من مسـاعدي الجيديـن وقد هاما بحب هذه المهنة منذ عهد بعيد.. اي نعم.. بعد جهد جهيـد.. قررت دعوتكم للحضور الى هذه القاعة.. ان ما فاتنا صار اشـبه مايكون بركوب ظهر الاسـد ولم نفهم منه شـيئا.. او لنقل اننا لم نبلغ النتيجة كي نخبركم بها.. املنا ان تكونوا معنا في مساعدتنا في..

المساعد الاول: (يقاطع العالم).. انني مازلت مصرا على رأي السابق واقول.. لا..

المساعد الثاني: وانا كذلك.. انا ايضا على الرأي نفسه.

العالم كفى.. عليكما بالصبر.. دعوني اكمل حديثي.

المسـاعد الثاني: دكتور.. ليس من الجائز ان تتعب الحاضرين.. العالم ولكن..

المسـاعد الثاني: دكتور. انك واثق من اننا كم نحترم كلامك ورأيك.. ومازلنا مثلما كنا لحد الآن.. ولكن لم هذا..

العالم ولكن الم نتفق على هذا.. لكي..

المساعد الثاني: نعم اتفقنا.. ولكن بالنسبة لي..

المساعد الاول: ولكننا بعد ان فكرنا في المسألة جيدا بعد القرار. وجدنا انه يحسن ان تكون انت..

المتفـرج ١- (من داخل القاعة)... ادعوتمونا لكي تسـمعونا الغازا عن طريق التمثيل.. ام ماذا؟ عن أي شيء تتحدثون يا ترى؟

المتفــرج٢- احســنت.. والله انه على حق.. كنت انوي توجيه الســؤال نفسه.

المتفرج ٣- عزيزي الدكتور.. ارجو ان لايزعجك كلام هذين الاخوين.. انهــم لايعرفونك دون شــك.. انــا اعرفك واحترمك جدا.. لســت اقصد شــخصك بالذات.. انا لاول مرة اتشــرف برؤيتكم.. انمــا اقصد بحوثك وســعيك المستمر في ميدان اختصاصك.. والذي ارجوه ان تخبرونا بجوهر الموضوع..

المتفرج ٢- نعم.. نعم.. هذا هو المهم.

المتفرج ١- صحيح جدا.. اتخبرونا ام نمضي في سبيلنا؟!

العالم: (يقف كالتمثال وقد دس كفيه في محزمه.. يصغي بصمت لهذه الاسئلة ويحللها مع نفسه).

المتفرج ٤- كانه يسخر منا!

المتفرج ٥- اي والله.. انه يستهزئ بنا.. انحن من مهرجيه؟! فانا نفسي لا ارتضي ذلك.. انا ذاهب اذن..

المتفرج ١. ٢. ٤- ونحن ذاهبون ايضا..

العالم (ينتبه لنفســه).. ســادتي... اخوتي.. احبائي.. اصغوا الي ولا تغادروا القاعة.. فانا سأكمل الموضوع واختصره لكم..

المتفرجون: (يعودون للجلوس في اماكنهم).

العالم: سادتي.. لقد عثرت على قبر في خربة وفي عمق عشرين قدما.. كان القبر مثبتــا بالمرمر.. أمضيت يومين كاملين ومعي هذان الرجلان.. ندقــق فيما ظهر منه ولكن دون جدوي.. لم نرمــا يجلب انتباهنا.. كل الذي اســتنتجناه من نوعية التابوت انه كان محفوظا في سرداب من دون بــاب.. قررت حفر القبر وعثرت في داخله على قبر أكثر من الأول احكاما

وحين تمعنت فيه بدقة انتبهت لعبارة كتبت على جهة منه وقد اعيدت كتابتها على الجوانب كلها.. قراءة العبارة بالنسـبة لي كانت بمثابة شربة مـاء.. العبـارة المكتوبة هي (احـذر).. ازحت عنه قطعـة المرمر بهدوء فعثرت على هذا التابوت الذي ترونه الان.. (يقترب منه) انه ليس تابوتا عاديا.. انا لسـت من اولئك الذين يؤمنون بالخزعبلات من امثال اللعنات الفرعونيـة.. ولكن لا ادري ماالذي يدعونـي في أعماقي الى ضرورة فتح التابـوت رغم ان المكتـوب عليه وبالأرقام ١٢٤ مرة عبـارة -لاتحاول رفع غطائي- وهذا الرفع للغطاء كما يقال يقلب الارض فوقا الى تحت.. لا ادري هل هو يمهد السبيل لقيام الدجال ام الظهور المهدي!.. كل لذي اعرفه هو قدرته على قلب الارض..

المتفرج ١-ولكن.. ما الذي تريده هنا؟.. لم دعوتنا الى هنا؟

العالم- شكرا.. دعوتكم لكي نقرر.. هل نفتح الغطاء ام لا..

المساعد الاول- لا..

المساعد الثاني- لا.. ثم لا..

العالم- اسـمعتم؟.. انهما يقـولان لا.. وانا اقول نعـم.. ماذا تقولون انتم؟ يجب ان لا تنسوا.. انا لا اظن ذلك.. كل ما هناك عبارة عن محاولة اجريها بما يملي علي عقلي..

المتفرج ٢، ٣، ٤، ٥- نعم.. نعم.. نعم.. نحن موافقون..

المتفرجون- (مع اعداد اخرى).. نعم.. نعم..

العالم- (يقترب من التابوت).

المساعدان- (يذهبان لمساعدته مضطرين).

ثلاثتهم- (يرفعون غطاء التابوت).

الملك- (يرفع رأسه من داخل التابوت وهو بين الحياة والموت.. يرتدي

بدلــة من ملابســه القديمــة.. يلتفت يمنة ويســرة.. ينظــر الى العالم ومساعديه).

العالم والمساعدان- (يستبحون الى الوراء مذعورين).

الملــك- (يقف على قدميــه.. يلتفت الى ما حولــه ثانية.. يخرج من التابوت.. يقف امامهم مسددا النظرات اليهم.. وفجأة وبصوت صراخ قوي يصيح).. شارات..

العالم والمســاعدان- (يصابــون بالذعر والهلع ويتراجعــون الى الوراء اكثر).

الملك- (يلتفت الى الناحية اليســرى من المســرح).. شارات.. اين انت يا شارات؟

المساعدان- (يتركان خشبة المسرح مهرولين).

الملك- انت يا شارات.. لماذا لا تجيب؟

شارات- (انه حارس قصر الملك.. يأتي مسرعا ويقف الى الجهة اليسرى منه).. نعم.. نعم.. يا سلطان الخير والبهجة.. قل واصدر امرك وانا رهن اشارتك.

الملك- (بابتســامة متكلفة).. يا بني.. ان مايفــرح الملك هو ان تكون اوامــره مطاعة.. انك تدري ان الملوكية عبارة عــن أوامر. وهذه لابد ان تنفذ. وبدون ذلك فهو ملك اي شيء؟!

شــارات- (الفرحة مرتســمة علــى محياه).. عفوك يــا ملك الفرحة والســعادة.. اوامرك على الرأس والعين.. لكننــي ارجوكم ان توضحوا لي بما حدث؟

الملك- يا بني.. انني عندما شــرعت قانوني الخالد كنت واثقا من انه سيترســخ اخيرا، علمت انه يحتاج وقتا طويــلا الى ان تذوب فيه رعيتي

ولكن، ولكن.. يا ولدي..

شارات- نعم.. نعم.. ايها الملك.. فكلامك ليس الا دررا..؟

الملــك- ولكــن انظر (يؤشــر باصبعه الى الــوراء).. انظــر الى اولئك المتجهمين.. اولئك الذين يشبهون الاجنة.. انه ليدعو الى العجب والدهشة والظلــم ان ارى نماذج من هــؤلاء عندي.. الا تندهش انــت؟! ايمكن ان يحصل هذا؟!

شارات- ولكن يا سيدي..

الملك- (بهدوء وبصورة امر).. احرقهم..

شارات- ايها الملك..

الملك- في حفل خاص يستمر سبعة ايام وسبع ليال.

شــارات- يا ملك الســعاد والفرحة في الارض.. اعفني.. اثار اي اصبع منكم هي قبلتي ولكنني لا اعرف شيئا.. انا رهن اشارتكم..

الملــك- (يلتفت الى الوراء.. يضطرب.. يغضب).. متآمرون.. انا لســت غافلا عن تحركاتهم.. انا عارف بما اتيت به وادري بما يريد عبدة البكاء القيــام به (يوجه كلامه الى شــارات).. شــارات.. كان لي امل كبير فيك.. ولكنك..؟!

شارات- سيدي.. يا باعث السعادة والابتسامة.. انا..

الملــك- (يقهقه). اقرعوا الطبول.. نادوا في الناس.. نادوا ثانية.. انني نتيجة لاخلاصك واعتقادك الراسخ مطمئن من قانوني الخالد.. والا فان ما شاهدته بعيني قبل قليل كان يدعوني الى ان احول الجلود طبولا. هيا اذهب مناديا في الناس ثانية.. قبل ان اقرر..

(يترك المسرح مستمرا في ضحكته).

شــارات- (تمتزج الضحكة بالاضطراب والتردد.. يصرخ) كارشــا.. اين

انت يا كارشا؟

كارشا- (يظهر على المسرح).. نعم سيدي..

شارات- هيا اسرع مناديا في الناس.. اسرع..

كارشا- اما ناديت في الناس من قبل؟!.

شارات- مرة ثانية.. دعهم ينادون..

كارشا- ولكن..

شــارات- لا داعي لاطالة الحديث.. انه قرار ملك الخير والسعادة.. هيا اسرع.

(يترك المسرح)

كارشا- (ينادي).. اندي.. اندي..

اندي- (يعلو المسرح وقد علق طبلا الى عنقه).. نعم يا سيدي..

كارشا- كونوا مستعدين كي ننادي..

اندي- (يصيح) ماريو.. كندش..

ماريو. كنداش- (انهما حارسان يظهران على المسرح).. نعم..

اندي- استعدوا كي ننادي في الناس..

كارشا- (يأتي الى مقدمة المسرح)..

اندي- (يقف الى جانبه ويتهيأ لقرع الطبول).

ماريو- (يقفان وراءهما).

كارشا- (يخرج ورقة من محزمه ويمسكها بيديه).

اندي- (يضرب على الطبل فترة)..

كارشــا- (يقرأ الورقة).. باســم الملــك الهادي للضحك والســعادة غير المنتهية.. يا ســكنة المناطق الحارة والباردة من اقصى المملكة الى اقصاها.. اصغــوا جيدا لاوامر الملــك المقدس.. لقد تقرر مــن الان فصاعدا.. يمنع

البكاء والكآبة والتحسـر والتألـم والتأوه والهمـوم والتفكير في مثل هذه القضايا سرا او علانية وسواء في النوم واليقظة والخيال.. ابتداء من يومنا هذا عليكم ان تكونوا في العمل واوقات اسـتراحتكم وفي الشـارع والازقة.. وفي السـوق، وفي السـهل والجبل والغابة، في داخل الغرفة حتى في افرشـة نومكم وتحت الغطاء.. عليكم ان تبقوا ضاحكين الى ان يداهمكم الكرى.. وشريطة ان تظل الابتسامة دائمة مرتسمة على شفاهكم.. يا سكنة سهول وجبـال الولاية من اقصاهـا الى ادناها.. كونوا على دراية تامة من فرمان ملككـم المبجل.. ان بروز اثنتين من اسـنان الجهـة اليمنى من الفم وما مثلها في الجهة اليسـرى بشكل شـاقولي وبروز النصف الاعلى من الاسنان الاربعة الامامية السـفلى والنصف الاسـفل من الاربعة العليا: هذه تكون علامـة من علامات الضحك وما يكـون اكثر من ذلك فهو المفضل وماهو اقـل يعتبر تمـردا على اوامر الملـك.. والتمرد ماهو الا مؤامرة دسيسـة يعاقب مرتكبها دون رحمة.. اقتلاع من الجذر وحرق الجثة ونثر رمادها في الهواء ويجري ذلك في حفل يدوم اسبوعا كاملا وسط قهقهات مستمرة.. هكذا كل مسؤول عن نفسه ويتحمل وزر تصرفه (يترك المسرح)..

اندي- (يترك المسرح معه).

كنـداش. ماريـو- (ينسـحبان الى الـوراء ويقفان على طرفي خشـبة المسرح)

المستطرق ١- (يمضي مقهقها).

المستطرق ٢- (بعد ساعة يعود مثل الاول).

المستطرق ٣- (يمضي دون ضحك).

ماريو- (يصرخ به).. قف يا هذا..

المستطرق ٣- (ينفذ الامر.. يقف)..

ماريو- لماذا لا تضحك!؟..

المستطرق ٣- وما الذي يدعو الى الضحك؟!

ماريو- (يهجم عليه).. لم تضحك؟!.. نعم.. تقول.. ولماذا الضحك..

كنداش- (يقترب منه ويمسك بكتفه).. انتبه لنفسك واضحك..

المستطرق ٣- عجيب.. وما الذي حدث؟!

ماريو- غريب..!.. وتقول ماذا جرى؟!

كنداش- (يتجه الى الجهة الثانية منه).. ايها الغبي انه امر الملك.. اسرع.. هيا اضحك..

المستطرق ٣- (يضحك.. ولكن ضحكة ملؤها الخوف والرهبة)

ماريو- (يتركه وشأنه)..

المستطرق ٣- (يغادر المسرح وهو يضحك)..

ماريو- (مهددا ومعاتبا).. يا كنداش.. اصحيح اننا اصدقاء طفولة. ولكن يجدر بك ان تكون حذرا في المرة القادمة.. ان اللوم يقع عليك منذ الان..

كنداش- نصبح مذنبين يا ماريو. انا متأكد من ذلك انه ما سمع بذلك من قبل..

ماريو- الذنب ذنبه والا فلماذا لم يحاول الاصغاء؟!

كنداش- من الجائز انه لم ير احدا يخبره بالامر..

ماريو- كان عليه ان يحاول..

كنداش- كيف يحاول وهو لم يصادف احدا؟ انه ليس بعلام الغيب..

ماريو- ارجوك يا كنداش انا لست مستعدا لفقد رقبتي من اجل شخص يرفض اوامر الملك.. وانك تعلم جيدا كم هناك من الاناس الاشرار.. اليس من الجائز ان يكون هذا الشخص قد ارسل ليبلونا؟! ها.. ماذا قلت.. الست محقا؟!

كنداش- (يلتزم الصمت)..

ماريو- كن واعيا.. فانا خبير بهذه الامور.. لاتحاول اعادة ما فعلته..

كنداش- ولكن..

ماريو- قلت لك دع الموضوع الآن..

العجوز: (تبدو على المسرح وهي غاضبة)

ماريو: (يصرخ بها) ففي ايتها العجوز الشمطاء.

العجوز- (تقف)..

ماريو- لماذا لاتضحكين؟!

العجوز- (تجهش بالبكاء)

ماريو- ايتها العجوز الشمطاء العنيدة لاتعرضي رؤوسنا للقطع.. هيا اضحكي..

العجوز- (يرتفع عويلها) (تلتفت هنا وهناك وهي تقترب منه)..

ماريو- (مستمرا).. انسي ما حدث ايتها الجدة الحبيبة.. انسيه في سبيل هذه اللحظة.. اضحكي رجاء.. (غاضبا).. كنداش..

كنداش- ايتها الجدة.. ارجوك.. انه فرمان الملك.. يجب عليك ان تضحكي..

العجوز- (تكف عن البكاء.. تبقى مبهورة)..

كنداش- شكرا لك يا جدتي الحبيبة.. شكرا.. شدي عزمك ولو قليلا..

ماريو- (من دون هدوء).. كنداش..

كنداش- اكشفي عن اسنانك اثنين من اليمين ومن جهة..

ماريو- (يستل سيفه).. ايها القذر..

كنداش- (يبدو مذعورا)..

ماريو- لايمكنك الافلات مني.. هيا تقدموا..

كنداش- شيئا من العطف والشفقة يا ماريو.. دعني ارحم هذه العجوز

في الاقل..

ماريو- سبق ان قلت لك بأنك تتحمل نتيجة عملك..

كنداش- (مخاطب العجوز).. ايتها الجدة الحبيبة.. لتشمل رحمة الله والملك المعظم من مات لك.. ولكن اضحكي رجاء.. رجاء..

العجوز- اتجبرني اوامر الملك على الضحك؟! آه يا ولدي العزيز.. اتدرون بمن فقدته؟!.. انه كان فارسا شجاعا في مثل سنكم.. تدرون كيف وبأية طريقة مات؟! كنت لا ادري –والى فترة قليلة- بذلك، والان بعد ان سمعتكم.. ان ما سمعته هو ان الملك امر تقتله.. انكم الان توضحون لي الامر، كيف ولماذا قتل؟.. انني متأسفة كل الاسف يا اولادي.. اسفة لكم انتم الشباب المتحمسون.. كان ولدي في مثل عمركم..

كنداش- (يطأطأ رأسه خجلا مهموما)..

ماريو- (يهجم على المرأة العجوز).. ايتها العجوز العنيدة. لست بقادر على خداعنا بحديثك الفارغ هذا.. فانا احب الملك الاعظم ايما حب ومستعد للتضحية برأسي في سبيله..

العجوز- تظلم نفسك يا ولدي.. تظلم نفسك..

ماريو- لا تثرثري اكثر من هذا.. هيا اسرعي سيري امامي لتنالي جزاءك العادل..

كنداش- (متوسلا).. يا ماريو.. قليلا من الرحمة والشفقة..

ماريو- (يسوق العجوز امامه).. وبالنسبة لك فذنبك على جنبك، وليست من حقك ملامتي فيما بعد، وسوف ترى نفسك (يدفع العجوز امامه ويتركان المسرح)..

كنداش- (يقف كالتمثال منحي الرأس).

تسدل الستارة

## المشهد الثاني

(مقبرة موحشـــة وقد اختفى في ارجائها مساعدا العالم وهما في حالة بائسة من الهلع والخوف).

المســاعد الاول: لقد قلت لاتفعل ذلك يا دكتور.. دع عنادك وانزل من برج الشـيطان ولاتحاول رفع الغطاء. لاترفع غطــاء هذا التابوت النحس اللعين ولكنك لم تأخذ بقولي..

المساعد الثاني: قلت له مرات ومباشرة وكررت عليه بقولي.. اؤمن بما هو مكتوب على التابوت.. قلت ايها الدكتور ان القليلين هم الذين نجوا من لعنة الفراعنة. وهذه هي لعنة من النوع ذاته فلا تجعلها تصيبنا.

المســاعد الاول: تــرى هل مجــرد كتابة (ملعون من يرفــع غطاء هذا التابوت) هذا في الوقت الذي كان يصرخ بنفســه (احذر رفع غطائي).. ان كنت تريد الحق انه لم يخدعنا فقد كان موقفه انسانيا وطيبا معنا.. بيد أننا.. آه من نحن!.

المساعد الثاني: كنا مغفلين نلعب في المياه العكرة.

المساعد الاول: والان ماهو الحل؟ ما العمل؟!

المساعد الثاني: الحل؟! هو ان نحصد الخيبة والحسرة مادمنا احياء..

المساعد الاول: مادمنا احياء؟!.. والى متى نبقى احياء على ما تعتقد؟!

المساعد الثاني: اعرف ذلك.. ساعة.. ساعتان.. يوم يومان على الاكثر.. ولذلك فلا يبقى لنا سوى حصد الخيبة..

المساعد الاول: المهم ليس هذا.. بل يجب ان نبحث عن حل ونتخلص بأي شكل من الاشكال.. نسلم بريشنا..

المساعد الثاني: التخلص والنجاة؟ (باستخفاف).. لايقدر على تحقيق هذه المسألة غير الدكتور نفسه.

المساعد الاول: الدكتور ولكن اين هو الان؟. ترى ان يكون وما الذي حدث له؟!

المساعد الثاني: انا ادري.. ربما صيروه كرة يلعب بها الجرس للترفيه عن السلطان.

العالم: (ومن دون ان يعلم مساعداه يظهر على المسرح خائفا مرتجفا. فيتعرفان عليه).

المساعد الاول: (متلهفا).. انت يا دكتور..

المساعد الثاني: اسرع الينا يا دكتور.. الحل! ما هو الحل؟

العالم: (يبدو عليه التعب والارهاق.. جلس على الارض من دون ان يجيب احدا).

المساعد الاول: ابحث لنا عن حل يا دكتور.. ماذا حدث لك؟ اين كنت طوال هذه المدة وماذا كنت تفعل؟

المساعد ٢: كيف علمت بأننا نقيم هنا؟

العالم: لم اكن ادري انكما هنا.. وكيف يكون لي علم بهذا؟!

المساعد ٢: اذن كيف جئت الى هنا؟

العالم: مثلما جئتم انتم..

المساعد ٢: قلنا انها مقبرة وهي خير مكان للاختفاء.

العالم: هذا صحيح.. وقد تصورت التصور نفسه.

المساعد ٢: (يرمق المساعد الاول بشيء من الشك) مجرد هذا؟!

العالم: (بعفوية).. اجل..

المساعد ١: (يتجاهل كلام المساعد الثاني).

رجاء ارو لنا.. ماحدث لك يا دكتور.. اعذرنا.. فأننا لم نستطع التحمل ولهذا هربنا.. اتدري ما فعله هذا السلطان اللعين؟!

العالم: لا ادري بذلك: لأنني بعد ساعات من هروبكما هربت ايضا فقد اعياني الموقــف.. لنترك هذا.. ما رأيتماه انتما رأيتــه انا.. ولكن الكارثة فيما حدث بعدئذ.. نعم.. بعدئذ.

المساعد ١: ما الذي رأيته بعد ذلك؟

العالم: اقتلاع الرؤوس.

المساعد ٢: اقتلاع الرؤوس؟ وماذا يعني هذا؟

العالم: (يريد الوصف ولكنه لايقدر).. معناه.. ان شــخصا.. انا او انت يأتون به.. اقول.. ها.. رقبته.. لاادري.. دعوني وشأني.

المســاعد ١: معناه يقلعون رأســه من رقبته.. مثل العصفور يفصلون رأسه عن جسده؟

العالم: (يومئ بحركات من رأسه لتأكيد كلامه).

المساعد ٢: وهل رأيت بنفسك ذلك؟!

العالم: (يومئ برأسه مثل المرة السابقة).

المساعد ٢: يعني اننا نقع بأيديهم يقتلعون رؤوسنا؟

العالم: من دون شك.

المســاعد ٢: فتفضل يا دكتور وحاول ان تنقذنا من هذا المأزق.. هيا.. انقذنا مثلما اوقعتنا في هذه الكارثة.

العالــم: (يســدد نظراته اليهمــا نظرة من لايقدر على عمل شــيء).

امهلوني قليلا.. دعوني انال شيئا من الراحة وبعد ذلك سافكر في الأمر.

المساعد ٢: تسترح قليلا بعدها تفكر من الامر مليا؟ (يوجه كلامه الى المساعد الاول).. اتسمع؟! اننا بعد ساعة او ساعتين يلقى القبض علينا وتقتلع رؤوسنا وهو..

حراس المقبرة/ وهما شابان: (من الزاوية البعيدة على يمين المسرح يظهران بملابس قديمة).

العالم ومساعداه: (يختفيان).

الحراس/ شابان: (يأتيان الى مقدمة المسرح).

الحارس: (يجلس على صخرة).. بلغ العدد اربعا وأربعين لحد الآن!

الشاب الاول: لقد صار الرابع الاربعون من نصيبنا.. واذا سارت الامور بهذه الشاكلة سأكون انا الثامن والثمانين.

الشاب الثاني: او انا ربما..

الحارس: لا يا ولدي الحبيب.. لا.. انا.. اتمنى ان اكون انا.. لقد ابصرت موت واحد منكم، وأنا اعلم كيف ان المخالب والاظافر تمزق كبدي وقلبي.. ارجوكم وأتوسل اليكم ان لاتعلموا مثلي ولا مثل اخيكم الأكبر اعملوا بموجب الاوامر وانقذوا انفسكم من الموت.

الشاب الاول: (يسجد لأبيه).. ابتاه.. كيف تطلب منا مثل هذا؟! لقد علمتنا انت ان لا نخضع للجور والظلم حتى لو كان في ذلك ضياع رؤوسنا وارواحنا.. وقد سار اخونا الأكبر على الدرب نفسه مسترشدا لنصائحك. وأنني واثق من انه غير نادم على ذلك وحتى لو بعث وتعرض للتجربة ذاتها فأنه سيكون على موقفه الثابت نفسه.

الحارس: معذرة يا بني فأنا لست نادما على نصائحي ولكن ربما.

الشاب الثاني: أيه ربما؟! ان الظلم والاضطهاد الذي يمارسه هذا

السلطان اللعين وبشكل لايقدر على ممارسته الا الشيطان.

الشاب الاول: الشـيطان؟!.. وهل فكر الشيطان في شيء هكذا؟! فمنذ ان كان الشيطان شيطانا وهو يخطط لأساليبه والاعيبه الجهنمية ضد الانسان، فاننا لم نسمع بأنه قد ظفر بأمثال هذه الصور من الجور والاضطهاد.

الشـاب الثاني: الحقيقة انه لشـيء عجيب!.. من ايـن جاء بهذا.. من اين؟! كيف فكـر في هذه الصور الغريبة الفريدة للظلم؟. البكاء.. التألم.. التـأوه.. حتى التفكـير في الهموم.. ممنوع!.. عليهـم ان يضحكوا فقط.. ان تضحكـوا حتى اذا ما كنتم تحت الفراش.. وفي سـاعات النوم.. ابتاه.. اتـدري.. يجب علينا ان نقهقه.. يجـب ان نضحك على اخينا الاكبر وقد اقتلعوا رأسه.. اتستطيع ذلك؟!

الشـاب الاول: ايمكنك اظهـار او ابراز اثنتين من اسـنانك من الجهة اليمنى ومثلهما من الجهة اليسرى؟

الشاب الثاني: ومن الناحية الشـاقولية.. ابراز النصف الاسفل للاسنان الاربع العليا والقسم الاعلى من الاسنان الاربعة السفلى.. اتقدر على ذلك..

الشاب الاول: والاكثر من ذلك هو المفضل والمقبول. وبخلاف ذلك يعتبر تمردا على فرمان السلطان المبارك.. اتستطيع ذلك؟!

الشاب الثاني: ابتاه.. ارجول.. استطيع.

الحارس: (يقف منتصبا).. لا.. لا أبدا.. لا أبدا..

الشـاب الاول/ والشاب الثاني: (ينسـحبان عنه الى الوراء قليلا ويقفان قبالته بهدوء).

الحـارس: (يحرق انفاسـه ويقول محلدا) اللعنة عليـم.. عليك.. كل اللعنات ايها الوحش العاشق للدم والشر.. انك اقذر من الشيطان.. من اين جئـت وفي اي ركـن من اركان جهنم كنت مقيدا ثـم تحررت؟! من الذي

اطلق سراحك وجعل منك ثعبانا ليداهمنا؟! من؟!

الشاب الاول: اهدأ يا بياتي اهدأ رجاء.

الحارس: (بأستخفاف).. سلطان الغبطة والسعادة! الخالي من النقص والزيادة!.. اربعة واربعون. وبعد ساعتين فقط من اعلان قرار نشر الفرحة والسعادة تم فصل اربع واربعين رأسا عن الاجساد!.. وكان الرابع والاربعون فلذة كبدي!.. اللعنة عليك.. اللعنة عليك يا سلطان الرؤوس المقتلعة.

الشاب الثاني: يا ابي الحبيب.. كن هادئا.. ارجوك ان تظل هادئا.

الحارس: (يلوذ بالصمت ويجلس في مكانه بهدوء).

الشاب ١، ٢: (يقفان الى جنبيه وينتظران).

العالم والمساعدان: (يسمع لهما حركات صائتة).

الشاب ١، ٢: (ينتبهان اليهما).

الحارس: (ينتبه ويقف على قدميه).

الشاب ١، ٢: (يستدلان السيوف، احدهم يتجه يمينا والاخر يسارا من المسرح ويذهبان مسافة فيشاهدان العالم ومساعديه ويقودهم الى حيث يقف الحارس).

## القسم الثاني – من المشهد الثاني

الحارس: (يدقق فيهم بأمعان متعجبا حائرا).. من انتم.. وما انتم؟

العالم والمساعدان: (لايمكنهم الاجابة.. انهم يرتدون ملابسهم الاعتيادية).

الشاب الاول: انهم جواسيس السلطان.

الشـــاب الثانـــي: هذا واضح جدا.. انظر كيـــف ان الخوف من الموت هو كيانهم.

الشـــاب الاول: اقتلاع رؤوســـكم بأمر ســـلطان البهجة والســـعادة كيف تجدونه؟

الشاب الثاني: انه شيء في مكانه.. جيدا جدا.. اليس كذلك؟

الشاب الاول: انظر يا ابتي.. ان هؤلاء العصاة لايضحكون!

الشـــاب الثاني: ومـــا علاقته هو بأوامر والـــدي؟! انهم متمردون على اوامر الســـلطان ومتأمـــرون وكفى.. يجب اقتلاع رؤوســـهم دون ســـؤال وجواب.. اليس كذلك يا ابتاه؟!

الحارس: (يرفع رأسه ويسدد اليهم النظرات).. من انتم؟

العالم: (بأرتباك).. نحن.. انا عالم آثار.. يعني أنا.. على أساس.

الحارس: وهؤلاء؟!

العالم: انهما.. انهما مساعداي.

الحارس: معنى هذا.. كنت انت؟!

العالم: (يقف منحني الرأس من دون أن يجيب).

الحارس: ولم فعلت هذا؟

العالم: (لايجب ايضا).

الحارس: (ومن دون اكتراث).. اجلسوا..

الشاب الاول: ابتاه.. ارجوك أبتي..

الحارس: (بلهجة أمرة).. اجلسوا..

العالم/ المساعدان: يجلسون.

الحـــارس: (وكأنه يروي حكاية).. اصغوا الي.. يروي انه قد حدثت في

قديم الزمان كارثتان سـببتا المصائب والنكبات للبشر هلى هذه الارض.. الاولى عبـارة عن طوفان، والثانية تتمثل في ذئب.. لقد اكتسـح الطوفان كل ما هـب ودب ووقف في طريقه مدمرا له، والثانية الذئب حيث نهش وافـترس كل مـن وقف امامه.. ولكـن هذه الكارثة هـي اقوى بكثير من الكارثتين السابقتين، انها تفترس الروح والقلب والانفاس والمشاعر، البشر والحيوانات والنباتات والاشـجار والصخور، كلها سواسية عندها.. ان ملك الخير والبهجة لايفرق بينها.. ومن يخرج على هذا الفرمان يقتلع رأسـه بعد لحظات.. يصير الملك رئيس وتاج وفخر ومفخرة كل شـيء، وتتحول الأشـياء كلها بمـا هو ذو روح وما هـو من دون روح الى فراشـات تحول مصابيحه.. ايسعدك هذا؟!

العالم: لا.. ثم لا.. لا ابدا.

المساعد ١، ٢: لايسعدنا هذا مطلقا.. لا يعجبنا.

الشاب الاول: ابتاه.. أتصدق وتعتقد انهم ليسوا بجواسيس الملك؟

الحارس: لا يا ولدي.. لا..

الشاب الثاني: كيف تعرف يا أبي؟!

الحـارس: اعرف يا ولدي. كونوا مطمئنـين.. انهم هاربون خوفا من اقتلاع رؤوسهم.. دعوا الشك.. (يوجه نظرة الى العالم ومساعديه).

على اية حال.. ان مصيركم مرتبط بمصيرنا.. لقد حفرتم بأنفسـكم الحفـيرة ورميتم بأنفسـكم لاخطار قرار الملك، ملك السـعادة والبهجة.. تفضلوا. تحدثوا الان.. ماذا تنوون فعله؟!

العالـم: (عاد الى هدوئه، بيـد انه اجاب بلهجة مهمومـة).. لقد كان الذنب ذنبنا.. واننا نرجو عفوكم.

المساعدان: (سوية).. ليس ذنبنا انما انت وحدك المذنب.

العالم: (بغضب).. اذن لماذا جئتما معي؟

المساعدان: لقد جئت بنا قسرا.. لقد خدعتنا.

العالم: ليس بصحيح.. انتما..

الحارس: (يقطع عليه الحديث) رجاء.. ارجوكم.. انه ليس بوقت عتاب ولوم، فلا فائدة من هذا.. دعوة الى وقت آخر.. والآن علينا ان نتحدث فيما نعلمه وكيفية ايجاد حل لهذه لكارثة.. اليس هذا افضل لكم ولنا؟

العالم/ المساعدان: (ينظر واحدهما الى الاخر.. يتوجهون بأنظارهم الى الحارس مبدين علائم الرضا).

الحارس: (يوجه كلامه الى العالم).. طيب تفضل.. بماذا تشير علينا؟

العالم: (يقف على قدميه.. يسير جيئة وذهابا وهو يفكر).

الجميع: (ينتظرون منه جوابا).

الحارس: (حين لايجد منه الجواب.. يوجه كلامه الى المساعدين) طيب انتما.. ماذا تقولان؟

المســاعدان: (ينظر واحدهما الى الاخر.. يبدءان الجيئة والذهاب وهما يفكران).

الحارس: (انه مستمر في جلوسه).

الشاب ١، ٢: (مازالا واقفين على جانبيه).

الحــارس: (يقف على قدميه بهدوء).. ارجو ان تصغوا لي.. اصغوا لي لأقول لكم ما يجب ان نفعله.

العالم/ المساعدان: (ينتبهان).

الحارس: يا اولادي.. هناك حل وحيد وهو اعادة الملك الى تابوته.

العالم/ المساعدان: (يقتربون منه).

الحارس: والاستعجال في تدبير الامر هو الافضل وذلك من اجلكم ومن

اجل آلاف الرؤوس التي تنتظر الاقتلاع بغية فصلها عن الاجساد.

العالم: (بأرتباك وقلق).. ولكن.. ولكن كيف؟!

الحارس: (بحدة).. وكيف رفعت غطاءه؟

العالم: كان ذلك سـهلا.. غطاء كان وبمساعدة هذين الشخصين (يشير الى مساعديه) قمنا بتنحيته جانبا..

المساعدان: (سوية) لقد اشركتنا في عملك النحس ذاك قسرا.

العالم: (بغضب).. لم يكن بالقوة..

الحـارس: (بحـدة). ثانية؟! قلنـا ليس الوقت وقت هذا (مشـيرا الى العالم).. وبسرعة مثلما رفعته، يمكنك ان تعيده الى مكانه.

العالم: (بارتباك ايضا).. ولكن.. ولكن.

الحارس: (بهدوء).. تحدث.. تحدث لأعرف.. لكن ماذا؟!

العالم: (يهدأ نفسه).. في البدء كيف يمكننا الوصول الى التابوت، والثاني هو كيف يمكننا المسك بهذا العفريت المتوحش لكي نضعه في التابوت.

الحارس: (يبتسم ابتسامة خفيفة).. اصغ لي..

اولا: اننا بأمكاننا ايصالك الى التابوت..

ثانيا: انا سوف افهمك ما تفعله بالنسبة للنقطة الثانية.

العالم: لو كان كذلك فالأمر سهل، ولكن يمكننا ذلك ومتى؟

الحارس: بالنسبة للكيفية فنحن الان سنذهب الى البيت ونتفق حوله، وفيمـا يخص البدء فأني ارى ان الضرورة تسـتوجب علينا ان نبدأ الليلة بالذات، وهكذا يمكننا انقاذ عدد من الرقاب تنتظر الخنق في الغد.

العالم: (يوجه كلامه الى مساعديه).. ماذا تقولان؟!

المساعدان: نحن على اتم الاستعداد.

تسدل الستارة

## المشهد الثالث

(يضاء المسرح... الملك في حالة سجود لتابوته.. التابوت قد رفع الغطاء عنه).

صوت- (انه صوت الامر للملك.. كن حذار.. انا لست راضيا عنك نمام الرضا.. انك لم تجعلني سعيدا مطمئنا لحد الآن..

الملك- (يقف على قدميه وباسلوب محترم).. اعذرني يا سيدي.. ماهو تقصيري؟

صوت- قانوني انا.. لقد اخترتك من بين آلاف الملوك والامراء والسادة معتمــدا عليك دون غيرك، وضعتك انت بهــذه القوة والقبضة الفولاذية لتطبق قانوني على رعيتي، ولكن اين؟

الملك- سيدي.. لقد عملت بموجب خططك التي وضعتها لي..

صوت- مازال هناك من هو متمرد عليه..

الملك- اسحقهم.. اطحنهم.. ادوس على اعماقهم..

صوت- اين.. ومتى؟

الملــك- في الحــال.. اعطنــي الفرصــة.. ارجــوك ان تعطيني فرصة اخرى..

صــوت- (يجهش بالبكاء ويقول).. احذر انها الفرصة الاخيرة.. فرصة اخيرة.. اخيرة.

الملك- (يصرخ).. شارات.. انت يا شارات.

العالم- (يظهر على المسرح).

الملك- (لايرى العالم لانه واقف وراءه).

العالم- (باستهزاء).. نعم يا ملك الفرحة والسعادة..

الملـك- (يدير وجهه مرتبكا.. وحـين تقع عينيه عليه ينتابه الذعر وينسحب الى الوراء).

العالم- لقد بلغت نهايتك ايها السيد..

الملك- شارات.. انت يا شارات..

العالم- لاتتعب نفسك فان شاراتك كلهم قد سعدوا بقبورهم وتخلصوا من صراخك وعويلك..

الملك- (يبقى صامتا)..

العالم- وانت ايضا عليك ان تشقى في تابوتك اللعين هذا..

الملك- (باستخفاف).. انا؟!

العالم- نعم انت.. نعم والى الابد..

الملك- (يضحك بهدوء)..

العالم- اراك تضحك..

الملك- تتعالى قهقهته)..

العالم- يظهر انك واثق من نفسك جدا؟!

الملك- (يقول وهو مستمر في قهقهته).. قلت..

العالم- نعم.. نعم..

الملك- والى ابد الابدين..

العالم- نعم.. الى الابد..

الملك- (تخفت قهقهته). هيا لنرى!..

العالم- اظنك قد خدعت بالكلمـات الفارغة الجوفاء التي كتبت على تابوتك وهي التي كانت سبب فوتك!..

الملـك- (ومن دون ضحك).. من دون شـك.. الا تـرى في النتيجة ماذا فعلت بك وما جلبته لك؟!

العالـم- انها الان لا يمكنها ان تكون لك عونا.. فقد نفذت الى اعماقها وجذورها..

الملك- كلها.. كلها!.

العالم- كلها.. كلها..

الملك- حتى التي تقول..

العالم- (يقاطعه).. المرء يموت مرة واحدة.. نعم حتى هذا..

الملك- (في ارتباك).. معنى هذا..

العالم- يعني حتى ذلك لايفيدك فقد نفذت الى اعماقه ايضا ولذا فلا تتوقع انني سأميتك ميتة طبيعية.

الملك- (في ارتباك وتعجب وحيرة).. يعني..

العالم- يعني (يشير باصبعه الى التابوت).

الملك- (يصاب بالذعر).. (يدير ظهره الى التابوت وهو يفتح ذراعيه). لا.. لا.. لايجوز.. لا تستطيع.

العالم- (يشير الى الجهة اليمنى من المسرح او اليسرى).. هلموا..

المساعدان- (يأتيان الى المسرح) (ثلاثتهم يقتربون منه)..

الملك- (ينسـحب الى الوراء اكثر).. لا.. لا.. لايمكنكم ذلك.. لا اسـمح لكم.. لا اسمح لكم)..

العالم- قلت انها نهايتك والى الابد..

الملك- (بتوسل).. لا.. ارجوكم.. لا.. ارجوكم..

العالم والمساعدان- (يقتربون منه اكثر فاكثر).

الملك- (وهـو يهدد).. اسـحقكم.. اطحنكم.. اقلع رؤوسـكم.. احرق اجسادكم.. وانثر رمادكم للرياح..

العالم والمساعدان- (يقتربون منه ويمسكون بذراعيه)..

الملك- (بتوسل اليهم).. ارجوكم.. انني دخيل عندكم.. العطف، قليلا من الشفقة.. لا.. لا قدرة لي.. لا تفعلوا ذلك..

المساعدان- (يبعدانه عن التابوت دفعا وبقوة)..

العالم- (يسير باتجاه التابوت ويضع يده على غطائه)..

الملـك- (يلملم نفسـه ويقول مهددا).. اسـحق رؤوسـكم.. ادوس في اعماقكم.. اقلب الدنيا عليكم.. سـاضرم الدنيا باكملها عليكم وعلي انا.. لا يجب ان يبقى احد من بعدي.. ولا ان يظل اي شـيء.. لايجوز ان تبقى الدنيا..

العالم- (يرفع غطاء التابوت غاضبا وبقوة)..

الملك- (يفلت من المسـاعدين بشـكل طبيعي.. ومثل ظل ينسحب من المسرح الى الوراء).. لايمكن ان تظل الدنيا من بعدي.. لايجوز.. لا..

العالـم- (يأتي الى مقدمة المسـرح).. ايها المحترمـون.. معذرة.. لقد توضح لكم انني رغم كوني مؤرخا وعالم آثار قديم، فانني ممثل جيد.. استطيع مزجهما معا.. انا شخصيا مطمئن الى هذه الناحية.. اما ما يتعلق بالنسـبة للمسألة بكم فاملي ان اكون قد اغضبت احدا منكم.. ولا سامح الله ان اكون قد اذيت احدكم مقدار تأثير مجرد ابرة.. ثقوا انني انسـان طيـب القلب، لا اكـره احدا ولا احب ان اسـبب اذى لاحـد.. ولكن كلما هنالـك انني منذ ولادتي اكن كرها شـديدا للظلم والاضطهاد وقد ورثت هـذه الصفة من الآباء والاجـداد، وبناء على هذا ارى انه من الطبيعي ان

يكرهني الظالمون والمضطهدون. ويشعروا بالغبطة حين يروني معذبا..

علـــى اي حـــال فقد اعـــدت روح ذاك المارق الى تابوتـــه وبهذا محيت غلطتي ومسحتها.. واخيرا اتركّكم وانتم وربكم..

# صدر عن سلسلة كتاب سردم العربي

١-زهير كاظم عبود. طاؤوس ملك: رئيس الملائكة لدي الايزدية.
٢-خالد سليمان. الانفال: حكايات من زمن مستقطع.
٤-د. سروه اسعد صابر. كوردستان الجنوبية ١٩٢٦-١٩٣٩: دراسة تاريخية- سياسية.
٥-د. نيان نوشيروان فؤاد. الشحنة الديناميكية بين شيللي وكوران ونازك الملائكة: دراسة مقارنة.
٦-لطيف مصطفى امين. الفيدرالية وآفاق نجاحها في العراق.
٧-د. عبدالستار طاهر شريف. الجمعيات والمنظمات والأحزاب الكوردية في نصف قرن.
٨-د. فاضل عبود التميمي. بواكير محيي الدين زنكنة القصصية: دراسة ونصوص.
٩-د. شاهو سعيد. التبئير الفلسفي في الرواية سليم بركات نموذجا.
١٠-لطيف فاتح فرج. من نقرة السلمان الى الموت.
١١-شيرزاد حسن. مملكة الببغاوات. مجموعة قصص.
١٢-د. مهند البراك. اى رقيب. يوميات طبيب مع البيشمركة الانصار ج/ ١.
١٣-عدالت عبدالله. نحن وعراق الأمس واليوم. تأملات فكرية وهموم سياسية.
١٤-شيركو بيكس. مضيق الفراشات. قصيدة طويلة. ترجمة: آزاد برزنجي. الطبعة الثانية.
١٥-د. فاضل عبود التميمي. البناء السردى في شعر شيركو بيكس.
١٦-نوزاد احمد اسود. نصوص كردية حديثة. قصائد وقصص.
١٧-ياسين النصير. الارجوانة الحمراء. مقالات في المسرح الكردى المعاصر.
١٨-دلشاد عبدالله. سوق بائع العطور. شعر. ترجمة: بكر درويش.
١٩-غنام محمد خضر. مسرح محيي الدين زنكنة. دراسة.
٢٠-محيي الدين زنكنة. الاعمال الروائية. الجلد الثاني.
٢١-ارشاك سافراستيان. الكرد وكردستان. ترجمة: د. أحمد محمود الخليل.
٢٢- د. مهند البراك. اى رهقيب. من يوميات طبيب مع البيشمركة الانصار - ١٩٨٦- ١٩٨٨ - الجزء الثاني.


منتدى إقرأ الثقافي
للكتب ( كوردى - عربي - فارسي )
www.iqra.ahlamontada.com